أ د. عقيل حسين عقيل

مبادئ

التنمية البشريّة

تأليف

أ د. عقيل حسين عقيل

القاهرة 2017

المحتويات

المقدّمة 4

الإنسان قوّة.. 9

الأمل يُصنع.. 80

التهيّؤ يقظة 94

الإرادةُ تمكين.. 120

الاستعداد حيطة.. 135

التأهُّب فطنة.. 152

تفطّين الذّاكرة.. 159

توليد الفكرة 167

الفكرة تلد حلّا.. 181

تحدّي الصّعب 188

الأهداف تُنجز.. 197

الغايات تُبلغ.. 205

تدبّر الحاضر 213

صُنع المستقبل 227
معرفة المجهول.. 246
صُنع الخوارق 253
العمل ارتقاء 261
تصحيح المعلومة.. 268
الاستيعابُ احتواء 282
المتوقّع وغير المتوقّع.. 299
المراجع 310
العربية والمترجمة للعربية 310
المراجع الأجنبية.. 316
صدر للمؤلّف.. 319
مواضيع المؤلّفات 320
المؤلّف في سطور 329

المقدّمة

يتناول هذا المؤلّف مجموعة المبادئ الرّئيسة لتنمية الأفراد والجماعات والمجتمعات، وتنمية الجهود المبذولة؛ من أجل بلوغ الارتقاء البشري، قيمة ومهارة وجودة إنتاجٍ وارتقاء حضاريا.

فالبشر دائما هم في حاجة للارتقاء وإحداث النُقلة الممكّنة من إنجاز الأهداف وتحقيق الأغراض وبلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به بعد عملٍ رفيعٍ ومقدرة على تجاوز الصّعاب.

فالتنمية البشرية لا تُحقّق ارتقاءً إلّا إذا تأسّست على مبادئ أخلاقية ومهنية وإنسانية، وهذه المبادئ لابدّ وأن تكون مقنعة للأنا والذّات وممكّنة من صناعة المستقبل المأمول إنسانيا.

ولهذا فالمواطن أينما كان عندما يمارس حقوقه بإرادة، ويؤدّي واجباته عن رغبة، ويحمل مسؤولياته بلا تردّد، يصبح متهيأ إلى تقديم المزيد من الجهد الذي به يتحقّق الارتقاء درجة من بعد درجة في اتجاه التقدّم إلى كلّ ما يسهم في ترسيخ الكرامة البشرية.

وفي المقابل إذا حُرم المواطن من كلّ ذلك؛ فليس له بدّ إلّا الرّكون إلى ما يعيق حركة التقدّم والنّهوض، وحينها يصبح الشّد إلى الخلف لا خلف من ورائه إلّا التخلّف الذي لا جنود له إلّا المستهلكون، ولا أنصار لهم إلّا المتسوّلون الجالسون على أرصفة البطالة.

ومن هنا وجب العمل، وكلّ حسب قدراته واستعداداته وتخصّصه وخبرته ومهنته وما أهِّل عليه ليؤدّيه بكلّ مهارة.

ومع ذلك فالتنمية البشرية لا تقف عند هذه الحدود، بل تتعدّاها إلى مزيدٍ من التعليم والتعّلم ومزيدٍ من التأهيل والتدريب مع وافر أساليب الترغيب والتحفيز على المعرفة الجديدة والمتجدّدة.

والتنمية البشرية تستهدف تحسين أحوال الأفراد والجماعات تعليما ورعاية صحية واجتماعية ورعاية بيئية وثقافيّة؛ ومن هنا يتمّ تهيئة المناخ المناسب للعمل وبذل الجهد ورفع الكفاءة الإنتاجية.

وتأتي أهمية مبادئ التنمية البشريّة لتبيّن للقرّاء كما تبين للنّاس ما يجب أن يكونوا عليه دون غفلة، وما ينبغي أن يقدموا عليه بلا تردّد، وما ينبغي أن يتجنّبوه بلا حسرة؛ فالإنسان الذي خلقه الله تعالى في أحسن تقويم، يمتلك مقدرة عقلية فائقة، إذا ما استثمرت لا شكّ أنّها سَتُمكِّنه من صُنع الخوارق وكشف المجهول.

ولهذا تعدّ مبادئ التنمية البشرية مبادئ قيمية ومهنية، والأخذ بها يهيئ الأفراد والجماعات والمجتمعات إلى الأخذ بالمتوقّع والتطلّع من بعده إلى غير المتوقّع، ثمّ تحفّزهم وتدفعهم إلى إعداد العدّة والاستعداد ثمّ التأهّب والإقدام على العمل والفعل مع قبول التحدّي من أجل الأفيد والأنفع والأجود.

ولأنّ التنمية البشرية مهنة؛ فهي لا تكون كذلك إلّا إذا تأسّست على مبادئ مهنية وإنسانية تمكّن من تنمية القدرات العقلية والمعرفية كما تمكّن من كسب العلاقات والمعارف التي تدفع عجلة التقدّم البشري ثقافة وحضارة وتيسّر الصّعب بجهودٍ مشتركة وتعاون يسرّع بحركة الناهضين من مستويات التخلّف إلى مستويات التقدّم، ومن مستويات التقدّم إلى ما هو أكثر منه تقدّما.

ولهذا تأسّست مبادئ التنمية البشرية في هذا المؤلّف على قيم أخلاقية وإنسانية ومهنية بغاية تنشيط الذّاكرة وزيادة حيويّتها، ورفع مستوى الأداء وتحسين العمل وتجويد الإنتاج.

وهذه المبادئ المهنية ذات علاقة بمبادئ مهنة الخدمة الاجتماعية التي هي الأخرى تستهدف تحسين ظروف الأفراد والجماعات والمجتمعات بعد أن تُولي اهتماما بدراسة حالاتهم ومعرفة مواطن الضّعف وعلل الانحراف، ثمّ العمل على تحليل تلك المتغيرات ذات العلاقة وتشخيصها حتى معرفة العلاجات المناسبة لكلِّ حالة، دون أن تغفل عن أهمية البيئة الاجتماعية وتهيئتها حاضنة لمن هم ذو علاقة بها.

إذن الأخذ بمبادئ التنمية البشرية يعدّ ذا أهمية في تحويل البشر (أفرادا وجماعات ومجتمعات) من خانات المستهلكين إلى خانات المنتجين والمبدعين والمتحدّين للصّعاب بغاية الفوز بما هو مأمول قيميّا وحضاريّا وثقافيّا وذوقيّا.

وعليه:

فإنَّ مبادئ التنمية البشرية تغرس الثّقة في النّفس وفي الرّغبة الواعية، وفي الاختيار المرشّد، والإرادة الحرّة، بعد أن تكشُف الحقائق ويحيد الزّيف عنها، لتكون ميسّرة بين أيدي من يتعلّق الأمر بهم وهم متهيئون ومستعدون ومتأهّبون لأداء العمل.

تعدّ مبادئ التنمية البشرية مبادئ إنسانية وأخلاقية ومهنية؛ فهي كما تحفّز على مواجهة التحدّي بتحدٍّ أكثر رفعة؛ فهي ترسّخ قيم الاستيعاب والاحترام والتقدير والاعتبار مع وافر التفهّم للظّروف والخصوصيّات المختلفة.

تؤكّد مبادئ التنمية البشرية أنّ الإنسان قيمة في ذاته؛ فلا ينبغي أن يهان ولا يحرم من حقوقه، ولا يهيمن عليه ولا يقصى ولا يغيّب عن شيء هو جزء منه، ذلك لأنّ الإنسان عندما تتاح الفرص له يستطيع أن يصنع لنفسه أمل، ويسعى إلى نيله بعد أن يستعدّ ويتأهّب له عن إرادة.

وعلى هذا المنوال يستطيع أن يحدّد أهداف قابلة للإنجاز، وأغراض قابلة للتحّقق، وغايات قابلة لأن تُبلغ. ومع ذلك فهو في حاجة لمنبّه يلفته إلى التّاريخ ليأخذ منه العبر والمواعظ، ويساعده على رسم الخطط وتدبّر الحاضر مع التطلّع إلى المستقبل والأمل لا يفارقه.

ومع أنّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم، ولكنّه قد حاد عمّا يجب أن يكون عليه قيمة؛ فعصى ربّه، ومن هنا إذا سيطرت الشّهوة على النّفس حادت بها عن الجادّة، ولهذا فإنّ مبادئ التنمية البشرية جاءت بغاية صحوة العقل من الغفلة وسيطرة الشهوة ولفته إلى ما يجب ليأخذ به، وما لا يجب ليبتعد عنه وينتهي.

وإن لاحظ البعض أنّ مبدأ (الإنسان قوّة) قد حاز على مساحة كبيرة من التفصيل والتبيان؛ فإنّ ذلك يرجع إلى أنّ كلّ شيء هو من أجل الإنسان، وفي ذات الوقت كلّ شيء في دائرة الممكن لا يتحقّق إلّا به، ومن هنا سمحت الضّرورة بمساحة لتبيّن أهمية ذلك.

أ د. عقيل حسين عقيل

القاهرة 2017م

مبدأ
الإنسان قوّة

خَلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، مميّزا بهذه الصّفة عن غيره من الخلائق الأخرى التي هي جميعها دونه، ذلك لأنّه أحسنها، ومن هنا جاءت قوّته، {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}1. وأحسن تقويم: أحسن تصويب، وأحسن خِلقة ممّا خلق من المخلوقات كلّها؛ فكلّ المخلوقات، من ملائكة وجنّ وغيرها، جاء الإنسان مفضّلا عليها في الخَلق والتقويم؛ فالإنسان كونه مخلوقا مفضّلا، لم يكن على الضّعف، ولكن في غير مقارنة، إنّه الضّعيف أمام قوّة الخالق تعالى، كما أنّه الضّعيف أمام الشّهوة؛ فعندما تغالبه الشّهوة، يكون ضعيفا، ذلك لأنّ الشّهوة هي: الضّعف الذي خُلق الإنسان عليه، فإن سيطرت الشّهوة على عقل الإنسان وقلبه، كان الإنسان على طبيعة خلق الشهوة ضعيفا، ولكن إن هيمن العقل والقلب على الشّهوة؛ فالإنسان لا يكون إلّا قويّا، وهذه صفات لا تستمدّ إلّا من صفات الخالق، ولأنّها تستمدّ من صفاته تعالى؛ فصفاته قوّة، وهي: مصدر لكلّ قوّة.

ولهذا؛ يعدّ التقويم الإنساني خَلقا وفقا لما يجب، وهذا الخلق هو الذي نشأ الإنسان عليه، ولكن قرار الإنسان في دائرة التخيير هو بيده، وبالتّالي يمكنه أن يستخدم حُسن التقويم فيما يجب، وهنا تكمن القوّة، ويمكن أن يستخدمه فيما لا يجب، وهنا يكمن الضّعف.

---
[1] التين 4.

فالإنسان دائما إنْ أراد تحدّي الصّعاب؛ فعليه بامتلاك القوّة، والسّعي على استمدادها من مصادرها حفاظا على بقاء حُسن التقويم، ولكن كيف تستمدّ القوّة من القوي؟ والله قال: {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}[2]؟

ومن ثمّ؛ فالاستغراب أن يغترّ الإنسان بنفسه؛ فلا يلتفت إلى ما يجب أن يَقدِم عليه قوّة، وما يجب أن ينتهي عنه قوّة، وهنا، يكمن الضّعف، {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ}[3].

ولأنّ الإنسان في أساس خلقه، قد خُلق على القوّة؛ قال الله لموسى: {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا}[4].

ولسائل أن يسأل:

ومن الذي يستطيع أن يأخذ ما يأخذه بقوّة؟

أقول: الذي يمتلك قوّة تمكّنه من الأخذ أخذا؛ ولأنَّ القوّي تعالى يعلم أنّ المخاطب قويّا قال: له: (فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ)، ولأنّه قوي، قال له: (وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا)، أي: عليك يا موسى أن تأخذها بقوّة، وعليك أن تأمر قومك بقوّة الأخذ بأحسنها. أي: أنّ القوي الأوّل هو الله؛ أمر

[2] النساء 28.

[3] الانفطار 6، 7.

[4] الأعراف 145.

موسى بقوّة الأخذ فأخذها موسى بقوّة طاعة للأمر، ثمّ إنّ موسى بقوّة أخذه أمر قومه أن يأخذوا بأحسنها.

ومن غير مقارنة، كلّ المخلوقات هي على الضّعف أمام قوّة الخالق، ولكن أقوى المخلوقات وأفضلها هو: الإنسان، {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ}5، اصطفاه مفضّلا على الملائكة والجن، {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا}6.

ومع أنّ آدم تمّ اصطفاؤه نبيا للملائكة والجنّ والإنس، لكنَّ الله أهبطه على الأرض، بعد خطيئة ألمت به وزوجه، بأسباب الشّهوة التي أضعفته؛ فكان على الأرض نبيا قويّا، بقوّة النبأ الذي سجدت له الملائكة.

وعليه: فالإنسان بقوّة الشّهوة يضعف؛ فيخطئ، كما أخطأ أبونا آدم، وبقوّة الإيمان الإنسان يقوى؛ فيستغفر، ويتوب؛ ولذلك فالأقوياء لا خوف عليهم، {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}7 ولكن الخوف على الضّعفاء الذين فقدوا القوّة.

ولأنَّ نشوء الإنسان كان خلقا معجزا في أحسن تقويم؛ فبه كان الإنسان مفضّلا، ولكن لأنّه في دائرة التخيير؛ فقد لا يحافظ على تفضيله،

---

[5] آل عمران 33.

[6] البقرة 34.

[7] البقرة 38.

ويلقي بيديه إلى التهلكة، {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}8. وهنا يكمن الضّعف، ومع ذلك؛ فالضّعف قابل للتغيير إذا ما تبنّت أيدي الأقوياء أيدي الضّعفاء. أي: أنّ الضّعف إذا لحق البعض بما عملت أيديهم؛ فينبغي على البعض الذي يده قويّة أن يتحمّل مسؤوليته تجاه الضّعفاء، {وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ}9، إنّه التفضيل الذي ينبغي أن يقدّر من قبل القادرين رزقا؛ فيأخذوا بأيدي من ضعف جهدا أو معرفة أو مالا، حتى ينهض ارتقاء، إلى ما يجب أن يكون عليه عملا ومعرفة.

ومع أنّه التفضيل، لكنّه كما يكون على (التميّز) يكون على (التمييز)؛ فالتميّز: هو نشوء خاصيّة قد تكون خلقية كما هو تميّز البشر عن بقية الخلائق، وقد تكون الخاصيّة تميّزا بالعمل؛ {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}10.

أمّا التمييز: فمنه التمييز الخَلقي، ومنه بأيدي النّاس؛ فالخَلقي فيه تساوي ميز حيث كلٌّ مميّز بخاصيّة، {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ}11؛ فلا ينبغي أن يتمنى الذّكر أن لو خُلق أنثى، ولا ينبغي أن تتمنى الأنثى أن لو خلقت ذكرا، لأنّ كلّا منهما خُلق مفضّلا بما خُلق عليه من نوع (ذكر وأنثى).

---

8 البقرة 159.

9 النحل 71.

10 الزلزلة 7 ، 8.

11 النساء 32.

أمّا التمييز الذي بأيدي النّاس؛ فهو المتعارض مع التفضيل الذي ينبغي أن ينشأ الخَلق عليه؛ فالخالق فضّل النّوعين (الذّكر والأنثى) ونهى عن التفضيل بغير حقّ، (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ)؛ فالتمييز بين النّاس يمكن أن يكون موجبا، ويمكن أن يكون سالبا؛ فإن كان بالعمل فلا شكّ الذي يعمل غير الذي لا يعمل، ولكن إن كان على حساب ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمل المسؤوليات فلا ينبغي، وهنا تكمن المظالم.

وحتى لا يكون الضّعف سائدا كان الخّلق الإنساني زوجيّا بغاية تكاثر القوّة ومضاعفتها، ولهذا فالنشوء الزّوجي نشوء إعجازي تلازمي؛ حيث اقتران الأزواج خلقا من تراب {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ}[12]، خلقا تلازميّا ولا تفرقة، ولا أفضلية لمخلوق على مخلوق من ذات النّوع؛ فالإنس كونه سلالة طينيّة، خلقه النوّعي واحد (الذّكر والأنثى)، ولذا، جاء نشوء البشر من نفس واحدة (من طينة واحدة).

ولأنّ الخلق الأوّل زوجي؛ فلا أحد خُلق من أحدٍ، {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}[13]. ومع ذلك؛ فالبعض يتسأل:

وأين نحن من خلق حواء التي خُلقت من ضلع آدم؟

---

[12] الروم 20.

[13] الذاريات 49.

مع أنّ اسم حواء لم يرد في القرآن الكريم ولا مرّة واحدة ولكن أقول: عندما تكون الإجابة من الله تعالى قاطعة للشكّ؛ فلا داعي لغيرها، وعندما يختلف قول البشر عن قول الله؛ فلا مجال للظنّ فكيف الله يقول: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) ويأتي البعض ويقول: خُلقت حواء من ضلع آدم؟

فقوله من كلّ شيء، لا يستثني شيئا من الخلق الزّوجي، فكلّ المخلوقات خلقت على (الزوجيّة) لتعاضد القوّة، ولم تخلق من (التزاوج)، فالتزاوج اختياري وهو الذي حصل بعد الخلق الأوّل للإنسان الأوّل، {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}[14]؛ فمن نفس واحدة، تعني: من طينة واحدة، أي من نفس الطّينة؛ فلا أحد أفضل خلقا من الآخر، {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ}[15].

إذن؛ فمن نفس واحدة تدلّ على وحدة الخَلق الزّوجي، ولا تدلّ على أسبقية آدم على زوجه، ولذا فكيف لنا بأخذ القول: إنّ زوجه قد خّلق من ضلعه والله يقول: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}[16]؟

ومع أنّ النّشوء البشري من نفس واحدة، وهي: (الإنس) ولكن لكلّ نفسه، {جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا}[17]، أي: جعل الأنفس

[14] الأنعام 98.

[15] النساء 32.

[16] الذاريات 49.

[17] الشورى 11.

من بعد آدم وزوجه أنفسا متعدّدة؛ فبعد ذلك النّشوء الزّوجي من طينة واحدة (النّفس الواحدة) وهي طينة خلق (الإنس)، أصبحت الأنفس تتعدّد ولادة وسلالة زوجية، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ}18.

تبيّن هذه الآية تطوّر النّشوء البشري بداية ونهاية؛ فبداية كانت السّلالة الخلقيّة من طين، والسّلالة هنا، النّوع ذو المعدن الثّمين، ولذا؛ فسلالة نشوء البشر جاءت نوّعا متميّزا عن بقية السّلالات، أي: أنّ سلالة نشوء الإنسان الأوّل (آدم وزوجه) سلالة طينية (تراب). ولكن أيّة تراب؟ إنّه الصّلصال، وهو أجود أنواع الطّين الخلقي، {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ}19، والصّلصال لم يكن فخارا، بل يشبهه؛ فجاء التشبيه لتقريب المعني والتعريف بالمشبه (كَالْفَخَّارِ)، ومن ثمّ فقد ارتبط الصّلصال بالنّوعيّة الرّاقية والجودة الرّفيعة.

ثمّ جاء من بعد الخَلق الزوجي الخَلق التزاوجي، وهو الذي أصبحت عليه ثنائية الأفراد المستقلّين (آدم وزوجه)؛ فكان النّشوء من بعدهما ليس

[18] المؤمنون 12 ـ 16.

[19] الرحمن 14.

خلقا مباشرا كما هو خلقهما على القوّة من نفس واحدة؛ فهما وإن خُلقا على الفردية، ولكنّهما من طينة واحدة (نفس الطّينة) نفس واحدة.

أمّا التزاوج؛ فهو التقاء توافقي نتج عنه نشوء وسلالة ليست من طين، {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ}[20]، أي: من نطفة، {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ}[21]، فالخلق الذي جاء بالإنسان الأوّل انتهى بوجود (آدم وزوجه) ثم نشأت سلالة خلقية مبذورة من صلب الإنسان الأوّل، وهذه السّلالة لم تكن من ذلك الطّين (التراب) الذي خُلق منه آدم وزوجه في أحسن تقويم. وكيف لا يكون الإنسان في أحسن تقويم، وهو المخلوق في الجنّة من صلصال كالفخار؟ فهذه لا استغراب فيها، ولا مفاجأة، ولكن الاستغراب لماذا لا يحافظ من خُلق في أحسن تقويم على حُسن تقويمه قوّة؟

ومع أنّ نشوء السّلالة الجديدة كان بذرة (نطفة)، لكنّه لم يبق بذرة (نطفة)، (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً)، حيث دبّت الحياة من زوجيّة مشتركة في علقة مشتركة تخصيبا. (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) أي: أصبحت السّلالة تتكوّن دما ولحما، ثمّ عظاما (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا)، ثم كسيت العظام لحما بدنيّا على صورة الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم (فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا)، حيث اكتمال الخلق نشوءا على صورة أخرى، وكأنّه

---

[20] السجدة 8.

[21] المؤمنون 13.

مشاهدة لا علاقة له بالمراحل الخلقية السّابقة، {ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ}22.

أي: أنّ السّلالة البشرية ستظل بحكم قانون الوراثة، جينات ثابتة بداية ونهاية (بداية خلقية ونهاية عدمية)، بمعنى: سيكون أثر السّلالة البشرية بداية من النّطفة ونهاية بالأثر ولو كان رفاتا ترابيا؛ فاليوم أصبح البحث العلمي متقدّما في اكتشاف الأثر الجيني والوراثي الذي يبقي الجنس والنّوع والنّسب دون لبس ولا غموض.

ولذا؛ فلا إمكانية لتطوّر الكائنات لتكون خارج الجنس أو النّوع الذي خُلقت عليه خلقا، وبخاصّة بعد اكتشافات (DNA) التي تحمل معلومات وراثية (المورثات والجينات)، ومن ثمّ؛ فلو كان القرد ابن عمّ الإنسان كما يقول داروين؛ فهل سيظل هذا سرّا أمام معرفة DNA لكلّ من الجنسين؟

وعليه:

خُلقت الحياة أزواجا، ونشأت الحياة تزاوجا، فكانت الحياة مكوّنة من (وجود وعدم) حيث الموت في ملاحقة الحياة؛ ولكلٍّ أسبابه كما هو حال ابني آدم، اللذين كان الصّراع بينهما صراعا بين حقّ وباطل، {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ}23. ومن هنا، بدأ النشوء مرحلة

---

[22] آل عمران 34.

[23] المائدة 30.

جديدة بين زيادة ونقصان (مواليد وأموات)، ومن هنا تَبيَّن أنّ الذي خُلق في أحسن تقويم لم يستطع المحافظة على حُسن تقويمه قوّة بعد تلك المأساة التي حدثت بين ابني آدم، الذي أصبح الخلاف من بعدهما يدبّ بين الأخوة والأقارب والأباعد على القيم والفضائل والحاجة، والمكانة والمصلحة. وبالتالي فالوجود الذي كان في أحسن تقويم قوّة وبقاءً، أصبح نشوءا متأثرا بهذه العلل ضعفا، فُرقة وخلافا واقتتالا، عوضا عن التّعاون المشبع للحاجات المتطوّرة والمتنوّعة من أجل الارتقاء والبقاء الأصلح والأقوى.

فبعد تلك السّابقة المؤلمة بين ابني آدم، أصبح البقاء للأصلح قوّة، بدلا من الأصلح قيمة أو فضيلة، ما جعل النّشوء البشري معرّضا للتهلكة والفناء أكثر من تعرّضه للبقاء ارتقاء.

إنّ غِلظة القلوب على القلوب تنزع بالبشر إلى نشوء منحدرٍ ترتفع فيه أسهم السّلاح أكثر من ارتفاع أسهم القيم الإنسانية ولكن مع ذلك؛ ستظل المعلومات الصّائبة تصحح المعلومات الخاطئة.

فعلى المصلحين أن لا يستغربوا ما يجري من انحدار نشوءٍ بين البشر، لأنّ حقيقة البشر هم بين مهتدٍ وضال، ومستقيم وسقيم، وعادل وظالم، وفقيه وجاهل، ولذلك قال تعالى: {أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ}[24]،

[24] الأنعام 111.

{أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}25، {أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ}26. وغيرهم من الكثر كثير.

ومع أنّ الخلق البشري كان في أحسن تقويم، لكن نشوء الكثرة أصبح على غير هذه القاعدة القيمية، ومن ثمّ، أصبح النّشوء منحدرا من منصّات القيم الحميدة والفضائل الرّفيعة إلى سُفلية الوجود، التي جعلت بعض العلماء والمنظّرين يصفون ما يشاهدونه ويلاحظونه من انحدار قيمي بأنّه ميل الإنسان إلى الحيوانية على حساب البقاء الأصلح والنّشوء الرّفيع، ممّا دعاهم إلى البحث عن آثار الإنسان الأوّل لعلّه لم يكن إنسانا.

وباكتشافهم وجدوا معطيات أثرية لهياكل عظمية بشرية تدلّ على أنَّ الإنسانَ القديم كان أقل رُقِيًا من الإنسان المعاصر، كما أنَّ نظرية Origin Of Species ترى أنَّ "أشكال الحياة المختلفة تعود إلى أصل واحد مشترك وأنّها بدأت من خلايا حيّة تكوّنت عن طريق المصادفة وأنّ الحياة الأولى وجدت مصادفة"27.

ولكن كيف لنا بقبول خلق الكون بأسره من لاشيء، ثمّ الأخذ بالقول: إنّ الحياة الأولى وجدت مصادفة؟

---

25 الحجرات 4.

26 المائدة 59.

27 Charles Robert Darwin Origin of Species The Harvard Classics. 1909 p 114..

وكيف لنا بقبول المصادفة، وأنّ الله خلق الأزواج كلّها خلقا (لا مصادفة)؟

ومع أنّه حتى الآن لم نجد آثارًا مؤكّدة للحيوان الذي انحدر منه الإنسان والقرد الشبيه كما يزعمون، ولكن البعض يرى صلة سلالية تربط الإنسان بالقرد، وهذه لا حقائق تسندها؛ فهي مجرّد قولٍ ليس إلّا، وهذا ما أكدّه العالم جوهانس ووكر عام 1956م الذي أعلن عن اكتشاف قطعة فحم حجري بها فكّ إنسان يرجع إلى عشرة ملايين عام، وهي أقدم قطعة من بقايا الإنسان في العالم، وتعدّ دليلا شاهدا على ذلك بمتحف بال بسويسرا، ومن ثمّ، قال العالم جوهانس ووكر: إنّه لا يوجد أدنى دليل على أنّ الإنسان من سلالة القردة.

أمّا داروين فيقول: بالرّغم من أهمية الأحافير في إيجاد دليل على حدوث التطوّر، لكنّ السجلّ الجيولوجي أشبه ما يكون بكتاب فُقدت بعض صفحاته، ولم يبق منه سوى صفحات قليلة متناثرة، وفي تلك الصّفحات الباقية لم يبق إلّا كلمات قليلة في كلّ صفحة[28]. ولهذا؛ فلا يقين فيما يقال أو يدّعى به من تشابه سلالي بين الإنسان والقرد.

ولأنّه لا يقين، إذن؛ فلا حكم على وجود علاقة نشوء بين الجنسين (الإنسان والحيوان) لتعود بهما إلى أصل واحد، ولا أحد يستطيع

---

[28] تشارلز داروين، أصل الأنواع، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ص 538 . 571.

أن يفصل في شيء بغير حقيقة، ممّا يجعل الشكوك والادعاءات ليست بحجج، {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ}[29].

ولأنّ الخلق الأوّل للكائنات خَلق زوجي، فهو خلق أجناس وأنواع، ولم يكن خلق تكاثر إلّا بعد التزاوج (الثنائية المتعدّدة) التي لا مجال فيها للنّشوء والتطوّر إلّا داخل الجنس الواحد، فالإنسان كونه أرقى المخلوقات، لا يمكن له أن يتطوّر ليكون على غير جنسه البشري، ولا يمكن لغيره من الأجناس والأنواع الأخرى أن تتطوّر لتصبح بشرا، ولذلك؛ فقد خلق الخالق من كلّ شيء زوجين حيث لا لبس ولا شبه ولا تداخل، فكلّ اثنين (ذكر وأنثى) من كلّ شيء، حتى الفواكه لا تعود لسلالة واحدة، بل تعود إلى سلالات متعدّدة الأزواج، {مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}[30]. أي: أنّ الفاكهة لا تعود إلى زوجين بعينيهما، بل تتنوّع الفاكهة أزواجا وسلالات مختلفة وستظل متنوّعة.

وعليه:

كيف يَقبل العقل البشري أنّ الإنسان والقرد يعودان إلى سلالة واحدة، وهو في ذات الوقت يعلم أنّ الفاكهة التي يظنّها من سلالة واحدة هي ليست كذلك؟

---

[29] الأنعام 57.

[30] الرحمن 52.

كيف يقبل أنّ الذي خُلق في أحسن تقويم، يلتبس الأمر في خلقه مع ما لم يكن مخلوقا على حُسن التقويم مميّزا؟

ومن ثمّ؛ فالكائنات تتكاثر أنواعا، ولا تتطوّر أجناسا فالقرد الذي خُلق قردا، سيظل على ما هو عليه قردا ضعيفا أمام عقل الإنسان وفطنته وعلمه وقوّة تدبّره وتفكّره، وهكذا النّباتات ستظل نباتات، والإنسان لم يكن قردا وسيظل إنسانا، ولكن الإنسان لا بدّ أن يرتقي ويتطوّر على القيم الحميدة والفضائل الخيّرة، ولا ينبغي أن يغترّ معرفة وعلما، {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}31. أي: فعلى الإنسان أن يعلم أنّه لم يؤت من العلم إلّا القليل.

ولهذا؛ فالتطوّر ضرورة لحياة الأجناس من أجل البقاء الأحسن، والنّشوء سيظل قابلا للتّحسّين النّوعي من أجل الأفضل والأجود، ولا شكّ أنّ الإنسان الذي بين يديه المعارف، على يديه تتحقّق النُقلة النّافعة، التي تمكّنه من البقاء الأصلح.

فالإنسان الأوّل مع أنّه خُلق في أحسن تقويم، لكنّه لن يبلغ الكمال؛ فهو المخلوق على الحاجة المتطوّرة وإن حَسُن تقويمه، ومع ذلك وإن تيسّرت مشبعات حاجاته المتطوّرة كما تيسّرت لأبينا آدم (الإنسان الأوّل) يظل للرّغبة مؤثراتها، وللمعلومات الخاطئة تأثيراتها السّلبية على

---

[31] الانفطار 6 ـ 8.

النّشوء والارتقاء البشري، {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى}[32].

إذن؛ فعندما تأتي المعلومة الخاطئة، وممّن تأتي؛ فهي المؤدّية إلى ما يسيء للخَلق الإنساني، أي: متى ما حلّت بين النّاس المعلومات الخاطئة، حلّ الفساد ديارهم، وساد بينهم الانحراف، ولهذا دائما المقدِّمات الخاطئة تؤدّي إلى نتائج خاطئة.

ومع أنّ الوسّوسة كانت لأبينا آدم كونه النّبي الذي أنبأه الله بما لم ينبئ به الملائكة، ولكن الأكل من الشّجرة المنهي عنها كان من أبوينا معا (آدم وزوجه) اللذين أكلا منها؛ (فَأَكَلَا مِنْهَا).

ولأنَّ ما حدث معهما هو درس لهما ولمن حولهما (ملائكة وجن)؛ فهو الدّرس الباقي لمن يأتي من سلالتهما من بشر، فمن يتّعظ يتجنّب المنهي عنه، ويمتنع عن المحرّم والمجرّم، ومن لا يتعظ؛ فسيكون الثّمن لا مقدرة على دفعه، والزّمن كفيل بذلك، وحتى لا يغفل النّاس عمّا يجب، بعث الخالق الأنبياء والرّسل منذرين ومبشرين ومذكرين، ليكونوا على حُسن التقويم قوّة، {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}[33].

وعليه:

---

[32] طه 121. 122.

[33] الغاشية 21.

فلا كمال للنّشوء الزّوجي (نشوء الجنّة)، ولا كمال للنّشوء التزاوجي (نشوء الحياة الدّنيا)، بل الكمال لله وحده؛ فالنّشوء بنوعيه هو نشوء حاجة، غير أنّ النّشوء في الجنّة نشوء مشبع على التمام، أمّا النّشوء الدّنيوي؛ فهو نشوء الحاجات المتطوّرة التي يحفّها العوز بين الحين والحين؛ ولذلك فالحياة الدّنيا ستظل على الحاجة التي كلّما نقصت جعلت عدد المطالبين بما يشبعها متزايدا، وكلّما اشتدت عوزا جعلت من البقاء عدما.

ومن هنا، ترتبط مصائر البشر بالحاجات ومشبعاتها، ولا بقاء صالح لمن خُلق في أحسن تقويم ما لم تكن مشبعات الحاجات المتطوّرة متطوّرة، ومن يتحكّم في مشبعات الحاجات المتطوّرة، يتحكّم في مصائر البشر، ومن ثمّ، تصبح آلام الحاجة وضرورات البقاء محفّزة على التمرّد والمواجهة مع قبول دفع الثّمن من أجل الحياة.

ارتقاء الإنسان:

خَلق الله آدم في أحسن تقويم من غير أب ولا أم (من تراب الجنّة) حيث لا إنس من قبله، ولأنّه كذلك، جعله الله على الارتقاء نبيا؛ فسجد له الملائكة طائعين، إلّا إبليس، ومع أنَّ آدم قد خُلق في الجنّة والأرض مرتقة في السّماوات، ولكن بمخالفة أمر الخالق أهبط به والأرض ومن كان سببا في إغوائه ومعصيته، وكذلك من قَبِلَ الإغواء معه معصية، وهنا تكمن القوّة التي دعت آدم ندما واستغفارا وتوبة، ولكنّ قرار الهبوط نافذ، {قَالَ

اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}34.

ومع أنَّ آدم تاب لربّه، ولكنّ توبته لم تَحُلْ بينه وبين الهبوط على ظهر الأرض إلى الحياة الدُّنيا بعد أن كان على أرض النّعيم قمّة وارتقاء؛ فآدم عصى ربّه، ثمّ تاب؛ فتاب الله عليه، ثمّ اجتباه نبيا، لِيُنبِئ من بُعث إليهم نبيا، {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}35، ومن هنا، يكمن أمل آدم، في العودة إلى الجنّة ارتقاء؛ تلك الجنّة التي فقدها ولم يعد يراها نعيما على الأرض المغبرّة التي أهبط بها أرضا، ولكن كيف يعود آدم إلى ذلك النّعيم الوافر؟

لا سبيل له إلّا الاستغفار عن معصيته، والتوبة إلى خالقه؛ ففعل ذلك عن قلب؛ فاجتباه ربّه نبيا، وعلّمه ما لم يكن يعلم؛ فأدرك آدم أنّ فرصة العودة إلى الجنّة بعد توبته أصبحت ممكنة إن عَمِلَ وأتقن عمله عن رغبة وقوّة مع قبول تحدّي الصّعاب.

ولذلك؛ فَمِن بعد آدم أصبح العمل هو المِمكّن من إحداث النُقلة وتحقيق الارتقاء رفعة؛ فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم لم يرها ابناه؛ فهما ولدا في الحياة الدّنيا (السُّفلية)، ولكن إنباء أبيهما أصبح بينهما حُجّة وموعظة وعبرة؛ فبدأ العمل ارتقاء من أحدهما، وهو يأمل بلوغ ما أنبأه به

[34] الأعراف 24.

[35] طه 122.

أبوه الذي شهد ذلك النّعيم؛ فأخذ بالنبأ قوّة وأمل الارتقاء إلى النّعيم نصب عينيه، وفي المقابل أخوه أخذته الشّهوة ضعفا وسُفليّة؛ فقتل أخاه في الوقت الذي يبسط إليه أخوه يده محبّة، {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[36].

وعليه:

فالارتقاء مؤسّس على الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ارتفاعا عن كلِّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحدار والسُفليّة، وذلك من أجل بلوغ ما يُمكّن من إحداث النُقلة الممكّنة من بلوغ الجنّة عيشا رغدا.

ومن هنا، وجب العمل المحقّق للعيش النّعيم الذي فيه الوفرة تغذي الرّوح، وتطمئن النّفس، وتخاطب العقل، وترضي القلب، وتشبع البدن، وتزيد الذّوق رفعة وارتقاء فتمكن من الأخذ بأسباب القوّة.

فآدم خُلق في الجنّة، وشهد على نعيمها، وفيها تمتّعَ، ثم حُرم منها وأهبط به والأرض دُنوّا، ولكنّه لم ينس ذلك العيش الرّغِد، والوفرة التي لا تُحصى، والتنوّع المتّسع جمالا، وبخاصّة بعد أن أصبح على الأرض التي لم تأخذ أيّ صفة من صفات الجنّة سوى الماء الذي يبقي على الحياة، ولا

---

[36] المائدة 28 . 30.

يُبقي على النّعيم؛ فأصبحت الحاجة تملأ نفس آدم وزوجه بعد أن حُرما من مشبعاتها المنقوصة في الحياة الدّنيا.

إنّ الحياة الدُّنيا، إذا ما قورنت بتلك الحياة العليا؛ فهي حياة الحاجات المنقوصة، وحياة الفتن والعداوات التي بدأت بين الأخوين (ابني آدم)، ثمّ اتّسعت وتكاثرت مع التكاثر؛ فأصبح الصّدام والاقتتال انحدارا من البعض، في مقابل ارتقاء البعض رفعة؛ فآدم الذي خسر ذلك الموقع الرّفيع، أصبح يأمل العودة إليه، ولذلك؛ فقد سعى استغفارا وتوبة أهلّته لأن يكون نبيا ينبئ بما عُلّم به من قِبل خالقه، ومن ثمّ؛ فلا مكان له بعد النبأ العظيم إلّا الجنّة، التي لا تبلغ ارتقاء إلّا بالعمل وبكلّ قوّة ورفعة.

ومن أجل ذلك، وجب العمل الممكّن من بلوغ الأحسن والأرقى، شريطة أن لا يكون التحسّن على حساب إشباع حاجات الغير، بل ينبغي أن يكون العمل تُرسا من تروس عجلة الحياة العامّة، ذلك لأنّ الارتقاء الممكّن من السّعادة لا يمكن أن يتحقّق والغير يتألم، ولذلك؛ فالعمل وفقا لأهداف الحياة ينبغي أن يكون من ورائه غرض خاصّ، وهو: إحداث النُقلة، وغرض عام، وهو: تحفيز الأخرين ودفعهم تجاهها، وإلّا فألم الغير لن يفسح الطريق أمام من يسعى إلى الارتقاء غاية.

قوّة بني آدم في دائرة الممكن:

قوّة بني آدم في دائرة الممكن هي: (بين متوقّع وغير متوقّع)، أي: أنّهم بين متوقّع الارتقاء قوّة، ومتوقّع الدّونية ضعفا؛ فمنهم من يبقى على

الارتقاء قوّة، ومنهم من يتخلّى عنه ضعفا ولذلك، فمن أجل التغيير إلى ما يجب أن يكون، ينبغي العمل مع بني آدم من حيث هم، من أجل الارتقاء بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه قوّة و قمّة، وعليهم أن يعرفوا أنّ ما يختلفون فيه هو نتاج اختلافهم وفقا لمشيئة الخالق تعالى. {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}37.

إنّ الاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين، ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الضعف يؤدّي إلى الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي أن تحدّد الأهداف وفقا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاء.

فمن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظروف ارتقاء، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا

[37] هود 118 ، 119.

زالت سانحة؛ فالنّدم يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراض، والغاية من ورائها قمّة.

ولذلك، وجب التدبّر بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة.

وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم، وتوجيهها وفقا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة؛ فيخلّصهم من التسوّل إرادة وعملا، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف ضعفا ووهنا، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة؛ فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة.

فرجالات الدّولة ارتقاء هم من لا تأخذهم العصبيّة، ذلك لأنّ العصبيّة مقبرة الذين لا يعلمون؛ فرجالات الدّولة ارتقاء كلّما حكموا عدلوا، وكلّما قالوا صدقوا، وكلّما عاهدوا أوفوا، وكلّما كبروا تواضعوا، أمّا

المدّعون لذلك؛ فهم مع كلّ هبة ريح يميلون، وهنا تكمن علّتهم وعلّة الدّولة.

فالدّولة ارتقاء تستهدف رجالات بعينهم وفقا لما هم عليه من مكانة، ومع ذلك، تخضعهم للتقييم قبل أن يتمّ اختيارهم إلى مناصب إداراتها، وكذلك هم بعد الاختيار يقوّمون كلّما حادوا عن القيم والفضائل الخيّرة، بهدف إعادتهم إليها ارتقاء.

ومن ثمّ؛ فمن ير نفسه رجل دولة؛ فعليه باختبار نفسه وتقويمها قبل أن يُختبر ويقوّم من قِبل الغير.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين كراما هم يدركون أنَّ السّبيل إلى النّجاح هو: الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعية، أو الوطنية، أو الإنسانية، أو يمسّ معتقدا دينيا.

ولكن من بني آدم من يجهل ويغفل؛ فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضللين التي تزداد ضيقا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

ومع أنّ للألم أوجاعا، وللتأزّم أوجاعا ولكن أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم، فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن

سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك، وجب أخذ الحيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمّا الحقد بين بني آدم ؛ فهو مثل حطب نار جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي: أنّ نار الحقد تحرق أوّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)، ولذلك؛ فالحقد يُلهي الحاقد من بني آدم في نفسه، والحاقد في حقيقة أمره هو في حاجة لمن يطفئ عنه النّار التي بها نفسه تحترق. ومن ثمّ؛ فمن يعتقد أنّه إذا تمكّن من عضّ يد أحد وعضّها؛ فلا شكّ أنّ عضّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا؛ فإنّ الجهل والحقد والظّلم والعدوان والكيد والمكر عندما تشتعل نيرانها بين بني آدم؛ فلا سبيل لهم إلّا التخلّف، والانحدار، والسُفلية المؤلمة، وفي المقابل الشّعوب ترتقي علما ومعرفة وتسامحا وخبرة وتجربة؛ فتغزوا الأرض سلاما، والسّماء بحثا وارتقاء.

فبنو آدم الذين بلا أمل لا يعدّون إلّا أمواتا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله؛ فسيبقون على أملهم وكأنّهم بلا أمل، أمّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل؛ فلا شكّ أنّه سيُسهم في إحداث النُقلة ارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس.

وهكذا، هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس. ولذلك؛ فلا ينبغي أن يكون بنو آدم

سمّاعين فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظا، وعليهم بالتدبّر تحليلا وتفسيرا وتخطيطا وسلوكا وعملا، وعليهم بالتّفكّر من أجل ما يجب، حتى يتمكّنوا من الارتقاء من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسؤوليات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

وعليه:

فارتقاء بني آدم مؤسّس على ما أخبرهم وأنبأهم به أبوهم آدم، ومن بُعث من بعده من الأنبياء والرّسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولهذا؛ فهم يأملون العيش في ذلك النّعيم المنبئ عنه، ولأجل ذلك فمن آمن منهم يسع ويعمل من أجله ارتقاء، ومن لم يؤمن ستظل فُرصه على قائمة الانتظار ما بقي حيّا.

فبنو آدم من أجل تلك الجنّة التي وُصفت بما وُصفت به من عظمة، يصلّون لله من أجل بلوغها، ويصومون ويزكّون ويتصدّقون ويحجّون ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجل بلوغها، ولذلك، هم يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغها، ويتعلّمون ويعملون من أجل بلوغها، ومع ذلك؛ فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكّن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك، المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعا وتمدّدا.

وهنا، أقول لبعض علماء الفيزياء وعلماء الفلك: ما قد تمّ اكتشافه عن الكون من قبلكم؛ فقد أخبرنا به القرآن الكريم الذي أنزل قبل أن يفكّر أحد في غزو الفضاء، وقبل أن يتمّ اكتشاف أسرار من الكون، ولذا؛ فَلِمَ لا تتوقّفون عند الكتاب لتتبيّنوا قوله لعلكم ترشدون إلى المزيد من الاكتشاف العلمي، وإلى ما يُمكّن من الارتقاء من أجل بني آدم (النّاس جميعا). فإن كنتم أهل موضوعية؛ فلا يليق أن تتجاهلوا كتابا يملأه العلم والبيّنة؛ فأنا لا أقول لكم ادخلوا الإسلام، ولكن أقول: أنتم أهل علم، وها هو مصدر ثمين يملأه العلم آية وراء آية.

ولهذا؛ فلا ارتقاء لبني آدم إلّا والبحث العلمي مصدره، والفضائل الخيّرة مصدره، والقيم الحميدة مصدره، ومن يغفل عن ذلك ليس له من خيار إلّا الانحدار على بلاطة الدّنيا.

ومن ثمّ؛ فالارتقاء بالنّسبة لبني آدم هو: أمل قابل لأن يتحقّق ويتمّ بلوغه، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنة بين العُليا والدُّنيا؛ فالعُليا هي السّماء وما فيها من نعيم الجنّة وبقاء الحياة، أمّا الدُّنيا؛ فهي: الأرض، وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة وبين هذا وذاك، وجد الإنسان نفسه بين التّخيير تارة، وبين التّسيير تارة أخرى؛ فالتّخيير: (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحا أو تعمل طالحا، تَصدُق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمّا التّسيير: فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا؛ فالارتقاء قمّة، هو: ما يمكّن بني آدم من العيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة) وما يمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العليا (الباقية)؛ فبنو آدم لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة، ومن هنا؛ فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

فالإنسان ينبغي أن يعيش والأمل لا يفارقه؛ فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة فالله خلق أبانا آدم في النّعيم ليعيش وبنيه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزائلة (الحياة المنقوصة) حيث الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك؛ وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاء.

ولسائل أن يسأل:

أيّ حلّ تعني؟

أقول: حلّ أزمة الحياة الدّنيا، التي تتطلّب العمل، بهدف النّهوض، وغرض الارتقاء، وغاية بلوغ القمّة (الحياة الباقية) حيث تُرتق الأرض في السّماء بعد أن فُتقت منها.

فيجب الإقدام على العمل المشبع للحاجات المتطوّرة بلا حدود، ذلك لأنّ الحدود عوائق أمام التقدّم تجاه بلوغ الأفضل والأعظم. ولهذا؛ فلا ينبغي أن يرتضي بنو آدم بالفقر؛ فالفقر مرض ينبغي القضاء عليه بالعمل

المنتج؛ فلو عمل بنو آدم جميعهم، لما وجد الفقر مكان له على الأرض، ولأنّهم لا يعملون جميعا؛ فسيظلون فقراء مهما استغنى منهم من استغنى.

ولذلك؛ فالغنى رحمة؛ والفقر أزمة ومواجع، ولأنّهما كذلك، وجب على الأغنياء العمل إلى جانب ما يعملون ويجنون من مكاسب من أجل إزالة الألم عن الفقراء وتحويلهم إلى ميادين العمل المنتج ارتقاء.

فالغنى ارتقاء حقّ لا يكون إلّا نتاج العمل المرضي، أمّا الفقر ليس بحقّ، بل الفقر أوجدته أسباب وعلل ينبغي أن تزال. أمّا العجزة والقصّر؛ فحقوق عيشهم المرضي على كواهل العاملين من ذويهم، ولكن إن كان ذووهم يعيشون اتكالا على الغير؛ فالعيب لا شكّ أنّه سيلاحقهم ومن ورائهم سيلاحق المسؤولين في الدّولة.

إذن؛ فالارتقاء لا يمكن أن يكون على حساب الغير، بل يكون بجهودهم المشتركة حيث لا إقصاء ولا تغييب لأحد عن ممارسة حقوقه، أو أداء واجباته، أو حمْل مسؤولياته. وفي المقابل يحدث الانحدار والنّزول سُفلية لمن يتخلّى عمّا يجب التمسّك به حقّا وواجبا ومسؤولية.

ولذلك، ينبغي أن يعمل الجميع بهدف الاستغناء والحياة الرّاقية، وكلّما بلغ الجميع مستوى من العيش الرّفيع الرّغد يجب أن يفكّروا فيما هو أرفع وأرغد منه حتى تُرتق الأرض والسّماء بالعمل ارتقاء.

الارتقاء قيمة تفضيلية خصّ الله بها الإنسان خَلقا وخُلقا؛ فهو في خَلقه كان في أحسن تقويم، أمّا في خُلقه؛ فينبغي أن يكون على الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي أمر بها الخالق، وفضّلها النّاس، {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[38].

ومن هنا؛ فالفرق كبير بين تلك الزّواحف ومكبّة الأوجه، وبين من يمشي سويّا (مقوّما)؛ ذلك هو أمر الخالق؛ فلا يتبدّل، أمّا المتبدّل فهي الأخلاق التي هي بيد المخلوق.

ولذا؛ فلا إمكانية لتلك المخلوقات أن تتطوّر وترتقي كما يظنّ البعض لتصبح غير زاحفة، أو غير مكبة الأوجه وفي المقابل يمكن للإنسان الذي يمشي سويّا أن ينحدر خُلقا؛ فيضل ويظلم ويعتدي بغير حقّ، ومع ذلك فلن ينحدر خَلقا.

وهذا ما حصل مع الإنسان الأوّل (آدم) الذي خُلق في أحسن تقويم، ولم يُخلق على الكمال، إنّه الإنسان بين التسيير والتخيير الذي (يصيب ويخطئ)، وبين هذا وذاك يستغفر؛ فيتاب عليه، ومن ثمّ؛ فمخالفة أبينا آدم هي مخالفة تخييريّة ذات علاقة بالإرادة والرّغبة والشّهوة، وهذه مكامن العلل والضّعف النّفسي التي تجرّ لما لا ينبغي (للمخالفة) كما تجرّ لما ينبغي (الطّاعة والاتباع)، ولذلك؛ فحسن التقويم لا يتغيّر، أمّا حُسن الأخلاق في دائرة الممكن؛ فيتغيّر بين سُفلية وارتقاء.

---

[38] الملك 22.

ولأنَّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع رُقيّا؛ فلا استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب أن لا يصحّح ولا يقوّم، كما صحّحه أبونا آدم وقوّمه ساعة حدوثه، وساعة كشف علله، {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}39. ذلك لأنّ الكلمات الصّائبة تصحّح الأخطاء الواقعة، وهذه تتعلّق بارتقاء الأخلاق، ولا تتعلق بالخَلق الذي لا يتبدّل.

ومن ثمّ؛ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع لا بدّ وأن يقع الإنسان في الخطأ، أمّا الاستثناء في دائرة الممكن أن لا يُصححه، ولهذا أخذ أبونا آدم بالقاعدة: وهي متى ما وقع الخطأ وجب التصحيح الذي يوجب تصحيح المعلومات الخاطئة بالمعلومات الصّائبة.

وعليه:

فالارتقاء قيمة خُلِقَ الإنسان عليها من طين الجنّة عندما كانت الأرض مرتقة في السّماوات، {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}40. ولأنّ الإنسان الأوّل خُلق من تراب الأرض المرتقة في السّماء جنّة، كان خلقه في أحسن تقويم، {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}41.

---

[39] البقرة 37.

[40] الأنبياء 30.

[41] التين 4.

ولذا؛ فأساس خلق الإنسان التقويم الحسن دلالة ومعنى وصورة، أمّا الاستثناء أن لا يحافظ الإنسان على حُسن التقويم الذي خُلق عليه خلقا. وهذا ما حدث مع أبينا آدم عندما لم يأخذ بما أُمِرَ به وهو: أن لا يأكلّ من تلك الشّجرة، {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}42.

ومن هنا، جاء انحدار أبينا آدم عوضا عن الارتقاء الذي خُلق عليه خلقا. {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}43، حيث الهبوط على الأرض التي فتقت من السّماوات؛ فأصبحت أرضا دنيا إذا ما قورنت بما بقي في علوٍ (في السّماء). ولكن آدم الذي خُلق على حُسن التقويم تدارك أمره فاستغفر ربّه؛ فتاب عليه، {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}44. ولهذا؛ فقد استثنى آدم من الوجود السُفلي كونه تاب الله عليه بسبب استغفاره ورُقي إيمانه، {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}45.

وعليه:

---

42 البقرة 35، 36.

43 التين 5.

44 البقرة 37.

45 التين 6.

فالإنسان الأوّل (آدم) كونه قد خُلق في أحسن تقويم؛ فتقويمه الخَلقي لم يتغيّر، بل الذي تغيّر هو عدم أخذه بما يبقي الأخلاق ارتقاء، وذلك حينما أخذ بما يغوي، وهو: المنهي عنه، (أن لا يأكل من تلك الشّجرة)؛ فحاد آدم عن الخُلق الذي هو بيده تخييرا، ولكن لم يحدّ عن خَلقه المقوّم تسييرا، حيث لا إمكانية له في ذلك.

فالارتقاء خَلقا سيظل باقيا ومميّزا لبني آدم، ولن يتطوّر أكثر من حُسن التقويم، وكذلك لن ينحدر عنه؛ فهو الخَلق الذي لا يتبدّل كونه بيد الخالق، أمّا المتبدّل؛ فهو: الذي بيد المخلوق، وهي: الأخلاق، ومن هنا، أكل آدم من تلك الشّجرة، حيث الرّغبة والإغواء المزيّف للحقيقة، وهو الذي شوّه الأخلاق انحرافا.

تميّز الإنسان قوّة:

ولأنَّ الخَلق بيد الخالق؛ فلا تخيير، ولأنّه لا تخيير؛ فسيظل من خُلق مكبّ الوجه مكبّا، وسيظل الزّاحف زاحفا، وسيظل من يمشي سويّا على قوامه في أحسن تقويم، ومن ثمّ؛ فسيظل القرد قردا، والإنسان إنسانا، والسّمك سمكا.

ونظرا لأهمية الإنسان في الوجود الخلقي جاء خَلقه من عجلٍ، {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}46 والعجل هو الشيء الذي نجهله صفة، وندركه شيئا؛ فقوله: (من عجلٍ) أي: من شيء مميّز، ولم يقل: (على

[46] الأنبياء 37.

عجلٍ) أي: لم يقل (على تسرّعٍ)؛ فالخالق تعالى يخلق بالأمر لا بالجهد، ولهذا؛ فخلقه لا تسرّع فيه، ولأنّه لا تسرّع، قال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}47. مع العلم أنّ العَجل في كلام أهل حمير يعني: الطّين. وهذا المعنى ينسجم مع قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ}48؛ والسّلالة، هي: النّوعيّة الرّاقية من طين الجنّة حيثما كانت الأرض مرتقة مع السّماوات في علاها، وذلك، لأنّ خَلق الإنسان لم يكن على الأرض الدَنيا، بل كان خَلقه على الأرض قبل أن تُفتق، ويُهبط بها دُنيا، ولهذا؛ فالسّلالة تدلّ على أصول الخلق الآدمي من تراب الأرض المرتقة في السّماوات حيث رُقي طين الجنّة.

ومن هنا؛ فسلالة خَلق الإنسان خاصّة به، والسّلالة تعني الجّودة الرّاقية ذات الخاصيّة المتميّزة (جنس ونوع)، ولذا؛ فلا عجل، ولا عبثية في خَلق الإنسان الذي خُلق من طين الجنّة، والذي جودته تصلصل ارتقاء، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}49.

ولأنّ الإنسان الأوّل (آدم) قد خُلق في أحسن تقويم على القوّة؛ فهو من حمإ مسنون، (من مادّة ذات جودة عالية) حيث لا شائبة، ومن ثمّ؛ فلا طين يماثلها؛ فالطّين الذي خُلق منه الإنسان من صلصال (أرقى أنواع الطّين).

---

47 التين 4.

48 المؤمنون 12.

49 الحجر 26.

فخُلق الإنسان مُفضّلا على جميع المخلوقات بما فيها الملائكة والجنّ. {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}50.

ولأنّ الإنسان هو المفضّل خَلقا؛ فعلّمه الله نبأ ما لم يعلمه الملائكة، {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}51.

ولأنّ خلق آدم كان أكثر ارتقاء من غيره، سجد الملائكة إليه طاعة لأمر الله، {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا}52، أي: بأسباب الخَلق ارتقاء والنّبأ العظيم الذي تلقاه آدم من ربّه، كان آدم قوّة؛ فسجد الملائكة له طاعة للنبأ الذي أنبأه الله به قوّة.

ولأنَّ الجنس الآدمي هو المفضّل ارتقاء، كان آدم نبيّا للملائكة والجنّ والإنس جميعا، (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ). فلمّا أنبائهم سجد

---

[50] البقرة 30.

[51] البقرة 31 . 33.

[52] البقرة 34.

الملائكة إِلَّا إِبْلِيسَ (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ). وإلّا هل هناك من يشكّ في أنّ الذي سجد الملائكة له، لم يكن على الارتقاء مفضّلا؟

أمّا الخَلق الثاني: فهو الخلق المؤسّس على النّطفة (الماء الدّافق) {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ}[53]. وهذا الخلق هو الخَلق التزاوجي، الذي يختلف عن ذلك الخلق المصلصل، ممّا جعل السّلالة الثانية تختلف عن السّلالة الأولى؛ فالسّلالة الأولى: من طينٍ لازب، والسّلالة الثانية: من ماءٍ دافق ومَهين، {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ}[54].

ولأنّ الإنسان خُلق على الارتقاء؛ فينبغي أن يكون عليه قمّة وكأنّه كبد الكون، {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}[55]، أي: خُلق الإنسان على المحبّة؛ فينبغي أن يكون عليها كبدا تتألم مع من يتألم، وتأمل الخير مع من يأمله، وتعمل في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع على تحقيقه، وكذلك ينبغي أن تسعد مع من يسعد، وتسعى استقامة واعتدالا ولا مظالم؛ فتجمع ما تفرّق من أجل إعادة قيمة الإنسان وحفظ كرامته، وما يؤدّي به إلى الرّفعة والارتقاء.

قوّة الإنسان خُلقا:

[53] النحل 4 .

[54] السجدة 8.

[55] البلد 4.

تعدّ الأخلاق نتاج القيم الحميدة، والفضائل الخيّرة، التي تستمدّ من الأديان والأعراف ارتقاء، بها يرتقي الإنسان قوّة من أجل علاقات اجتماعية وإنسانية مؤسّسة على نيل التقدير والاعتبار.

فالإنسان أساس خلقه الارتقاء (في أحسن تقويم) وغايته الارتقاء خُلُقا إلى ما يجب؛ ومع أنّ الأخلاق بيد النّاس، ولكن البعض يخسرها بلا ثمن.

ولذلك؛ فالإنسان الأوّل قد خُلق قوّة من تراب الجنّة؛ وظل على قوّة خَلقه سلالة بشرية تمتدّ بين طينٍ لازب وماء دافق، ولا انحدار عن الخَلق المقوّم ولا تطوّر من بعده؛ فالإنسان هو الإنسان. ولكن الانحدار والتطوّر في دائرة الممكن هو بين متوقّع وغير متوقّع؛ فآدم وزوجه خُلقا في الجنّة من تراب الجنّة، ومع ذلك تعرّضا لإغواءٍ جعلهما على حالة من الانحدار عن القيم، حيث عدم التزامهما بالأمر النّاهي عن الأكل من تلك الشجرة، {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[56].

إذن؛ فالبقاء في الجنّة بقاء قوّة فضائل خيّرة وقيم حميدة، فمن لا يكون عليها لا يكون فيها، فحتى آدم عليه الصّلاة والسلام الذي خُلق في الجنّة خَلقا، أُهبط به على الأرض الهابطة إلى الحياة الدّنيا، وذلك بأسباب معصيته وميله لوسوسة من أغواه شهوة.

---

[56] البقرة 36 .

ولأنّ الأخلاق يتمّ تشرّبها فضائل خيّرة؛ فبعد أن تلقّى آدم كلمات من ربّه ترشد إلى التي هي أقوم تاب الله عليه، {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}57، ومع ذلك صدر الحكم عليه والأرض ومن عليها من المخالفين أن يهبطوا من علوٍ وارتقاء إلى سُفليّة ودونية، {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا}58.

ولأنّ الهبوط كان نتاج الانفتاق العظيم؛ فهو خروج من الجنّة، حيث ظلّت الجنّة في العلو رُقيّا، وظلّ آدم ومن معه من المخالفين والعصاة (الإنس والجن) يحيون الحياة الدّنيا على الأرض الدّنيا، وفي المقابل بقي الملائكة الطّائعون في علو الجنّة ارتقاء، ولا يتنزّلون إلى الأرض الدّنيا إلّا تنزيلا لأداء مهمّة تربط أمرا بين السّماء والأرض، نحن نجهله، {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}59.

ولأنّها الأرض الدّنيا، وحياة المخالفين والمختلفين عليها مملوءة وسوسة وإغواء، إذن؛ فلا إمكانية لأن تكون فيها الحياة آمنة مستقرّة لو لم تتنزّل الرّسالات والأنباء الواعظة والنّاهية والآمرة والمحذّرة والمنذرة والمبشّرة بما هو أمل يشبع حاجة ويرضي رغبة، وذلك من أجل علاقات إنسانية تنظّم

---

[57] البقرة 37.

[58] البقرة 38.

[59] القدر 3 ـ 5.

أساليب الحياة ارتقاء وتلفت المختلفين إلى ما يؤدّي إلى الاتعاظ، ويمكّنهم من إحداث النُقلة وبلوغ القمّة.

فأنزلت الرّسالات تأمر وتنهى، {وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}60. بمعني: يجب أن يكون الإنسان على الأخلاق الكريمة أينما كان، سواء كان آدم وزوجه في الجنّة ارتقاء، أم أصبحا وبنوهم على الأرض انحدارا، غير أنّ الحياة العليا بعد تلك الإغواءات قد جُرّدت من النقائص والحاجات التي أثّرت انحدارا على الإنسان الأوّل (آدم) ومن شاركه في المعصية أو حرّضه عليها، وأصبحت الحياة هناك ارتقاء كاملا.

أمّا بعد الهبوط؛ فَالفتن لم تنته، بل تكاثرت مع التزاوج والتكاثر، فالصّدامات والخصومات بين أبالسة وشياطين الإنس والجنّ استمرّت بلا انقطاع، ومع ذلك؛ فإنَّ بقاءها في الحياة الدّنيا هو بغاية الاتعاظ وأخذ العبر من ذلك الإغواء الذي كان سببا في هبوط المخالفين من الحياة الرّاقية إلى الحياة الهابطة.

ولأنَّ مخالفة آدم وزوجه لِمَا نهى الخالق عنه (الأكل من تلك الشّجرة قد أخرجهما من الجنّة)؛ فظلّ هذا الدّرس شاهدا على ما يمنع بني آدم من أن يدخلوا الجنّة. أي: بما أنّ تلك المخالفة قد أخرجت آدم وزوجه من الجنّة، إذن؛ فكيف لبني آدم من دخولها؟

أقول:

---

[60] البقرة 190.

قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}61.

ولأنّ أمر الهبوط كان أمرا حاسما لمخالفة جرت في الجنّة؛ إذن، ألا يعد أمر الهابطين أمرا حاسما في عدم الدّخول إليها؟ وهل من مخرج من هذه الأزمة، ومعظم الخَلق لهم من المخالفات ما لهم على الانحدار والدّونية؟

أقول:

قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}62.

ولأنَّ الدّين مصدر الفضائل والقيم؛ فلا إكراه فيه، وهذه عين الأخلاق؛ فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولذا وجب قول الحقّ وترك النّاس أحرارا يختارون ما يشاؤون إرادة، ولكن إن حدث الانحراف فوجب الإصلاح الذي يستوجب البدء مع المنحرفين من حيث هم (جهلا أو تعلّما)، وذلك من أجل بلوغ الإصلاح، أو بلوغ الحلّ ارتقاء.

ولأنّ الأخلاق ارتقاء هي أساس المعاملة الحسنة؛ فالأخذ بها، لا شكّ أنّه يجعل الإنسان على المحبّة بدلا من أن يكون على الإكراه الذي لا

---

[61] الأنعام 160.

[62] الزمر 53.

يترك إلّا أملا، {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}63. أي: فلا داعي أن يضيق صدرك يا نبي الله وأنت تعلم أنّ مشيئة الخالق هي الفاعلة، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا}64. لذلك، كان محمّد عليه الصّلاة والسّلام داع إلى سبيل الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا إكراه، وهذه عين الأخلاق ارتقاء؛ فالأخلاق تُعدّ قيمة ارتقاء في ذاتها، وهي عندما تتجسّد في السّلوك يصبح سلوكها قمّة. إذا؛ فمن أراد أن يكون قمّة؛ فعليه بالأخلاق الحميدة ارتقاء[65].

الفرد قوّة والجماعة أقوى والمجتمع أكثر قوّة:

الإنسان قوة هائلة، تُحقق نجاحات إذا ما استثمرت استثمارا أمثل يستمدها من القيمة التي قوّمه الله بها. هذا التقويم هو الذي جعل من الفرد قوّة، ومن الجماعة قوّة مضاعفة ومن المجتمع أكثر قوّة.

وبما أنّ الإنسان خُلِق في أحسن تقويم.

إذن هو مقوّم بما هو عليه من قوّة.

---

[63] يونس 99.

[64] يونس 99.

[65] عقيل حسين عقيل، من معجزات الكون (الخلق ـ النشوء ـ الارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م، ص 171 ـ 189.

ولهذا كل ما نراه قويا هو ضعيف أمام قوّة الإنسان العقلية والفكرية والمعرفية والعلمية والذّوقية. وأيضا مهما نظر للإنسان بأنه قوة، فهو الضعيف أمام قوة خالقه.

فالإنسان بقوّته يتفكّر ويتذكّر، ويتدبّر ويستقرأ ويستنبط، ويخطط ويقدم فينجز، ثم يُقوّم فيُصحح أو يُطوّر ثم يبلغ خلق الخوارق وهذه قوّة لا مثيل لها.

ولذا فالقاعدة هي:

الإنسان قوّة في دائرة الممكن.

والاستثناء هو:

الإنسان ضعف في دائرة الممكن.

ولأنّ الضّعف والوهن هو خروج عن القاعدة، لذا يعمل المتخصصون في التنمية البشرية والخدمة الاجتماعية والتربية وعلم النفس على دراسة الحالات، لأجل تحويل أصحابها من حالة الضّعف إلى حالة القوّة وفقا لقاعدة الممكن.

وعليه:

متى سيكون الأفراد أو الجماعات قوّة؟

أقول:

. عندما يندمجون بقوّتهم مع قوّة الآخرين بإرادة.

. عندما يتمكّنون من ممارسة حقوقهم.

. عندما يلتزمون بتأدية واجباتهم.

. عندما يكونون قادرون على حمْل مسؤولياتهم.

. عندما يكون لسان حالهم (نحن سويا). كقولهم لا للفساد، نعم للإصلاح- لا للكسل، نعم للعمل.

. بعدما يتمكنون من استيعاب بعضهم بعضا دون تفرقة ولا تحسّس.

. بعد أن يتمكنون من التطلُّع للآخرين.

. عندما يتهيؤوا إلى أحداث التغيير إلى ما هو أفضل وأحسن وأجود.

. عندما يلعبون أدوارا وصلاحيات واختصاصات بمهارات متنوّعة ومتميّزة.

. عندما يستثمرون إمكاناتهم المادّية الاستثمار الأمثل، تمشيا مع كلّ حلقة من حلقات التطّور والتقدم التقني والعلمي.

. عندما تُشبع حاجاتهم المتطوّرة.

. عندما تسود العدالة في ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات، ويقدر الأفراد والجماعات حق قدرهم.

. عندما يكون التطلّع للمفيد والنافع قيمة في السّلوك والفعل.

. عندما تصبح الثّروة ملكا عامّا لأفراد المجتمع دون أي حرمان من الملكية الحرّة والاستثمار الحرّ.

. عندما تلغى من القواميس السياسية والاقتصادية والاجتماعية كلّ كلمات الإكراه والإجبار والإقصاء والهيمنة بغير حقّ.

. عندما تكون الثّروة قوّة تمكّن الأفراد والجماعات من تجاوز الحدود.

. عندما يكون التعليم قوي ويمكّن من التغيير.

. عندما يرتفع المستوى الصحي للأفراد والجماعات؛ فالصحة قوّة، والأفراد الذين يغفلون عن هذه القوّة، يضعف مستوى أدائهم وإنتاجهم، ومتوسط أعمارهم. ولذلك فكلما كانت قوّة الإنسان وصحته سليمة، تمكِّن من تجاوز الصّعاب، والتطلّع بدون تردد إلى الأمام، بما يمكّن من تحقيق أهداف، وإنجاز أغراض، وبلوغ غايات.

ولأنَّ الإنسان كمفردة يعدّ قوّة، إذن يجب أن يكون لكلّ فرد دور يؤدّيه، ومن ينحرف عن دوره تصبح قاعدة الوجوب إصلاحه ليعود إلى مركزه الطّبيعي الذي ينبغي أن يكون عليه قوّة. ونظرا لوجود الفروق الفردية

في القدرات والاستعدادات والمهارات والتخصصات، فإن الأدوار تتنوع وفقا لذلك.

وعليه؛ فللإنسان قوّة في ذاته من حيث:

- قوّة العقل.
- قوّة الحواس.
- قوّة النّفس.
- قوّة العاطفة.
- قوّة الإرادة.
- قوّة القرار.
- قوّة التنفيذ.
- قوّة المتابعة.
- قوّة التقويم.
- قوّة التصحيح.
- قوّة التحدّي.
- قوّة الإنجاز.

ومن ثمّ؛ فالإنسان يستمدّ قوّته من قوّة خلقه على القوّة، ويستمدّ قدرتهُ من قدرتهِ، وكل معطيات القوّة يمكن أن تكون بيده إذا عرف أنّ عقله قّوة، وقدراته قوّة، ومهاراته قوّة. ومن هنا؛ فإذا فكّر وخطّط، ورسم الاستراتيجيات أنجز أهدافه بكل قوّة، وإذا لم يستثمر ذلك فلن يكون إلّا ضعيفا.

ولأنّ الإنسان قوّة في خلقه كمفردة بشرية؛ فهو أقوى على المستوى الجماعي والأكثر قوّة على المستوى المجتمعي.

وعليه فالقاعدة هي:

ـ الفرد أقوى بمشاركته الجماعة.

ـ الفرد أكثر قوّة بمشاركته المجتمع.

والاستثناء هو:

ـ الفرد ضعف إذا ما قورن بقوّة الجماعة.

ـ الفرد أكثر ضعفا إذا ما قورن بقوّة المجتمع.

ولهذا فإن القوّة الاجتماعية تكمن في الآتي:

ـ قوّة العلائق وترابطها.

ـ قوّة المشاركة وحجمها.

. درجة التفاعل وتماسكها.

. قوّة الدستور وتشريعاته.

. قوّة الدّين وتسامحه.

. قوّة العرف وأصالته.

. قوّة القوانين وشفافيتها.

. ممارسة الديمقراطية بإرادة.

. اتخاذ قرارات واعية.

. تنفيذ القرارات بوعي.

. حمْل المسؤوليات وتحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء.

. التطلّع للأفضل والعمل على إحداث النُقلة وصناعة الخوارق.

المجتمع مكمن القوّة:

ولأنّ المجتمع مكمن القوّة، فقوّته تُستمدّ من توافقه، وكذلك تستمد من زيادة إنتاجه وجودته، ومن حُسن إدارة مؤسسات الدّولة خدمية وإنتاجية، ومن تقدّمه علما ومعرفة. أي: تستمد القوّة من حُسن التنظيم الاجتماعي من حيث قوّة القيم والفضائل التي تجعل أفراد المجتمع وجماعاته في حالة وحدة لا في حالة تجزئة وانقسامات. وكذلك التنظيم

الاقتصادي من حيث قوّة الإنتاج المشبع للحاجات المتطوّرة، والمنافسة التي تُمكِّن أفراد المجتمع وجماعاته من التطلُّع إلى كل مفيد ونافع وأيضا التنظيم السياسي من حيث قوّة اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته وتقييم النتائج المترتبة على تنفيذه.

وعليه:

فالقاعدة البنائية تكمن في:

- قوّة التنظيم السياسي.
- قوّة التنظيم الاجتماعي.
- قوّة التنظيم الاقتصادي.

والاستثناء هو:

- ضعف التنظيم السياسي.
- ضعف التنظيم الاجتماعي.
- ضعف التنظيم الاقتصادي.

ولذا إذا أرِيدَ للمجتمع أن يكون قويّا؛ فعليه بتمكين أفراده من ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي في المجالات الآتية:

المجال الاجتماعي.

المجال الإنتاجي.

المجال السياسي.

المجال النفسي.

المجال الذوقي.

المجال الثقافي.

وعليه فالقاعدة هي:

ـ اعتماد القوّة في الكلمة.

ـ اعتماد القوّة في الفعل.

ـ اعتماد القوّة في السّلوك.

والاستثناء هو:

ـ عدم اعتماد القوّة في الكلمة.

ـ عدم اعتماد القوّة في الفعل.

ـ عدم اعتماد القوّة في السّلوك.

العقل قوّة:

ولأنّ ملكة التمييز قوّة، فإنّ تنميتها تجعلها في حالة فطنه، ولذا فتنميتها تُمكِّن الإنسان من التمييز والتبيُّن. ولهذا في ملكة التمييز الفطنة دائما في حالة تأهب واستعداد للإقدام واتخاذ قرارات صائبة، وتحقيق نجاحات على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

وعليه فالقاعدة هي:

ـ ملكة التمييز قوّة.

ـ تنمية ملكة التمييز فطنة.

والاستثناء هو:

ـ ملكة التمييز ضعف.

ـ عدم تنمية ملكة التمييز غفلة.

ولذا فإنّ تنمية ملكة التمييز تؤدّي إلى الآتي:

ـ زيادة درجة الوعي والفطنة.

ـ التبيُّن عن ثقة.

ـ معرفة ما يجب والإقدام عليه.

ـ معرفة ما لا يجب والإحجام عنه.

ـ استبصار مكامن القوّة ومكامن الضّعف.

وتكمن قوّة العقل في الطريقة التي يُفكّر بها الإنسان، وفيما يفكّر وإذا ما تمكّن أخصائي التنمية البشرية والاجتماعية من فهم الطريقة التي يُفكِّر بها الإنسان، وفيما يفكِّر، واكتشف مكامن القوّة والضعف، يستطيع أن يرشده إلى كيف يُفكر بقوّة فيما هو أصح.

إنّ عقل الإنسان، هو الذي يمكِّنه من استقبال المعلومات عن طريق الأعضاء الحسية، ونقلها إلى الدّماغ ليقوم بتحليلها وترجمتها في سلوك وفعل مُشاهد وملاحظ.

وعليه:

وجب خلق النُقلة في عقل الفرد أو عقل الجماعة؛ لتكون النُقلة في كيفية التفكير وفيما يجب أن يكون التفكير، لتكون العوائد منافع ومكاسب معرفية ومادية وهذا الأمر يتطلّب الآتي:

- تنتظم المعلومات في عقل الإنسان في شكل مسارات عصبية متّصلة، وكلّ معلومة أو فكرة تتحرّك في مسارها الخاصّ، بما يُعطي ترابط عصبي بين المعلومة المخزّنة في الدّماغ مع ردود أفعال كلّ إنسان. فعلى سبيل المثال: الإنسان الذي سبق وأن سُجن وأفرج عنه، فهو كلّما مرّ بأسباب مشابهة بالتي جعلته بين الجدران سجينا تفكره بترابط عصبي في تلك الأعوام التي قضاها وهو مسلوب الإرادة.

– في كلّ مرّة يحدث فيها ترابط عصبي، يبحث عقل الإنسان عن السّبب الذي جعله يشعر بالألم أو المتعة، ويُسّجله في جهازه العصبي، بحيث يتمكّن من اتخاذ قرارات أفضل حول ما سيفعله في المستقبل. ومثال على ذلك: ذلك الفرد الذي قام بفعل السّرقة وعوقب على فعلها، فحدث له ترابط عصبي قد يمنعه من تكرار حدوث هذا الفعل.

– أمّا الفعل أو السّلوك الذي يسلكه الإنسان لأوّل مرّة، ولم يقم بتكراره، يُولّد عنده رابطة عصبية سرعان ما تضمر وتفشل في إرسال إشارات عصبية تُحفِّز على تكرار السّلوك والفعل، وهنا يكون التغيير في السّلوكيات والأفعال المنحرفة بصورة أكثر فاعلية.

لذا يأتي دور المتخصّص، الذي يسعى إلى إحداث تغييرات في سلوكيات الفرد أو الجماعة المنحرفة انحرافا سالبا، حيث عليه أن يدرك أنَّ أي تغيير في السّلوكيات المنحرفة التي تسلك لفترة طويلة من الزّمن، تحتاج إلى طريقة فعّالة لإحداث التغيير؛ ذلك لأنّها كوّنت روابط عصبية قويّة في العقل البشري، ما يجعل الضّرورة تُلحّ على إيجاد بدائل في الأساليب، منها:

– تغيير الأساليب.

– تبديل الأساليب.

– تعديل الأساليب.

- تنوّع الأساليب.

عليه:

- قوّي إرادتك.

. صحّي نفسك من غفلتها.

. نمّي قدراتك.

. هيئ استعداداتك.

. استثمر إمكاناتك.

. استرجع ماضيك وأخضعه للتقييم.

. استقراء حاضرك وقارنه مع أهدافك.

. تطلّع لمستقبل أفضل.

. تحدى الحاضر واقبل بتحدي الصّعاب.

. أقدم على العمل ولا تتوقف عند التخطيط فقط.

. فكّر حتى تصنع خارقة.

الحواس قوّة:

الإنسان مقوَّم بحواسه، فبها يُميِّز ويدرك ويشعر ويسمع ويشم ويلمس وينظر ويشاهد ويُلحظ ويحب ويكره ويفرح ويحزن .

ولذا فإن القاعدة هي:

قوّة الحواس.

والاستثناء هو:

ضعف الحواس.

ولأنّ الحواس قوّة؛ فهي تكمن في الآتي:

- قوّة البصر.

. قوّة البصيرة.

- قوّة الاستماع.

. قوّة الإنصات.

. قوّة الإحساس.

- قوّة الذّوق.

- قوة اللمس.

- قوّة الحاسّة التامّة.

وبما أنّ الإنسان قوّة فليس له علاقة بالضّعف إلا إذا قورن بخالقه ومن ثمّ؛ فالذين يركنون إلى الضّعف هم الذين اختاروا الجلوس في قاعات الاستثناء التي لا يليق الجلوس فيها لمن خُلق قويّا. ولأنّ الأفراد والجماعات قوّة مندمجة بوحدتهم، فهم بها قادرون على إحداث النقلة كلما تمكّنوا من اكتشاف القوّة فيهم.

البصر قوّة: البصر نعمة من نعم الله علينا، فهو القوّة، التي تمدنا بقوّة النّظر والمشاهدة، حتى تُمكننا من الانتقال والامتداد الحرّ، وتمكّن البحاثة والأخصائيين الاجتماعيين من متابعة ردود الأفعال واستقرائها بوعي وتقصي دقيقين، حتى الوقوف على العلل والمسببات الكامنة والظّاهرة التي تؤثّر على المتغيرات ذات العلاقة بالموضوع قيد الدّراسة أو البحث.

ولذا كلما نظر الأخصائي الاجتماعي للعميل أو الفرد أو للجماعة، وأعينهم تنظر إلى أسفل وهم في حالة خشية يعرف جيدا أنّ ما في أعينهم من خشية هي القوّة التي تُمكّن العملاء من مشاهدة الأخصائي ولو خلسة ما يستوجب الفطنة من الأخصائي الاجتماعي والمشاهدة الواعية حتى لا تتم الغفلة عن كلّ مهمّ ونافع لدراسة الحالة سواء كانت حالة فردية أو حالة جماعية أو مجتمعية.

وهكذا عندما ينظر إلى الفرد والجماعة والعملاء وهم في حالة من الارتخاء، عليه أن يعرف أنّهم في حالة تجميع قوّة قد تكون خارقة،

فتمكّنهم من إخفاء الحقيقة عنه. لذا ينبغي أن لا تغفل عن أهمية المشاهدة وقوّتها، وأن يعرف بأنّه أمام قوّة، وحتى وإن اعتبر نفسه قوّة فعليه أن يعرف بأنّه أمام قوّة تمتلك المشاهد مثلما هو يمتلكها؛ فلا يستهان بمن هو أمامه من هم قيد الدراسة. ولا يغفل عن عنصر المفاجأة الذي قد يضعه في دائرة غير المتوقّع؛ فعلى سبيل المثال: من يدّعي المرض لكي يتحصّل على ضمان اجتماعي من الدّولة، يتظاهر بعدم المقدرة على العمل والإنتاج، إلاَّ ما يمكِّنه من التحرّك في خطى غير ثابتة. وبمشاهدة الأخصائي الاجتماعي له في المؤسّسة خلال فترة المقابلة، فقد لا يشاهد منه إلّا سلوك الكسالى الذي يتظاهر به بغرض استدرار عاطفته أو عاطفة العاملين في المؤسّسة. وبمشاهدته عن بعد في الزّمان والمكان اللذين لا يتوقّع أنّه يخضع فيهما للمشاهدة قد تجده من الذين يركضون ويحملون الأثقال. ولذا ما كان يظهره من سلوك مصطنع هو فقط لأجل حصوله على معاش ضماني (المعاش الذي يدفع لغير القادرين).

ولهذا فإنّ القاعدة هي:

قوّة المشاهدة والملاحظة.

والاستثناء هو:

ضعف المشاهدة والملاحظة.

وعلى الأخصائي الاجتماعي أن يعرف إنّ من يستطيع أن يُظهر الضّعف والوهن أمامه من العملاء؛ فهو قوّة، فلو لم يكن قوّة ما تمكّن من إظهار ضعفه أمام الأنظار، لأجل أن يحقّق غاية في نفسه، ولذا على الأخصائي أن يكون يقظا وفطنا وواعيا بمن هو أمامه من قوّة وإلّا سيقع في دائرة الممكن غير المتوقّع.

وعليه فإنّ الضّعف والوهن ليس دائما في المكوّن الكمي للزّبن أو العملاء أو الجماعة أو المجتمع، بل الضّعف في معظم الأوقات يتمركز على العقول التي تفكّر، والعيون التي تنظر، فمن المهم أن يعرف الأخصائي كيف يفكر الأفراد وكيف تفكر الجماعة؟ وفيما يفكّرون؟. وكيف يستطيعون تحديد أهدافهم؟. وكيف يخططون لإنجازها؟ وكيف يُهيئون أنفسهم لذلك؟ وكيف يستثمرون إمكاناتهم؟.

فالمتخلفون اجتماعيا أو ثقافيا أو اقتصاديا أو نفسيا أو سياسيا، يكمن الضّعف في الأهداف التي حددوها، والطموحات التي رسموها لمستقبلهم. ولهذا ينبغي إحداث التغيير في الطموحات الضّعيفة، إلى طموحات قويّة، تستمدّ قوّتها من قوّة المشاركين في إنجازها. فاقتناع الفرد أو الجماعة أو المجتمع بأنهم قوّة تُمكنهم من إعادة صياغة قوّتهم فيما يجب.

البصيرة قوّة:

البصيرة هي مرتكز قوّة الذّاكرة التي يستمدّ البصر منها قوّته، ولذا فهي التمييزية التي بها يتمكّن الإنسان من التمييز بين ما يجب ويقدم على أدائه، وبين ما لا يجب وينسحب عن أدائه، أو يمتنع عنه.

والقاعدة هي:

قوّة البصيرة.

والاستثناء هو:

ضعف البصيرة.

ولذا؛ فالبصيرة مُدرك عقلي، وليس مُدرك بصري، فيها موازين العقل ومميزاته ومدركاته. بها يتمكّن الباحث من التحليل والتشخيص والتعليل، حتى اكتشاف نقاط الوهن، ومن ثمّ يعمل على تقويتها أو تغييرها.

إنّ الغوص في هذا المدرك العقلي يُمكن من امتلاك الفطنة واليقظة التي بدورها تُحفّز على ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات دون تردد ولا تأخير.

وعليه:

ـ فكّر بعمق حتى لا تضمر بصيرتك.

ـ قارن بين الدّقيق والأدق منه حتى تقوى بصيرتك.

. فكّر في دائرة الممكن غير المتوقّع مثلما تفكر في دائرة الممكن المتوقّع.

. تمرَّن حتى تمتلك القوّة التي تُلفتك لنفسك وتُمكنك من ملاحظة الآخرين وما يدور من حولك.

. شخّص كلّ حالة تطّلع عليها لتكتشف خفاياها، وتختبر مقدرتك التي بها تتغذى البصيرة.

. استرع محفظتك من الذّاكرة وأخضعها للتقييم، ثم قوّم حالتك حتى تستبصر ما كنت عليه، وما يجب أن تُغيره بقّوة الإرادة.

. استوضح نفسك مثلما تستوضح شخصيات العملاء والأفراد الذين تتولّى حالاتهم بالدّراسة حتى تتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة، وإحلال محلها قوّة البصيرة، وتُسهم معهم في كشف الخفايا التي تُعثر أقوالهم وأفعالهم وسلوكياتهم حتى تنير الدروب المظلمة أمام بصائرهم، حتى يرشدوا إلى سبل الحياة الاجتماعية والإنسانية وفقا لقاعدة ما يجب، لأجل إحداث النقلة إلى ما هو مُفضّل.

. اكشف قوّة البصيرة للعملاء حتى يتمكّنوا من استقراء واستنباط الألم النفسي الذي يقع على الضحايا وذويهم (ضحايا الانحرافات السّالبة) حتى يستيقظوا من الغفلة التي انغمست أنفسهم فيها.

. لا تترك البصيرة ملكة عقلية للتخزين فقط، بل اجعلها في حالة حركة ويقظة مع ما يجري ويدور من تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وذوقية وثقافية في المحيط الاجتماعي والإنساني.

. اصحى وصحي العميل من الغفلة حتى يتمّ التعرّف على النفس وما يجري من حولها، واجعل العميل يستبصر أمره بكلّ موضوعية حتى يتذكّر الماضي الذي أسهم في غفلته عمّا يجب، واعمل على إعادته بكلّ ود إلى البيئة والمحيط الاجتماعي والإنساني.

. فتّش نفسك ببصيرة مثلما تفتّش شخصية العميل، وأكشف أسرارك بتجرّد أمام نفسك واسترها أمام الآخرين، وهكذا كُن مع العملاء حتى يستبصروا ما بهم دون خجل.

. تنزه في نفسك حتى تستبصر من أنت، وتستبصر ما لك وما عليك، وتعمل على الإصحاح.

. تحدّى عقلك بالتفكير فيه حتى تستبصر بصيرتك.

. اعرف أنّ قوّة البصيرة بقوّة التفكير فيها، فلا تغفل عنها، وإن قبلت بالإغفال عنها ستجدها السبّاقة على ذلك وتكون أنت من الخاسرين ولذا فالبصيرة تضعف عندما تدخلها الغفلة، ولهذا عليك بالانتباه والتيّقظ؛ فالغفلة تجعلك لا تعي بما فيك، وما لك من قوّة (قدرات واستعدادات وإمكانات وحيويّة). ولا تجعلك تعي بمن حولك من

الناس، أفراد وجماعات ومجتمعات أو حكومات ولا تعي بما تحاط به من ظروف ومواقف وإمكانات وما يحيطك من أفكار ومعلومات.

الاستماع قوّة: قوّة الاستماع تكمن في دقة التتبع وتوجيه حاسة السّمع عن وعي لكلّ كبيرة وصغيرة تُقال، ولذا فهي ترتبط بقوّة الإدراك حيت الاستماع القوي يؤدّي إلى المزيد من الإلمام بالموضوع.

وعليه:

. عليك بالاستماع إذا أردت أن تعرف ما يجري، أو أردت أن تعرف الحقيقة، فما يرويه المبحوث أو العميل قيد الدّراسة لا تستهين به؛ فهو مهمّ سواء أكان صائبا أم أنّه على درجة من درجات الخطأ أو الكذب. فإذا كان صادقا: فالأخذ به يفيد كثيرا. وإذا كان كاذبا، فأخذ الحيطة والحذر منه هو الآخر يُفيد كثيرا، ولذا فإنّ مثل هذا الأمر يُفطِّن إلى أهمية الإصلاح بعد معرفة المستوى القيمي الذي عليه شخصية العميل أو المبحوث.

. استمع مباشرة لذوي العلاقات المباشرة بالحالة أو الموضوع المدروس، واستمع أيضا لذوي العلاقات بهم، وعليك أيضا أن لا تغفل عن الاستماع لِما يُروى من المحيط الاجتماعي حتى تعرف عن بينة، وإن لم تفعل ذلك فقد يُغرّر بك.

. تفهّم ظروف الفرد والجماعة والمجتمع، حتى لا تصدر أحكام غير موضوعية، وقدّر كلّ خصوصية ظرفية وفقا للحالة والزّمان والمكان.

. هيئ العملاء للاستماع إليك، ولكن ليس كمستقبلين للمعلومات التي تصدر فقط، بل كمشاركين في عمليات الدّراسة. وعليك أن تعرف مثلما ترغب في استماع العملاء إليك هم أيضا يرغبون في استماعك إليهم بكلّ عناية وانتباه.

. رتّب أفكارك وفقا لأولويات ما تستمع إليه، ولا ترتبها وفقا لأولويات الموضوع الذي أعددته مسبقا، ففي بعض الأحيان لا يقبل العملاء الرّوتين ما يجعل بعضهم يسرحون وهم على حالة من الملل.

. الاستماع والانتباه عن وعي قوّة تُشعر العملاء بقوّة التّتبع التي يلاحقهم بها الباحث، وفي مقابل ذلك إذا شعر العملاء بغفلة أو سرحان من قبل الباحث أو الأخصائي الاجتماعي يصبحون غير مبالين بما يقال، وقد يستهترون بما يجري أثناء المقابلات معهم.

. الاستماع الجيد يهيئ العملاء للاستجابة؛ فاستمع جيد حتى يتهيؤون، وإلّا لن تبلغ المقاصد المهنية التي تسعى إليها، لذا فسلامة الحواس ضرورة بالنسبة للباحثين عن الحقائق بموضوعية.

الإنصات قوّة:

الإنصات تقصي لما يمكن أن يُسمع؛ ممّا يستوجب السّكوت من أجل الاستماع، وسكون عن الحركة التي قد تؤثر على استقبال ما يُستمع إليه، ولذلك فالإنصات بقوّة الانتباه هو إنصات بوعي وتتبع دقيقين. والسّكوت فيه تقدير للمتحدث، وهو متابعة بالعقل لأجل أن يتم استقبال الكلم.

وعليه:

ـ انصت بقوّة حتى لا تخسر شيئا من الحديث الذي تنصت إليه، وتابع منطلقات الكلم وأساليب إخراجه ودرجة شدته ومدى علاقته بالمتكلم من حيث التفاعل مع ما يقال من عدمه.

ـ اسكت فالسّكوت في وجوبه يمكّن من تجميع القوّة الشّاردة، حتى الإلمام بما يتضمّنه الموضوع وما يحتويه من متغيرات.

ـ أنصت حتى يتمكّن العقل من استقبال المعلومات ويتمكّن من تبويبها وتصنيفها وترتيبها حسب أولويات الموضوع أو الحالة قيد الدّراسة.

ـ تجاوب مع ما تنصت إليه بالسّكوت والاستماع، واعرف أن السّكوت في محلّة قوّة.

ـ أنصت حتى تتبيّن، ولا تستعجل على الكلام؛ فالكلام في غير محله ضعف، والإنصات في محله قوّة.

. تزامن في انصاتك مع بداية الحديث ولا تتأخر عن ذلك، حتى لا تفوتك بدايات الكلام، وحينها قد لا تتمكّن من معرفة القواعد التي يُبنى عليها ما تستمع إليه من حديث.

. أنصت فالإنصات قوّة انتباه تحقق التوافق بين المرسل للكلم والمستقبل له، كما تحقّق التوافق بين الكامن من الحديث والظّاهر منه.

. أنصت من أجل معرفة الحقيقة ومكامنها وخفاياها، حتى تتمكّن من التحليل الموضوعي والتشخيص بكلّ مهارةٍ وفنٍّ.

الأحاسيس قوّة:

الأحاسيس قوّة إيقاظ المشاعر بما يدور في المحيط النفسي والمحيط الاجتماعي والمحيط البيئي، من خلال كلّ ما يُلاحظ أو يُشاهد أو يُسمع أو يُلمس أو يُشم أو يُذاق. إنّها القوّة المعرفية التي تمدّ الإنسان بالطّاقة التي تجعله في حالة استيعاب أو في حالة إقصاء وتحديد مواقف قد تُتخذ في محلها وقد لا تتخذ في محلها.

وعليه:

. الإحساس قوّة، تحقّق الفطنة وترتبط بالمدركات الواعية التي تجعل الأفراد والجماعات يميّزون ويتمكّنون من الاختيار الحرّ.

التمييز الحسّي قوّة، تكمن في درجة التبيّن، التي تُمكّن من اكتشاف نقاط التداخل والخصوصية والاستقلالية بين المتغيرات المستقلّة والتابعة والدخيلة والمتداخلة.

. التمييز الحسي قوّة مقارنة بها تُصنَّف المعلومات وفقا للدّرجة والنّوع والجنس، وبما يميّز كلّ خصوصية عن غيرها، وبما يؤدّي إلى كشف نقاط التمركز المشتركة مع بعض الخصوصيات الأخرى وكذلك نقاط التشتت عنها.

. التمييز الحسي قوّة استيضاح للكلمة التي تحمل دلالة ومعنى، ومدى علاقتها بالموضوع حتى يتمّ فرز المتشابهات عن غيرها من المخالفات.

. يستدل الأخصائي الاجتماعي بقوّة الإحساس على ما يَقبله العملاء (أفرادا أو جماعات) وما يَرفضونه، قبل أن يبدأ في عمليات التشخيص.

. بقوّة الحسّ يتم التعرف على ما هو سلبي والعمل على تفاديه، وما هو إيجابي والعمل عليه أو العمل به.

. الحسّ قوّة استدلالية تربط المشاهد المحسوس بالملاحظ المجرّد الذي يُمكّن من ربط علاقات بين الأشياء كما يُمكِّن من فصلها بدلائل إثباتيه.

. الحسّ قوّة برهنة، يستند على معطيات ويصل إلى نتائج تُدرك بقوّة المنطق والحُجّة.

. الحسّ قوّة لغة وتفاهم بها تُكتب الكلمات بالملامسة، وبها تُقرأ حتى من قبل فاقدي البصر.

. ترتبط الأحاسيس بالوجدان الكامن الذي يتألم بما يترك أثرا سالبا على النّفس، وبما يترك أثرا موجبا عليها، ولكلّ منهما استجابة تختلف باختلاف الأثر ونوعه ودرجة حدته أو درجة مرونته.

. الأحاسيس قوّة تأهّب تستقبل المعلومة وتقدّمها للترجمة الفورية التي تمكّنها من التمييز لتستجيب سلبيا أو تستجيب إيجابيا، وفي كلا الحالتين فالعقل هو الذي يتّخذ القرار المناسب لكلّ فعل وفقا لقاعدة (لكل فعل رد فعل).

. قوّة الأحاسيس قوّة دافعة لتكوين علاقات مع الآخرين؛ فكلّما سلمت الحواس التي بها يتمّ الإدراك تكوّنت علاقات موجبة بين الأنا والآخر.

ولذا فالقاعدة هي:

1 . اتزان الأحاسيس.

2 . قوّة الأحاسيس.

والاستثناء هو:

1 . عدم اتزان الأحاسيس.

2 . ضعف الأحاسيس.

الذّوق قوّة:

الذّوق ملكة عقلية وقوّة يتمكّن من خلالها المتذوق من المعرفة الوافية، التي تُمكّنه من كشف العلاقات التي تتجسّد في المذاق، وكشف العلائق التي تربطه بالمجرّد، فهي لا تقتصر عند حد المشاهدة، بل تمتدّ لتشمل ما هو ملاحظ، ولذا ترتبط هذه الملكة الذّوقية بقوّة الإحساس مع ملكة التفكّر والتدبّر والتذكّر.

في الملكة الذّوقية تنعدم الغفلة وتسود الفطنة، حتى تتمكّن كلّ خلية من التناغم مع جميع الخلايا المتماثلة معها في المكون البشري، ما يجعل الذّوق محقّق الرفعة بين الأنا والآخر بالتماثل.

تتوحّد الأحاسيس والمشاعر مع الخيال الذي يسعى إلى طي الهوة مع الأمل حتى تتمّ ملامسة القيم التي تُعزز الإرادة، وتحقّق التفاعل الوجداني، بين الرّغبات والطّموحات التي تُمكّن الفرد من اكتشاف الحُسن الممتد في المسافة بين المشاهد والمجرّد.

الذّوق مكوّن قيمي، له من المعايير والمقاييس ما يمدّ الإنسان بوضوح الرّؤية ونضج القرار المترتّب على ذلك، ولهذا فالجمال قيمة ذوقية

لا يكمن في ذاته، بل يكمن في الجميل مشاهدا أو مُجردا، حركة أو سكونا، إظهار أو إدغام، تجويدا أو لحنا، لونا أو نغمة، وعليه لا يمكن أن يوصف الجمال بذاته، بل يوصف بالجميل الذي توحّد أو اشتمل فيه.

وعليه:

. تذوّق وفطِّن الآخرين إلى ذلك، فالذّوق حاسّة عقلية وملكة تنمو كّما تُنشَّط وتُستثار، وتضعف وهي تنتهي كلّما تُهمل.

. لا تستغرب فالذّوق قوّة ذهنية تستفز كلّ من يفكّر ذوقيا حتى تجعله متوّجا على قمم التأمّل وتُمكّنه من التقييم الموضوعي بعد تعمّق وانتباه عميقين.

. ميّز بذوقٍ رفيع؛ فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن يميّز بين ما فيه رفعة وبين ما لا رفعة فيه.

. عليك بمراعاة الذّوق العام واحترامه إذا أردت أن تنال الاحترام والتقدير من الآخرين.

. اعتبر الخصوصيات الاجتماعية التي يرتسم الجمال فيها كما هو يرتسم بها، ولا تغفل عمّا يُدخل البهجة والفرحة في النفوس، ولا تُعمم معاييرك الاجتماعية ومقاييسك الفنية الخّاصة وتفرضها على معايير ومقاييس الآخرين.

. اعتمد الذّوق قيمة لتبعث في نفوس العملاء القوّة التي تمدّهم بالرّفعة ولا تنظر للعميل أو المبحوث بنظرة دونية خالية من كلّ ذوق.

. إبدأ مع العملاء من حيث هم بلطف ولباقة ذوقية إذا أردت أن تغيّر أحوالهم أو حالاتهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه.

. كُن فطنا فالذّوق قوّة قيمية يتمركز على كلّ الأشياء الجميلة التي نتفاعل معها.

. اعرف جيّدا أنّ الإحساس بأثر القيم التي تُشكِّلها ملكة الذّوق، تختلف من شخص لآخر ممّا يترتَّب عليه تفاوت في درجات التذوّق لها، فالشخصية الواقعية مثلا: هي التي تعتمد على العقل في تقدير وتقييم الأشياء فتقْدِم على أداء الأفعال بعد أن تتبيّن وتعرف ما يجب وما لا يجب، فتكون العلاقة بينها وبين الآخرين علاقة أخذ وعطاء. أما الشخصية الأنانية، هي التي تعتمد على المصلحة الخاصّة، تقيّم الأمور برؤاها دون مراعاة للمحيطين بها، ما يجعل علاقتها معهم علاقة مصلحة.

الحاسّة التامّة:

الحاسّة التامّة: هي التي تتداخل فيها جميع الحواس، البصر والبصيرة والاستماع والإنصات والذّوق والتذّوق والحس والإحساس والشّم واللمس.

ولذا؛ فهي العملية التفاعلية للحواس، حول ما يُشاهد أو يُلاحظ أو يُدرَك أو يُستمَع له أو يُذاق أو يُشم أو يتمّ التفكير فيه.

إنّها الحاسّة (القمَّة) التي فيها تعمل جميع الحواس في وقت واحد وبكلّ قوّة، حتى تتجسّد الحركة في الفعل والسّلوك الذي يجعل المتحرّكين في حالة نشوة، ويقوى الإدراك، وتقوى البصيرة، ويتحقّق التفاعل، ويتحقّق الرُّقي الذّوقي الذي يجعل الإنسان قمّة.

وعندما يتمّ التداخل بين الحواس، يكون الشيء الذي نفكّر فيه ذو قيمة. ولهذا لا تحدث النُقلة بحاسة واحدة، بل تحدث بسلامة الحواس واكتمالها في وحدة واحدة تامّة.

وعليه، فالمس مع عقلٍ، واسمع مع بصرٍ، وشُم مع ذوقٍ، وتدبّر مع تذكّر وتفكّرٍ، وشاهدة مع ملاحظة حتى تكون في نُزهة ورفعة عالية وتنال الاعتراف والتقدير من الآخرين.

النّفس قوّة:

النّفس قوّة باطمئنانها، وبتأديتها للعمل الصّالح، وإقدامها على قول الحقّ وسلوكها لأفعال الخير، وكذلك عندما تحسن التصرّف والمعاملة وتهتدي إلى الطّريق المستقيم. وفي مقابل ذلك تأتي النّفس الضّعيفة الأمّارة بالسّوء وإلحاق الضّرر بالآخرين، وعندما تُظهر مالا تخفي، وعندما تَشُح في وقت ينبغي أن يكون فيه العطاء، وكذلك عندما تركُن إلى إصدار الأحكام الظّنية بغير حقّ.

ولهذا؛ فالفرد قوّة بنفسه، والجماعة قوّة بمجموع الأنفس التي تكّونها، والمجتمع أكثر قوّة، ولذلك يعمل أخصائيو التنمية البشرية والخدمة الاجتماعية على معرفة ماهية هذه القوّة وكيفية عملها، من أجل استعادتها إلى القاعدة (الإنسان قوّة).

وتكمن قوّة الأنفس في قدرات قابلة للنّمو، واستعدادات مهيأة للعمل الفعّال، ومشاعرٍ يخشاها الخوف.

ولذا فالقاعدة هي:

1 . قوّة النّفس.

2 . قدرات قابلة للنمو.

3 . استعدادات مهيّأة للعمل الفعّال.

مشاعر يخشاها الخوف.

والاستثناء هو:

1 . ضعف النّفس.

2 . قدرات غير قابلة للنّمو.

3 . استعدادات غير مهيّأة للعمل الفعّال.

4 . مشاعر يُداهمها الخوف.

ولهذا يجد أخصائيو التنمية البشرية والخدمة الاجتماعية أنّ قوّة أمامهم (موجبة وسالبة) الموجبة تسخّر في اتجاه ما يُمكّن من إحداث النُقلة للأفضل. والسُالبة، تستوجب تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة، ومن هنا، يجب أن يعمل الإخصائيون على تعديل السُلوك وتقويمه إلى ما يجب. ومع ذلك قد لا يُوفقون ما لم يتعرّفوا على مصادر القوّة عند العملاء والأفراد قيد البحث والدّراسة.

وعليه تستمدّ النّفس قوّتها من قوّة العقل وقوّة الحواس وسلامتها؛ فالأفراد والجماعات الذين يُفكّرون بوعي سليما يستطيعون تحديد أهداف واضحة ويرسمون خططهم بموضوعية ويحشدون الإمكانات المتاحة ويسعون إلى البحث عن المزيد المفيد.

العاطفة قوّة:

الحنان والمحبّة هما القوّتان التوأم مولودا قوّة العاطفة، ولهذا لا مِحنة ولا محبّة لو لم تكن العاطفة سابقة عليهما؛ فالعاطفة قوّة تقع في دائرة الممكن السّالب والممكن الموجب (المتوقّع وغير المتوقّع)، وهي التي تمدّ المولود بدفء الأمومة ودفء الأبوّة، وتمده بحرارة الالتصاق.

ومن باب الوجوب والضّرورة يسعى الإخصائيون إلى تقوية العاطفة الواعية بأهمية الأبوّة والأمومة والأخوّة والعمومة وحقّ الجيرة في الاحترام والمساعدة الهادفة.

ولأنّ العاطفة قوّة؛ فلا ينبغي الإغفال عنها أثناء تناول الحالات أو المواضيع بالبحث والدّراسة.

العاطفة إذا لم تستثمر في أوجهها تدخل في دائرة غير المتوقّع السّالب، ما يجعل الضّعف يدخل إلى نفوس الأفراد أو العملاء بدلا من دخول القوّة إليهم. ففي المواقف السّالبة عاطفيا لا يتمكّن الأفراد من اتخاذ قرارات واعية، ولا يتمكّنوا من رسم سياسات موضوعية، ولا يتمكّنوا من تصميم استراتيجيات لصناعة المستقبل النّافع والمفيد.

وعليه:

ـ كُن قويّا بقوّة عاطفتك لا بضعفها.

ـ كُن محبّا بصحوة نفسك لا بغيبوبتها.

ـ كُن حنونا بمودّتك لا بجحودك.

ـ ثق أنّك قوّة.

ـ تحكّم في عاطفتك دون أن تطمسها.

ـ ميّز بين المحبّة الثابتة والعاطفة المهتزّة.

مبدأ

الأمل يُصنع

ومع أنّ الإنسان ارتقاء خُلق مسيّرا في أحسن تقويم، لكنّه اختيار الحدر في غفلة حتى أصبح أقل شأنا عمّا خُلق عليه، وعندما لامس القاع سُفليّة أخلاقية أخذته الصّحوة والحيرة تملأ نفسه ندما؛ فاستغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، ولكن لم يتمّ ذلك إلّا بعد نفاذ الأمر وهو الهبوط به والأرض أرضا ومن هنا أصبحت تلك الحياة الخَلقية، التي خُلق فيها الإنسان الأوّل (آدم) جنّة لم تفارق عقله، وظلّ يأملها؛ حتى جاءت الاستجابة حافظة لأمله في العودة إليها ارتقاء.

فبعد أن كان آدم قد خُلق على الارتقاء خلقا، أصبح الارتقاء بالنّسبة له مجرّد أمل. ومع ذلك؛ فالأمل لا يتحقّق إلّا عملا؛ فمن عمل من أجله بلغ مأموله، ومن لم يعمل؛ فلا ارتقاء.

ومع أنّ الأمل بالنّسبة لبني آدم يرتبط بالمستقبل، ولكنّه بالنّسبة لآدم؛ فهو يرتبط بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسّماوات رتقا، ولهذا؛ فالأمل بالنّسبة لآدم هو العودة إلى تلك الجنّة التي فقدت في لحظة غفلة.

ومن هنا؛ فالأمل مع أنّه من حيث المفهوم واحد، ولكنّه من حيث الدّلالة ليس كذلك، ولذا وجب التفكير في الزّمن وضبطه بين ماض لن يعود وماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدون أنّ الجنّة حقيقة على قيد

الوجود؛ فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من السّماوات، ظلّت هناك في علوٍ، أمّا الأمل فظل منقطعا على الأرض التي أهبط بها ومن عليها من المختلفين والمتخالفين دُنيا.

وعليه:

ـ فكّر فيما تفكّر فيه حتى يصبح أملا يشبع رغبة مرضية ولا تكون على حساب الغير.

ـ جمّع قواك العقلية والفكرية وخطّط بما يمكّنك من تفادي الصّعاب وأنت تعمل من أجل بلوغ المأمول.

ـ حشّد الإمكانات وعدّ العدّة المناسبة لبلوغ المأمول.

ـ انزع التردّد من نفسك وتقدّم قوّة تصنع المستقبل.

ـ استعن بمن يمدّك قوّة تُسهم في اختصار الزّمن وتقليل الخسائر.

ـ اعرف أنّك كلّما أنجزت هدفا، وجب عليك تحديد أهداف أخرى أكثر أهمية حتى تحدث النُقلة إلى الأفضل المرتقب.

ولهذا؛ فالارتقاء قمّة، هو: ما يُمكّن بني آدم من العيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة) وما يُمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العلّية (الباقية)؛ فبنو آدم لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على

أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة، ومن هنا؛ فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

فالإنسان ينبغي أن يعيش والأمل لا يفارقه؛ فإن فارقه الأمل؛ فلا معنى للحياة؛ فالله خلق أبانا آدم في النّعيم ليعيش وبنيه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزائلة (الحياة المنقوصة) حيث الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك؛ وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعة وارتقاء.

ولذلك، ظلّ آدم وزوجه على الرّفعة الخلقيّة حتى أقدما على عمل المعصية؛ فانحدرا هبوطا من تلك الجنّة على الأرض الدّنيا، التي جُرِّدت من الصّفات التي كانت عليها عُليا.

ومن هنا، أصبح الصّعود للقمّة مطلبا وأملا لمن فقد تلك المكانة، وبقي الخَلق الحَسن على ما هو عليه حُسنا، ولكن الأخلاق أصبحت على الاهتزاز تتبدّل من حَسنٍ إلى سيء، وكذلك من سيء إلى حَسن؛ {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}66. فآدم وزوجه شاءا أن يؤمنا وأمل العودة إلى تلك الجنّة لم يفارقهما، ولكن بنيهما اختلفوا، بل تخالفوا على ما يؤدّي إلى الارتقاء، وما يؤدّي إلى الدّونية، حتى بلغ الاقتتال بينهم أشدّه. ومع ذلك؛ فالإصلاح بين المختلفين والمتخالفين لم ينقطع، وكذلك العفو والصفح ظلّا جنبا إلى جنب مع القصاص الحقّ.

---

[66] الكهف 29.

فالإنسان ينبغي أن يعمل والأمل لا يفارقه، وعليه أن يعرف إنّ العمل ارتقاء وحده يطوي الهوة بين الأمل وصاحبه وبين الحاجة المتطوّرة ومشبعاتها المتنوّعة.

ومع أنّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، لكنّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لا يعدّ هينا؛ حيث لا عودة إلّا بالعمل الصّالح المِمكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أمل آدم بعد أن كانت بين يديه.

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم أملا وعملا؛ فمن يعمل صالحا يقترب منها، ومن يعمل باطلا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه إرادة وشهوة، أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاء.

وعليه:

ـ كلّما تكتشف أنّك على شيء من الخطأ؛ فاعرف أنّ معلومات خاطئة قد علقت بك؛ فتخلّص منها؛ فصحّح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة ولا تتردّد.

ـ الخّلق وحده يمكّنك من الصّمود الموجب، وانعدامه يجعلك في سُفلية؛ فعليك بالخّلق ولا تفارق.

ـ الأخلاق تجعلك على الارتقاء وتمكّنك من بلوغ ما هو أكثر رُقيّا.

ـ ثق في نفسك إن أردت التحدّي، ولا تلتفت لمن يريد إغواءك عثرة من بعد عثرة.

ـ أعمل والأمل لا يفارقك؛ فالإنسان بلا أمل لا فرق بينه وبين من خُلق في دونية.

ـ ضع الدّروس نصب عينيك؛ ولا تنس ذلك الدّرس الذي تركه لنا أبونا آدم عليه السّلام، فهو بعد أن عصى ربّه بأسباب الأكل من المنهي عنه، عرف أنّ ما يُنهى عنه لا يكون إلّا مخالفا للفطرة الخلقيّة (في غير مرضاة الخالق)، أي: أنّ المنهي عنه، لا يكون إلّا لضررٍ، سواء أكان نفسيا، أم صحيّا، أم خُلقيّا؛ فآدم بعد أن أكل من تلك الشّجرة المنهي عن الأكل من ثمارها ندم وتألم، وظل على ما ألمّ به من ندمٍ وألمٍ حتّى غفر الله له ذنبه؛ ومع ذلك صدر عليه حكم الهبوط من الجنّة ارتقاء، إلى الحياة الدُّنيا على الأرض الدُّنيا.

ولذلك؛ فبأفعال المخالفة والمعصية يتمّ استشعار الذّنب؛ فيلد النّدم والألم في نفس من يأمل الارتقاء عمّا وقع فيه من معصيّة، ومن ثمّ، ليس

للإنسان إلّا أن يلتفت إلى نفسه استغفارا وتوبة تخرجه من التأزّم إلى الانفراج، وتعيده إلى حيث ما يجب أن يكون عليه ارتقاء؛ فآدم بعد الهبوط على الأرض الدّنيا لم يظلّ له أمل سوى أمل العودة إلى تلك الجنّة التي خسرها بعلل الشّهوة والرّغبة والإرادة.

ومع أنّ الزّمن في أذهاننا مقسّما بين ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ، ولكن التفكير تدبّرا في الوقت الآن لا يمكن أن يفصل مستقبل آدم المأمول عمّا نشأ فيه يقينا ولذلك؛ فالزّمن الحاضر كما يربطنا بما جرى ارتقاء؛ فهو يربطنا بما نأمل الارتقاء إليه، سواء أكان المأمول قد حدث في الماضي، أم أنّه سيعود إلينا ثانية.

ومع أنَّ خلق آدم وزوجه كان خلق قمّة في أحسن تقويم، ولكنّ آدم وزوجه انحدرا عن تلك القمّة باختيارهما، ومع ذلك عندما عرفا أنّ العلّة قد المت بهما وكانت من وراء انحدارهما هبوطا دونيّا، ندما واستغفرا لذنبهما؛ فتاب الله عليهما، ومن هنا، نشأ لديهما أمل العودة إلى تلك القمّة الماضية وهي بالنّسبة لهما هي الأمل المفقود، ولكنّ هذا الأمل المفقود لا يمكن أن يبلغ إلّا بالعمل ارتقاء.

وهنا يتداخل الزّمن؛ فما يأمله آدم وبنوه المصلحون هو: تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم وزوجه، ولكن كيف تكون تلك الجنّة هي الماضي، وتكون هي المأمول ذاته في المستقبل؟

أقول:

الجنّة خُلقت وجودا في الكون المرتق حيث لا وجود للأيّام، بل هناك اليوم الواحد (اليوم الآخر) الذي لا وجود للظُّلمة فيه، حيث لا مجال للشّروق والغروب، ولأنّه كذلك؛ فلا وجود للماضي والمستقبل، بل الوجود للحاضر، ولا شيء غيره.

فالمخلوق عندما ينتهي من الوجود الحي، ليس له من الأيّام إلّا الزّمن الحاضر، وكذلك عندما يُبعث حيّا لن يجد شيئا مسجّلا إلّا في الزّمن الحاضر الذي وحده سيكون الشّاهد الأوّل على الأعمال ثقيلها وخفيفها.

ولذلك؛ فكلّ حياة الإنسان هي زمنٌ حاضرٌ، وكلّ ما يعمله الإنسان فيها، ويتمّ استدعاؤه من الذاكرة لا يكون إلّا حاضرا في الزّمن الحاضر. أي: كلّ شيء يُفعل أو يُعمل لا بدّ أن تسجله الحياة في صفحاتها حاضرا.

فالزّمن دائرة، نقطة بدايتها تتمثّل في كلّ نقطة من نقاطها المتّصلة، التي عندما يوضع الأصبع على أيّ منها تعدّ هي مركز منتصفها، وفي ذات الوقت تعدّ نقطة نهايتها، وهنا، يعدّ الزّمن كلّه حاضرا، أمّا الأعمال في الزّمن؛ فهي الشّاهدة على من يقوم بها، ولهذا؛ يموت العاملون وتبقى أعمالهم حاضرة حيث لا وجود لماض يقبرها، بل الماضي يحفظها حاضرا.

ولهذا؛ فالآمال هي ما يحتويها الزّمن كلّه؛ فلا تقصر أمالك على المستقبل وحده؛ فهناك من الآمال ما قد أنجز، ممّا يستوجب الأخذ به عبرة وموعظة، أو العودة إليه كنز لا يفنى.

وعند ما تتاح لك فرص الاختيار؛ فلا تتسرّع، وكذلك لا ينبغي أن تتأخر؛ فلكلّ حسابه؛ فلا تغفل.

وعليك أن تعرف أنّ زمن تحديد الأهداف ليس زمن حصاد نتائجها، فزمنها زمن الزراعة والبذر؛ ولذلك؛ فالنّاس يحدّدون أهدافهم، ثمّ، يعملون على إنجازها وبلوغ الغاية التي من ورائها، مع العلم أنّ الزّمن بين تحديدها وبلوغها يحتاج إلى أعوام، وهذا يعني أنّ زمن تحديد الأهداف لم يكن هو زمن تحقيقها ولا تحقيق الغاية التي من ورائها، مع أنّ الزّمن الذي حُدّدت فيه قد أصبح ماض، وهو في ذات الوقت بالنّسبة لإنجازها أو بلوغها لا يعدّ إلّا مستقبلا.

ومن ثمّ؛ فتلك الجنّة بمقاييس زماننا هي ماض، ولكن إن سلّمنا بذلك، ألا يعني أنّ الماضي سيظل ماضيا ولن يعود؟ وإذا كان كذلك؛ فلا أمل فيه، ممّا يجعل التسليم به، وكأنّنا نقول: لا وجود للجنّة في المستقبل.

ولهذا؛ فمن يعمل، ثمّ يزداد نموّا وارتقاء؛ فلن يبلغ جنّة غير تلك الجنّة التي هي حاضر آدم وزوجه، وهنا، نقول:

إنّ الماضي المأمول هو المستقبل بعينه؛ فمن شاء بلوغه؛ فليعمل على مستقبل يربطه بالماضي ارتقاء؛ ولكن هذا لا يعني الاجترار، ولا يعني الالتفات إلى الورى، بل يعني: التقدّم تجاه المأمول نشوء وإبداعا منتج لكلّ جديد مفيد يرتقي بالنّاس إلى تلك الجنّة، وحيث ذلك الماضي الذي

خُلقت فيه الأزواج، والتي كان آدم وزوجه على رأسها في أحسن تقويم قمّة.

فالزّمن متصّل بلا فواصل، وما يسمّى بالماضي والحاضر والمستقبل، لا يزيد عن كونه فواصل من عندنا، وليس من عند الزّمن؛ فالزّمن هو الزّمن حاضرا، ولكن الأحداث التي تقع فيه تفصل بينها الأيّام التي بها تُعدّ السّنين، وفيها تُصنّف الأعمال بين من ثقلت موازينه من أجل العودة إلى تلك الجنّة أملا وارتقاء، وبين من خفّت موازينه انحدارا؛ حيث لا أمل له في ماضٍ لم يأمله مستقبلا.

ولذا؛ فَخَلق الكون مُرتقا، ونشوء آدم وزوجه فيه ارتقاء، ثمّ انحدارهما منه والأرض هبوطا، لا يلغي في دائرة الممكن أمل العودة إلى ذلك الكون متى ما تمّ رتقه كما كان أوّل مرة. {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ}[67].

يُفهم من هذه الآية، إنّ الخَلقَ والنشوء قد أوجدا كونا أوّلا (كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)، ثمّ أصبح الارتقاء فرصة، ولأنّه فرصة؛ فلا ينبغي أن تضيع من أيدي من سُنحت لهم؛ ولهذا؛ فأوّل المغتنمين لها استغفارا وتوبة كان آدم عليه السّلام؛ فتاب الله عليه بأمل العودة إلى حيثما كان عليه قمّة.

وبما أنَّ الارتقاء لا يكون إلّا حيثما توجد القمّة المأمولة؛ إذن؛ فلا ارتقاء إلّا إلى حيثما هي كائنة، ولأنّها قمّة كائنة وجودا؛ فهي وجود سابق

[67] العنكبوت 20.

على من يرغبها أملا لاحقا، ومن هنا؛ فالزّمن ليس هو ما نأمله، بل الذي نأمله، ما يحتويه الزّمن وجودا؛ ولذلك؛ فالزّمن هو الزّمن؛ فحيثما كان الماضي يكون المستقبل حاضرا.

ومن ثمّ؛ فالأهداف التي تصاغ في خِطّة بحثية في الزّمن الحاضر هي الأهداف المأمول إنجازها في الزّمن المستقبل الذي يوم أن تنجز فيه يكون هو الشّاهد (الحاضر) على إنجازها، كما كان هو الشّاهد حضورا يوم تحديدها وصياغتها.

ولأنّ النّشوء في دائرة الممكن ارتقاء يُمكّن من بلوغ الغايات؛ فالمزيد من التّأهب إليه يُسرّع بحركة إحداث النُقلة مع تسارع امتداد الكون إلى النّهاية؛ ولهذا، لن تستطيع تلك الأنظمة المعيقة للارتقاء أن تصمد أمام التسارع ارتقاء تجاه إحداث النقلة المأمولة، بل كلّ الأنظمة التي رَكِب أصحابها المصاعد إلى الأسطح، ولم يضعوا في حسبانهم أنّه لا نزول إلّا من خلالها؛ فهم صَعدوها بلا سلالم، وبقوا هناك إلى أن أُسقِطَ بهم أرضا.

ومن هنا، كان الفأر أكثر فطنة وذكاء من تلك القمم التي صعدت وبقيت هناك حتى أسقط بها أرضا في الزّمن غير المتوقّع؛ فالفأر ذات مرّة سُئل:

لماذا أيّها الفأر عندما تشعر بخطر تبدأ اللعب بذيلك؟

فقال:

ألا يكون من الأفضل لي أن العب بذيلي بدلا من أنْ العب برأسي؛ فأنا عندما العب بذيلي أفكر، ولكن عندما ألعب برأسي يُلعب بي.

هكذا هي الرّؤوس بلا أمل يُلعب بها، وهكذا هي الفئران تفكّر؛ فتنجو، ولذلك فالعيش بلا أمل ممكن، ولكن لا حياة بلا أمل، ذلك لأنّ الحياة لا تكون إلّا والأمل يملؤها، أمّا العيش فلا فرق فيه بين حيوان وإنسان، ولكن ما هي الحياة أمل؟ ومن هو الإنسان أمل؟

أقول:

الحياة الأمل هي التي لا يهدّدها الزّوال، وهذه لا تُبلغ إلّا إذا تجسّد الأمل عملا محفّز بالرّغبة والإرادة. ولهذا فمن يعمل من أجل بلوغها يصنع لنفسه أملا لا يموت حتى يورّثه لمن خلفه.

أمّا الإنسان الأمل؛ فهو الذي يولِّد من الفكرة فكرة تخرجه ومن معه من التأزّمات وتصنع لهم مستقبلا يحدث لهم نقلة تمكّنهم من عمل الخوارق حتى يعرفوا أنّ المعجز معجز.

ولذلك فالواعون دائما هم السبّاقون والمبادرون بصناعة الأمل الذي يقرِّبهم من رتق الأرض بالسّماء ارتقاء.

وعليه:

ـ فكّر فيما يجب قبل وجوبه حتى تكون سبّاقا قبل غيرك.

. اعرف أنّ الأمل لم يكن غاية، بل الغاية بلوغ المأمول؛ فاعمل من أجله إن أردته حقيقة بين يديك.

. تحدّى كلّ محيّرٍ حتى تتجاوزه معرفة، وتصبح السُبل أمامك بلا عوائق ولا معيقين.

. اصنع أملا؛ فالأمل لا يصنع نفسه، ولا يأتيك من الغير، واعرف أنّ المسافة بينك وبينه وإن كانت بعيدة فهي غير مستحيلة.

. فكّر في نفسك حتى تستكشف نقاط ضعفها، لتتجاوزها قبل أن يشار إليك من الغير بما يمكن الإشارة به إليك إحراجا.

. اعمل بحيويّة وتفاعل إن أردت القضاء على الملل المعيق لك من بلوغ المأمول.

. عرّف من لك علاقة بهم أنَّ الصّعوبات لا تصمد أمام الصّامدين في سبيل تحقيق أمالهم، وحفّزهم على التحدّي، ذلك لأنَّ قبول التحدّي لما يؤلم يمكّن من بلوغ ما يدخل البهجة.

. تجاوز بهم قصور التفكير عند المتوقّع رتابة إلى ذلك غير المتوقّع الذي تملأه الحيوية بما يرشد إليه من جديد أكثر وضوحا.

. لا تصدّق ما تسمع؛ فإنْ صدقت ما استمعت إليه وكأنّه المسلّمات فقد تقع في السُفلية والدّونية كما وقع فيها أبونا آدم عليه

السّلام حينما غرّر به إبليس؛ فكانت النتيجة مؤلمة (خروجه وزوجه من الجنّة).

. تأكّد أنّ وراء كلّ هدف أهدافا أخرى لا يمكن أن تعرف إلّا بعد إنجاز ما قد حدّد هدفا.

. تأكّد أن وراء كلّ هدف من الأهداف التي تمّ تحديدها غرضا ووراء كلّ غرض أغراضا جديدة.

. تأكّد أنّ وراء الأغراض غايات، ووراء الغايات غايات أعظم منها؛ فلا تملّ ولا تقنط.

. تأكّد أنّ التقدّم خطوات فاسرع تقدّما دون التسرّع.

. اعمل على صناعة الأمل؛ فالأمل يصنع بلا يأس.

. تأكّد أنّك على القوّة، ولكن عليك بمعرفة أنّ قوّتك لن تخرج عن دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) ولهذا؛ فلا إطلاق لقوتك، ومن هنا يكون الضّعف والوهن، ومن هنا، يجب الاستعانة بالغير لاستمداد أفعال القوّة الممكّنة من إنجاز ما يفوق القوّة الفردية، ولذلك فالآمال العظام تحتاج لتكاتف الجهود، ولا استغراب.

. الأمل دائما لا يتحقّق إلّا بتهيؤ الآملين (تهيؤ نفسيا وعقليا وبدنيا وصحة وتعليما وتأهيلا وتدريبا؛ فعليك بمزيد من ذلك إن أردت بلوغ أمل عريضة.

. اعرف أنّ الأمل لا يأتي إليك أبدا، بل الأمل تسعى إليه؛ فاسع فهو ممكن التحقّق، ولكن عملا.

. بلوغ المأمول يستوجب عدة وإعداد لها، فعليك بإعداد العُدة الممكّنة من بلوغ المأمول.

. الأمل يستوجب حوافز ودوافع حتى لا يتسلّل الملل إلى العقل والقلب والنّفس البشرية، وخير الحوافر والدّوافع (الرّغبة) حيث لا عمل ولا أمل بلا رغبة، ذلك لأنّ الأعمال والأمل بدونها تصبح أمنيات ليس إلّا. ولهذا فالأمنية شيء لا يستوجب الإقدام عملا، أمّا الأمل لا يكون إلّا والعمل أداته تخطيطا وتنفيذا مع وافر الرّغبة.

. الأمل عمل يستوجب الاستعداد إليه تأهّبا وعدة وإعداد ومن ثمّ استعدادا يُمكن الآمل من بلوغ أمله.

. الأمل يستوجب متأهّبا للإقدام على الفعل الممكن منه أملا، وذلك من خلال تنفيذ ما رسم من خطّة أو استراتيجية قد أعدت من أجل بلوغه.

ولسائل أن يتساءل:

الا تكون العلاقة بين الآملُ وأملهِ علاقة غاية؟

أقول: لا.

الأمل لا يزيد عن كونه شعور مرغوب، ولكنّه في حاجة لما يشبعه، أي: هناك علاقة بين الآمل وأمله، وهذا الأمر يجعل من الأمل حلقة وصل بدونه يكون اليأس هو ما تمتلئ به المسافة بين الآمل وما يمكن أن يكون له من آمال، ولذا؛ فإن حدث ذلك؛ أصبح الفرد أو الجماعة في مراحل الأمنيات وليس في مرحلة الآمال.

إذن وجب الارتباط بين الآمِل والمأمول بأمل لا يأس فيه. ومن أراد مزيد من الآمال؛ فعليه بمنابعها؛ فهي لا تستمدّ إلّا منها. إنّها الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي يرتضيها النّاس.

مبدأ

التهيّؤ يقظة

التهيّؤ التفات الإنسان لنفسه وما يجب أن تلتفت إليه، وهو صّحوة العقل والفكر لما ينبغي أن يوليه اهتماما، به تتولّد الفكرة من الفكرة، والحُجّة من الحجّة، والبرهان من البرهان، إنّه منبع الأمل المولّد لقيمة التفاني في العمل والإخلاص فيه.

فالتهيّؤ يقظة بما يجب أن يتمّ الإعداد والاستعداد له قبل أن يأتي، وهو تحفُّز لإظهار الأمل المتهيئ للظهور، إنَّه الحالة التي يبدو عليها الإنسان في حالة امتداد تجاه الآخر في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فالتهيّؤ نضج طبيعي ونضج معرفي بما سيأتي لأن يُفعل، كنضج الثمار لأن

تُجنى أو تُقطف، وكالبلوغ عند الإنسان الذي به يتهيأ للزّواج؛ وكالتهيّؤ للصّلاة والصّيام قبل أن يأتي موعدهما؛ فالتهيّؤ لا يتمّ إلا بمجموعة من التفاعلات المحفِّزة للقوى الكامنة في الأفراد قبل الاستعداد إرادة لفعل مخصوص؛ إنَّه الحركة بعد السّكون، واليقظة التي لا تغالبها الغفلة.

وهذا التهيّؤ ما هو إلا تجاذب بين المتوافقات والمتباينات في آن واحد، ممّا يجعل المتوافقات في أشدِّ حالات التلازم، والمتباينات في أقصى درجات الافتراق، وما بين التلازم والافتراق تصبح القوى الكامنة في حالة انتباه تجاه المرغوب فيه ممّا يجعل التهيّؤ بإرادة مرحلّةً متكاملة قبل الاستعداد والتأهُّب لأداء الفعل الذي كان مأمولا.

ولأن التهيّؤ قبلي؛ فهو الذي يسبق صورة الشيء قبل أن يصبح شيئا مفعولا، ولذا فلو لم يكن الشيء متهيئا للظهور ما كان ذلك الشيء ماثلا أمام المشاهدة والملاحظة؛ فالتهيّؤ هو المؤسّس للهيئة التي سيكون الشيء مصوَّرا عليها بالتمام؛ وكلُّ فعل لا يكون فعلا إلّا بعد أن يتهيأ ذلك الفعل في ذهن وعقل الذي سيفعله، فإذا أراد أحد أن يُظهر مشكلة بين النّاس لابدَّ أن يُهيئها للفعل، ومع ذلك لن تكون مشكلة إلّا إذا تهيأ لها فاعل بإرادة مع وافر الاستعداد ثم التأهّب لأجل الإقدام على أداء فعلها بسلوك على أرض الواقع؛ فالإرهاب لو لم تتهيأ معطياته وظروفه وأفعاله في ذهن فاعليه ليكون بين النّاس مفعولا ما كان له وجود بينهم، وبعد أن وُجِدَ الإرهاب ظاهرة مهيأة لأن تتحقّق بالقوّة أصبح الأثر

الإرهابي ذو وطأة على أنفس المرتهبين ممّا جعل أفعالهم تميل إلى التوازن والاعتدال بدلا من ميلها انحيازا بغير حقّ.

ولأنَّ التهيّؤ دائما يسبق إعداد العُدّة والفعل والسلوك والعمل، لذا فإنَّ صور المصنوعات لا تتحقّق على أرض الواقع إلّا بعد أن يكون لها هيئة في أذهان وعقول المبدعين لها، وعليه: لا يمكن أن يصنع الإنسان شيئا إلا بعد أن تتهيأ له صورته متكاملة؛ فالسكّين على سبيل المثال: لو لم تتهيأ صورته في عقل من صوَّره بعد تهيّؤ، ما كان السكّين على الصورة التي هو عليها دليل شاهد بين أيدينا؛ فقد تهيأ في عقل صانعه من حيث كونه صلبا ومتينا وحادّ أحد الطّرفين أو حادّ من طرفيه، وله مقبض يُمسك به من أجل وظيفة تؤدّى أو سلوكٍ يمارس أو فعلٍ يُفعل، وهكذا كلّ مصنوع لا يمكن أن يُصنع إلّا بعد تهيّؤه في ذهن العقل البشري، وكلّ فعل لا يُفعل إلّا بعد تهيّؤه في العقول، ولذلك فإنَّ أفعال الإرهاب لا يمكن أن تسبق تهيّؤاتها؛ فهي لو لم تكن قد تهيأت من قَبل في العقل البشري ما كانت أفعال متحقِّقة على أرض الواقع، ولذا فبعد أن تنضج الفكرة تُرسم لها الخطط المنفّذة ممّا يجعل المتهيئ في حالة انتظار ارتكاب الفعل بعد استعداد وتأهُّب لفعله.

ولسائلٍ أن يسأل:

كيف يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي في أنفس الأعداء؟

مع أنَّ الإرهاب لم يكن مادّي الصورة حيث لا شكل ولا مظهر له سوى الأثر السلبي الذي يمسّ النّفس الإنسانية، إلا أنَّ أثره لا يكون سائدا في النّفس البشرية إلّا بعد الإعداد له إعدادا ماديا، أي: إعدادا لِما يُظهِره وليس إعدادا لإظهاره. ولهذا فالإرهاب تُظهره العُدّة المرهبة للنفس المخيفة التي تعتقد أنّه لا مخيف لها، فتتفاجأ بأنَّ هناك من يُرهبها عتادا وعُدّةً وتأهبا.

إذن يتهيّأ الإنسان لإظهار الأثر الإرهابي بالقوّة العقليّة التي بها يستطيع أن يُدرك أنَّ الخوف سيضل سائدا بين قوي وضعيف إلى أن يمتلك من كان ضعيفا القوّة المرهبة للذين يعتقدون أنَّهم يُخيفون ولا يخافون، وبامتلاكه القوّة عُدّة وعتادا واستعدادا واستيعابا مع وافر التدريب والمهارة يصبح ما وصل الإنسان إليه من قوّة مرهبة قادر على إعادة التوازن بين الأنا والآخر دون سيادة للمظالم.

ومن هنا كان أمل البعض اكتساب القوّة القاهرة للإرهاب بغاية استتباب الأمن وإعادة التوازن، وهذا الأمر يستوجب إيقاظ القوّة العقلية ولفتها للمخاطر بهدف تجنّبها وتفادي أضرارها.

والتهيّؤ للفعل لا مكان فيه للتردُّد في نفس المتهيئ لأداء الفعل، ولا خوف في نفسه ممّا يجعل الإرادة مولِّد القوّة الدّافعة لتنفيذ الفعل في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فدائرة الممكن هي دائرة تيسير الفعل أو تعسيره، ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء الفعل أمرٌ ميسَّرا قد تواجهه صعاب

تحول بينه وبين تنفيذه بنجاح، وكذلك إذا أحد من البشر يرى أنّ فعلا ما لا يمكن أن يُفعل، ولكن أقدم آخر على فعله بنجاح، يوصف هذا النجاح بأنّه نجاح غير متوقّع فعله، ولكن لو لم يكن ممكنا ما فُعل، ولهذا الأفعال في دائرة الممكن قابله لأن تُفعل ولو تعسَّرت على البعض، ومن هنا تلد الخوارق من الخوارق.

فالتهيّؤ كونه إيقاظا عقلي؛ فهو يسبق القول والفعل والسّلوك والعمل؛ الذي بدونه لن يكون العمل أو الفعل إلّا وظيفة لا تؤدّى إلا بمقابل ولا تُقدَّر إلّا به؛ ممّا يجعل للإرادة مكانة تجعل التهيّؤ إيقاظ هو المحدِث للفعل والمحقِق للرّضا وإن كان على حساب الآخرين وما يحقّق لهم من طمأنينة، وفي مثل هذه الحالة وإن وُصِفَ الإرهاب من قِبَل الآخرين بما لا يتطابق مع مفهومه كما جاء في الكتاب الحكيم؛ فيظل هو المحقّق للتفاخر من قبل المقدِمين عليه إرادة.

ولأنّ الإرهاب فعل مقلق ولا إنسانية فيه فَلِمَ لا يلتفت العقل الإنساني يقظة إلى ما يُمكّن من تفاديه بسلام؟

قد يرى البعض إنّ هذا القول لا يزيد عن كونه أمنية، ولكن ألا يكون في دائرة المتوقّع وغير المتوقع أنَّ كلّ شيء ممكنا؟ فالمعطيات التي جعلت العقل يتهيأ للفعل الإرهابي، ألا تجعله يتهيأ يقظة إلى الحياد عنه أو القضاء عليه؟

وعليه: التهيؤ يقظة يلفت الإنسان إلى أهمية خلقه في أحسن تقويم، ومن ثمّ يلفته إلى المحافظة على حسن تقويمه بما يتشرّبه من قيم حميدة وفضائل خيّرة تمكّنه من تقبّل الآخر (هو كما هو)، كما تمكّنه من احترامه وتقديره واعتباره واستيعابه وذلك بهدف غرس الثقة المتبادلة وبغاية صناعة الحاضر والمستقبل المأمول.

التهيّؤ في مواجهة التهيؤ:

ولأنَّ لكلِّ فعل ردّة فعل فكما يتمَّ التهيّؤ لأداء الأفعال؛ فكذلك يتمَّ التهيّؤ يقظة لمواجهتها، وكما تُرسم الخطط لتنفيذ الفعل كذلك تُرسم الخطط لمقاومة الفاعلين له، فالذين يتهيّوون إلى ارتكاب أفعال الإرهاب بإرادة في معظم الأحيان يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أفعال المرهِبين بإرادة همّ الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكل قوّة، أمَّا أولئك الموظفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ الإرهاب أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين بقدر ما تكون أيديهم على الزّناد مرتعشة في حالة ما إذا كُتبت الحرب عليهم أو تمّ إعلان المواجهة بين الأنا والآخر ممّا يجعل أفعال المنفِّذين للإرهاب تبوء بالفشل كما تبوء به أفعال المقاومين له.

ولذلك فمن تهيّأ واستعدَّ لفعل وأقدم عليه ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ يقظة لِما يُغيّره عن الاستمرار فيه إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع لا تُصحّح إلا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، أي: دائما عندما يتوفّر حُسن النيّة تكون المعلومة الصّائبة وحدها

هي القادرة على تصحيح المعلومة الخاطئة، ولكن إذا لم تتوفّر النوايا الحسنة فستظل المعلومات دائما تحت أثر التزوير الذي به ينتشر الانحراف عن الحقائق.

إنّ الوقوف على حقيقة التهيّؤ وتهيُّأته التي يقوم عليها، تتوقّف على معرفة المصادر المغذية له، والفَلك الذي يدور فيه، فمدار فلكه يكمن بين العقل والقلب والرّوح والنفس، ومصادر تغذيته هي الأفكار والعواطف والانفعالات والغرائز بصرف النّظر عن سالبها وموجبها.

وكلما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا فإنَّ التهيّؤ لا يكون إلّا بمعطيات خَلقيّة وخُلقيّة، ومزيج من الوعي والمعلومات والأفكار، وما لها من علاقة وطيدة مع العواطف والأحاسيس فالتهيّؤ في نفس العاقل هو حالة من انعكاس الإدراك على الشّعور الداخلي من قضية خارجية، والإنسان يمتلك مزيجا من القوى العقلية والجسمانية والرّوحية وهي في آنٍ واحدٍ تُعِدُّ حالته في لحظة التهيّؤ المطلق قبل الاستعداد لأيِّ فعل من خلال تناسق قوى العقل والجسد والرّوح لتكون متهيئة على البدء لأنْ تستعدّ للفعل متى شاءت وأينما شاءت في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

وتُحدّد لحظة التهيّؤ يقظة من خلال العلاقة القائمة بين العقل والعواطف، إذ أنّ التهيّؤ لدى الإنسان يكمن في المساحة الحرّة بين العقل والعاطفة، وذلك عندما تستثار الغريزة بدافع من العاطفة، وهنا يكون الإنسان في وضع التهيّؤ، والذي يحجب التهيّؤ عن الاستعداد وصولا إلى الفعل هي الإرادة التي تتحكّم به لحين اتخاذ القرار.

وأمَّا مصادر التهيّؤ بالنسبة للإنسان؛ فهي الأفكار المكتسبة والممكِّنة من ذاكرة العقل، إذ أن العقل هو الميزان المعتدل بين سلسلة الأفكار السّالبة والموجبة التي تتأثّر بالحاجات وأساليب إشباعها، كما أنَّ الإرادة هي سلسة الممكِّنات من اتخاذ القرار الذي به يتمّ الاستعداد والإقدام على تأدية الأفعال المماثلة في السّلب والإيجاب.

إنَّ الأفكار التي تغذي العواطف وتستفزّ المشاعر وتُوَجِّه الأحاسيس، هي التي تدفع الإنسان فكريّا ثمّ تدفعه سلوكيّا ليكون على ما يكون عليه من تهيؤ وإرهاب. لذلك فمتهيئات اليقظة كامنة في العواطف بتعدّد الأفكار فعندما يكون العقل في أوجِّ نشاطه يسيطر على عواطفه ويجعلها في حالة اعتدال متوازن فلا تؤثّر سلبيا عليه، وأمَّا إذا اشتدّت العاطفة فإنَّها تستدعي معظم الأفكار الخاصّة بالحدث بمؤثِّرات خارجيّة عن طريق الإدراك الذي ينعكس شعورا داخليا يؤجّج العاطفة بحيث تصبح أكثر نشاطا من العقل.

فنشاط العواطف يُضعف من نشاط العقل قدرا يناسب قوّة العواطف وكذلك العقل يُضعف من نشاط العواطف درجة تناسب قوّته ونشاطه كلّما تهيّأ لمواجهتها يقظة من الضمير الذي يُقدِّر الأنا والآخر دون تحيُّز، ولذا عند ما يُصرف النّظر عن الفكرة المنشِّطة للعاطفة تتلاشى في العقل وتهدأ العاطفة فيزول التأثير على الغريزة التي تدفع التهيّؤ للظهور إلى حين ظهور المؤثّر الخارجي مرّة أخرى أو استدعاء الفكرة من الحافظة عن طريق الذّاكرة.

ولهذا فالتهيّؤ للقول أو الفعل يسبق اتخاذ القرار الذي بدوره الطبيعي لا يُتَّخذ إلّا بإرادة؛ فالتهيّؤ للقول يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، والتهيّؤ للفعل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

مكوِّنات التهيّؤ:

للتهيّؤ مجموعة من المكوِّنات منها:

تهيّؤ مادّي عقلي: إنَّ التهيّؤ المادّي العضوي هو تهيّؤ فطري، والمقصود به ما يتمتّع به الإنسان من أعضاء يستطيع أن يمارس بها أفعالا معيّنة؛ فنجد هذه الأعضاء مهيأة لذلك قبل مباشرة الفعل كالحواس جميعها؛ فالعين مهيّأة للنّظر والأذن مهيّأة للسّمع، والقدم مهيّأة للمشي واليد مهيّأة لاستعمالات كثيرة، وكذلك العقل مهيّأ لتقبُّل العلوم والتمييز والاستنتاج والاستنباط والاستقراء والتدبُّر، وباجتماع إحدى ملكات العقل

مع إحدى هذه الأعضاء يتولّد تهيّؤ ثنائي جديد بين الأداة المادّية والجانب الذّهني.

تهيّؤ مادّي نفسي: وهو اشتراك الأعضاء المادّية مع الجانب النفسي من انفعالات تدخل في تشكُّلات التهيّؤ، فعلى سبيل المثال: إذا شاهدت أفعى فسوف ينتابك شعور معين لا نستطيع أن نحكم عليه هو كما هو، بل هو على احتمالات منها:

أ- أن تكون خائفا؛ فتفكّر في الفرار؛ فأنت في حالة تهيّؤ.

ب- أن تكون حذرا؛ فأنت مهيّأ لتركها وشأنها.

ج- أن تكون مرتهبا؛ فأنت مهيّأ لمواجهتها إمَّا للإمساك بها أو لقتلها.

ومع أنَّها ثلاثة احتمالات إلّا أنَّ الاحتمال الأوّل لم يُعدّ من طبيعة ما يوصف به الثُعبان، فالثّعبان لا يخيف، بل الثُعبان مُرهب، أي: أنَّ العاقل هو الذي يُخيف لأنَّه عاقل قادر على التفكّر والتذكُّر والتحايل ومع ذلك فهو قابل للحوار والجدل الذي يؤدّي إلى معرفة وإدراك قد يؤدّي إلى مراجعة أو حُسن تصرّف، أمّا الثّعبان فهو غير عاقل وبالتّالي القاعدة تنصّ على أنَّ (العاقل يخيف وغير العاقل يُرهب) أي: أنَّ الصّاروخ والقنبلة النّووية وأيِّ قنبلة أو سلاح فتّاك، وأيِّ حيوان مفترس أو سام هو مُرهب،

أمّا العاقل فمجال التفاوض والتسامح حيّزه واسع والمواقف تتغيّر وتتبدّل في مُعظم الأحيان من سيء إلى أحسن كلّما أيقظ الإنسان عقله68.

أركان التهيؤ:

– **مُهيئ**: وهو الذي يقوم بتهيئة الأشياء للقيام بما أراد لها أن تقوم به أو لما أراد أن يفعل هو بها فالله سبحانه وتعالى هو المهيئ المطلق لكلّ ما في الكون من مخلوقات من أجل ما أراد أن يكون كما أراد هو؛ فالملائكة مهيأة لأن تكون على طاعة الله وتقوم بكلّ ما أمرها به من توزيع أرزاق وحفظةٍ وكتبةٍ وحملة عرش وغيرها من الأعمال التي يريدها عزّ وجلّ منها، والذي هي من الطبيعة التي هيأت عليها، وليست مهيأة للمعاصي وعدم الطّاعة، {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}69.

– **المُهَيَّأ**: وهو من يقع عليه فعل التّهيؤ من المهيئ من أجل فعل الفعل أو الغرض الذي يُراد منه.

– **مُهَيَّأ له**: وهو الفعل الذي حصل من أجله التهيؤ؛ فالإنسان مهيأ لأن يصلح الأرض ويعمّرها، وهي مهيأة كذلك لأن تستجيب لكلّ رغباته، وتكون مستقرّا له ومستقرّة كذلك؛ فلا تثور إلّا عندما يريد منها المهيئ المطلق ذلك.

---

68 عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، ص 26 ـ 35.

69 التحريم 6.

. **مُهَيأ به:** وهو ما يتمّ به تهييئ الشّيء لاستقبال المهيئ له أو للقيام بالشّيء المهيأ له.

كما أنّ الإنسان الذي خلقه الله تعالى هو أيضا مهيأ لأن يكون خليفة في الأرض فقد هيّأه المهيئ المطلق للأفعال التي يريدها من بعدة أشياء منها:

. العقل، الذي بواسطته يستطيع الإنسان أن يصل إلى حقائق الأمور ويدركها هي كما هي، وبه يفرّق بين الصّواب والخطأ، وعن طريقه يتخذ القرار بترك الأخطاء وما فيه ضرر له.

. الإرادة، التي بها يفعل كلّ ما يريد وكلّ ما اتخذه من قرارات عن طريق العقل سواء أكانت سلبية أم إيجابية، فيكون بذلك جزاؤه عليها عادلا لا ظلم فيه، فهو قد استحقّه بأفعاله التي اقترفها بمحض إرادته.

. القدرة والقوّة، والتي بدونهما لا يتسنى له أن يفعل ما قرره عقله وانعقدت عليه إرادته .

. الضّمير، الذي هو بمثابة الرّقيب على الإنسان والمحاسب له والرّادع عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى ضرر.

. حُسن التقويم، وهو المتمثل في هذه الهيئة التي عليها الإنسان من قامة منتصبة.

مستويات التهيؤ:

تهيؤ بمستوى الحدث حيث قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[70] إنّ إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام موقن بقدرة الله تعالى لعلمه أن الذي يخلق ويُميت قادر على أن يحي الموتى، وهذه القناعة إنّما هي تهيؤ للوقوف على الحدث لعلمه بأنّ الله قادر على إحياء الموتى، ولكنّه طلب من أجل الاطمئنان "أي أبصرني كيفية إحيائك للموتى بأن تحييها وأنا أنظر إليها، إنّما سأل ذلك ليصير علمه عيانا، وقد شرّفه الله بعين اليقين بل بحقّ اليقين الذي هو أعلى المقامات.

إذن هذا تهيؤ عن طريق اليقين المتولد عن الإخبار الذي مكمنه القلب وليس العقل، والسّبب في ذلك أنّك لا تستطيع أن تجمع بين صورة الموت والحياة في وقت واحد، إذ ليس لملكات العقل أفكار عن هذه الصّورة المكتسبة من الخارج، وليس له القدرة على تشكيلها في الدّاخل، أي لا في الذّهن ولا في الواقع، لذلك هذا النّوع من التهيؤ يقيني.

---

[70] - البقرة 260

ومثل ذلك أيضا في التهيؤ بمستوى الحدث قوله تعالى: {إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}[71] عندما سأل الحواريون عيسى عليه الصّلاة والسّلام هذا السّؤال، فما كان منه إلّا أن قال اتقوا الله، وهذا دليل التهيؤ واليقين، فهو متهيء لمثل هذا الفعل، وموقن بأنّ الله تعالى قادر ومستطيع على أن ينزل عليهم مائدة من السّماء، وأكثر من المائدة، فجوابه لهم عليه الصّلاة والسّلام، ولّد لديهم تهيؤ للحدث، بدليل أنّهم أجابوا مباشرة بقولهم: (نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا) فالتهيؤ الذي تولّد في نفوسهم كان تمهيدا لعذر وبيان الأمر الذي دعاهم إلى السؤال، وبهذا التهيؤ أزالوا الشّبه في قدرة الله تعالى على تنزيل المائدة، أو في صحة نبوّة عيسى عليه الصّلاة والسّلام، حتى لا يقدح ذلك في الإيمان والتقوى.

2- تهيؤ أعلى من الحدث ومثال ذلك قوله تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا

[71] - المائدة 112- 114

مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}72 فالتهيؤ عند نبي الله سليمان عليه الصّلاة والسّلام، أعلى من مستوى الحدث، لأنّه عندما سمعها تبسّم ضاحكا، وهذا التبسّم المباشر دون استغراب هو دليل التهيؤ المسبق ضمن دائرة الممكن المتوقّع، لأنّه مهيأ لمعرفة ما هو أبعد من منطق النملة، فقد أوتي من الله ملكا ما ينبغي لأحد من بعده، وذلك لما علّمه الله تعالى من منطق الطّير وحشر له الجنود من الجنّ والإنس وآتاه من كلّ شيء ما لم يؤته لأحد من خلقه، لذلك كان التهيؤ عنده أعلى من الحدث في سماعه ما تقوله النّملة لبني جنسها، لأنّه مهيأ لأكثر من هذا وأكبر منه بما آتاه الله من فضله.

وهذا النّوع من التهيؤ نقف عليه لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر في تثبيت المؤمنين وحثّهم على القتال وتبشيرهم بالنّصر حيث قال تعالى: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ}73؛ فالرّسول عليه الصّلاة والسّلام مهيّأ من ربّه لما في يقينه من قدرة الله تعالى من الإمداد من أجل النصر، وهو يريد أن يصل بأصحابه إلى أعلى درجات التهيؤ للنّصر

---

[72] - النمل 16-19

[73] آل عمران 124- 125

الذي وعده به ربّه عزّ وجلّ، ولذلك أخذ يهيئهم لاستقبال الملائكة الذين يكونون لهم مدد من أجل النّصر الموعود.

. تهيؤ أدنى من الحدث كما في قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}74.

إنّ موسى عليه الصّلاة والسّلام كان مهيّأ لأن يكلمه الله تعالى بما هيّأه به، علما أن الله تعالى لم يكلم بشرا إلّا وحيا أو من وراء حجاب: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}75 فلما كلمه من وراء حجاب اشتاق موسى لرؤية ربه تعالى وطلب منه ذلك.

غير أنّ التهيّؤ لسماع الكلام غير التهيؤ لرؤية الحقّ عزّ وجلّ، فقد سبق القول من الله تعالى أنّه لا أحد من خلقه يستطيع أن يراه في الحياة الدّنيا؛ فهو عليه الصلاة والسلام قد هيأه الله بقدرات يستطيع أن يسمع كلام الله تعالى، ولكن هذه القدرات من التهيؤ لا تقوم لرؤية الحقّ تعالى، فلمّا تجلّى الحقّ عزّ وجلّ للجبل وليس لموسى جعله دكا، علما أنّ التجلّي غير الظهور وهو أقل درجة منه، واختيار الله تعالى للجبل، لأنّه مهيأ أكثر

[74] - الأعراف 143

[75] - الشورى 51

من موسى عليه الصّلاة والسّلام، من حيث الحجم والشدّة وقوّة التحمّل. فموسى كان تهيؤه أقل من مستوى الحدث.

وهذه المراحل الثلاث توضح الاختلاف في مستو التهيؤ عند الإنسان، مع وجود ثوابت تدعم التهيؤ للحقّ وبما يجعل الإنسان المستخلف بمستوى الحدث نذكر منها:

أولا: كثرة المفاسد تهيئة للخروج من المفاسد، حيث أنّه مع كثرة انتشار المفاسد يصبح الكلّ متهيئ للإصلاح متطلع له فيكون هناك تهيؤ لاستقبال الرّسل والمبشّرين الذين يأخذون النّاس من الضّلال إلى الهداية، ومن الفساد إلى الصلاح.

وهذا لا يعني أن ينتظر المخطّطون وراسموا السياسات والإخصائيون الاجتماعيون أن تتّسع دائرة المفاسد حتى يتيسر لهم أمر الإصلاح، بل يجب أن يكونوا سبّاقين لها قبل حدوثها كي لا يحدث، أي: ينبغي ألا ينتظر المجتمع حتى تنتشر فيه المفاسد ليتم الإصلاح، بل يجب ألا يقع المجتمع في المفاسد أبدا، ومن هنا يجب تحدّي الصعاب من أجل الافيد والأنفع والأعظم.

ثانيا: إرسال الرُّسل مبشّرين بالجنّة ومنذرين من النّار، {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آَمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا

مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ}76؛ فقبل أن يهيئ الله تعالى الجنّة والنّار لاستقبال كلّ ما خلق؛ فقد هيّأ المخلوقين لذلك بأن أوضح لهم الحقّ والباطل، وترك لهم سلك الطريق الذي يختارونه؛ فمنهم من يتّبع الحق، ومنهم من يتّبع الباطل، ولكلّ حسابة ثوابا أو عقابا.

ثالثا: بالعلم الذي حث الإنسان للسعي وراءه لأنّه أصل الوصول إلى الحقّ والهداية، فالمولى عزّ وجلّ هو العليم المطلق وجعل من أبرز صفات الإنسان التي من شأنها أن تهيأه لأن يكون خليفة هو سعيه الدّءوب وراء العلم النافع والمعرفة الحقّ، قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}77، فمن الآية الكريمة السابقة يتضح ما للعلم من أهمية ودرجة كبيرة في تهيئة البشر للتعرّف على الخالق العظيم والوصول إلى مرضاته، وكذلك يجب على المتّصف بالعلم أن يسعى بين البشر به لكي يكون مهيئا لهم بتعليمهم تغذية عقولهم بما يجعلهم مدركين لكلّ ما يدور حولهم وتبصيرهم بما ينفع ويضر.

رابعا: بتوضيح العلاقة الصحيحة التي لابدّ أن يكون عليها البشر، فمنذ بدء الخلق تهيأت النّفس البشرية لأن تقبل الحقّ أو الباطل، وهذا ما تؤكده قصّة قابيل وهابيل كما جاء في قوله عز وجل: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا

---

[76] الأنعام 58: 60.

[77] فاطر 28.

بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}[78].

نستطيع من الآيات الكريمة السّابقة أن نستنتج قانون الحياة الذي يجعلنا مهيئين للخلافة في الأرض، وذلك من قول الأوّل (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) وهو الخوف من المولى عزّ وجلّ والسعي وراء السّلم والخير.

ففي هذه القصة تهيئة للبشر بتعليمهم أن الفوز ليس بالقوة والعنف وأن الخليفة يجب أن يكون مهيئا للسّلام ومهيئا له.

وعليه:

. تهيأ لما يجب والأمل لا يفارقك.

. انزع الخوف من نفسك بالخوف ذاته؛ فالخوف يمكّنك من أخذ الحيطة والحذر ويجنبّك الوقوع فيه، وعليك أن تميّز بين الخوف الذي لا يكون إلّا موجبا، وبين الجبن الذي لا يكون إلّا سالبا.

---

[78] المائدة 27: 31.

. استشعر ما يحقّق الرضاء لك وللغير، فالاستشعار به يهيئك لما يجب تجاهه.

. التّهيؤ صحوة عقلية؛ فنبّه النّاس وألفتهم إليه عبرة وموعظة لعلّهم يستنهضون ممّا هم فيه من كسل ويأس إلى ما يبعث الأمل في أنفسهم، ذلك لأنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، {إِنَّ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[79].

. التهيؤ يقظة من الغفلة المميتة للعقل والنفس إلى ما يحقق النقلة ويصنع المستقبل.

. وثق إنْ تهيأت لأملّ وفيه النّاس يتنافسون، فقد لا تفوز به إن لم تكن متهيّئا لهيئاتهم حتى تتجاوزها إلى الأمل وكأنك في الميدان لوحدك.

. الأمل يقظة يلفت الإنسان لنفسه وما يأمل؛ فاعمل على يقظة النّاس لما يجب أن يتوجّهوا إليه صحوة.

التهيؤ للحدث الخارجي:

وهو إمّا أن يكون موافقا مطابقا له، وإمّا أن يكون مخالفا:

1 – التهيؤ المطابق في قوله تعالى: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ

[79] الرعد 11.

أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}80 لقد وافق يوسف أباه يعقوب عليهما الصّلاة والسّلام في تهيؤ كلّ منهما للآخر، ذلك أنّ يعقوب لم يصدّق إخوة يوسف فيما ادعوه من أن الذّئب قد أكله، فقال: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}81، لذلك عندما فصلت العير قال: {إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ}82 وهنا؛ فهو مهيّأ لأن يجد ابنه رغم ما قيل له، وبالتّالي فإنّ يوسف عليه الصّلاة والسّلام كان يوافق أباه في تهيؤه، لذلك قال: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا}83، ونحن لا نقول أنّ هذا من توارد الخواطر كما اصطلح عليه نقاد الأدب عندما تتوافق الفكرة لدى أديبين، وإنّما هو نتيجة الأفكار المشتركة التي تتولّد منها قناعات معينة، والذي أطلقنا عليه الاستنتاج المؤدّي إلى التهيؤ.

2 -التهيؤ المخالف كما في قوله تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ، وَقَالَتْ: هَيْتَ لَكَ، قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى

[80] - يوسف 93-96

[81] يوسف 18.

[82] يوسف 94.

[83] يوسف 93.

بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ}[84].

إن تهيؤ يوسف عليه الصّلاة والسّلام عندما دعته امرأة العزيز، كان نابعا من أفكار كان قد اختزنها ممّا أسداه إليه العزيز من معروف في كفالته وتربيته ورعايته، وجلّ اهتمامه كان ينصب في هذا النّوع من التهيؤ الذي يريد أن يجازي الإحسان بالإحسان، وأمّا امرأة العزيز فإنّ الأفكار التي اختزنتها عن يوسف عليه الصّلاة والسّلام كانت قد سخّرتها في قضية أخرى وحوّلتها في اتجاه معين ممّا أجّج العاطفة التي استثارت الغريزة، بحيث أنّ شدّة العاطفة امتصت قدرات العقل ممّا سمح للإرادة باتخاذ القرار في أنّها غلّقت الأبواب وقالت هيت لك، قال معاذ الله، فإرادته عليه الصّلاة والسّلام اتخذت قرارها وفق ما كان مهيأ له، وإرادتها اتخذت قرارها وفق ما كانت مهيأة له أيضا، لذلك وقع التنافر بين التهيؤين لعدم تطابقهما، فكانت النتيجة أن قدّت قميصه من دبر.

إذن؛ فالتهيؤ يستوجب موضوعا يتمّ التهيؤ من أجله، وهو: (المأمول) ممّا يجعل الأمل حيويّة من أجل بلوغه، ولهذا، ينبغي أن يكون الموضوع لا ضرر فيه للغير، فإن كان الضّرر مترتبا على الأملا؛ فلا يعدّ الأمل امل، بل يعد عملا مشينا وفيه من المعيبات ما فيه، ولهذا يجب

---

[84] - يوسف 23، 25

تجنّبه، والنّهي عنه، وهذه من مسؤوليات المربّين والمعلمين والوعاظ وأصحاب التخصّصات المهنية بغاية مهن تؤهل إلى المفيد.

تهيؤ الأشياء:

هو انعكاس شعورنا الدّاخلي على الواقع الخارجي لإدراك تهيؤ تلك الأشياء بما نمتلك عنها من أفكار، لأنّ إدراك تهيؤاتها خاضع لإدراك ما وراء الحسّ، ذلك أنّ حقيقة هذه الأشياء أعمق من ظواهرها التي تبدو لحواسّنا. لهذا وجب على العقل أن يركّب أشتات ما يبدو له من أعماقها ليقف على تهيؤاتها، وهذا واضح تماما كما في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ}[85] .

إذ أن الماء عندما يتحلل إلى عناصره الأولية في حالته الغازية من الأوكسجين والهيدروجين يكون في حالة تهيؤ ليتحول إمّا إلى حالة سائلة وهو الماء وأمّا إلى حالة صلبة وهو التجمّد، فعدم رؤيتنا للأوكسجين والهدروجين هي من إدراكات ما وراء الحسّ، ولكن لامتلاكنا أفكارا عنها نستطيع أن نقف على تهيؤاتها التي لا تبدو لحواسّنا.

وكذلك فإن للحي غير العاقل تهيؤه، وهذا التهيؤ يختلف عن تهيؤ العقلاء والأشياء، لأنّ معطيات التهيؤ لنوع الحيوان غير النّاطق قائمة على

---

[85] - النور 43

الأعضاء والغريزة حيث نجد التهيؤ لدى الطّير بجميع أنواعه يعتمد هذين العنصرين، فإذا وقعت عينك على غراب ستجده يبحث في الأرض بمنقاره ورجليه، لذلك لم يهتدِ قابيل لما اهتدى إليه الغراب لأنّه غير مهيّأ لمثل هذا الفعل، {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}86 فهو مهيّأ لدفن غراب آخر.

ولأنّ الطير مهيّأ بخواص معيّنة فقد اختاره سليمان عليه الصّلاة والسّلام كي يوصل كتابه إلى ملكة سبأ لأنّه مهيأ لمثل هذه المهمّة، {اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ}87 ؛ فالهدهد له جناحان تؤهّله للطيران، أمّا اختياره دون غيره من الطّير، لأنّه مهيّأ لهذه المهمّة بالذّات، علما أنّ هناك من الطيور ما هو أقوى منه في البنية وأشدّ سرعة كالنّسر والصّقر والعقاب، و سبب اختياره أيضا لأنّه هو الذي أتى بالنّبأ {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ}88 فهو مهيّأ من هذا الجانب كونه رأى المكان والملكة وقومها وسمعهم يتحدّثون، وكذلك شكل الهدهد وجماله وكونه طائرا وديعا، وهذا يعني أنّه يتمتّع بمواصفات تهيؤه لأن يقوم بمهمّة إيصال الرّسالة،

---

86 - المائدة31

87 - النمل 28

88 - النمل 22

فاختار سليمان عليه الصلاة والسلام من وجد فيه التهيؤ لأن يكون رسولا.

وكذلك بقية الحيوانات من الوحوش وغيرها مهيأة لما خلقت له، ومصدر تهيئها هو الأعضاء والغريزة، فالسّباع والحيوانات المفترسة مهيّأة لأكل اللحوم، وتهيؤها لهذا العمل معلوم لدينا بما نمتلك عنها من أفكار، لذلك قال يعقوب عليه الصّلاة والسّلام: {قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ}[89]؛ فهو لعلمه تهيؤ الذّئب للافتراس وأكل اللحم خشي على يوسف منه، لذلك وجدنا إخوته عندما جاؤوا أباهم عشاء يبكون كان جوابهم له ضمن دائرة التهيؤ: {قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ}[90].

ومن ناحية ثانية أن السباع لديها تهيؤ للافتراس وأكل اللحم، وتهيؤها مصدره الغريزة والأعضاء، إلا أنها لا تأكل أولادها، فهو تهيؤ ضمن التهيؤ بأن لا تأكل أولادها، مع أن ذلك قاعدة استثناء، لأن هناك من الحيوانات التي تأكل أولادها.

إنّ تهيؤ الإنسان هو نتاج العاطفة التي تدفع الغريزة لإشباع الحاجة، كما أنّ صيادا يتهيّأ لصيد الطّريدة، أي مرحلة ما قبل الاستعداد

---

[89] - يوسف 13

[90] - يوسف 17

للرّمي، فإذا وصل إلى مرحلة الاستعداد، خضع لقرار الإرادة، وبالتّالي فإنّ الطّريدة تتهيأ من خلال استعداده لأنّها تشعر بالخوف عن طريق الغريزة، وهذا الخوف هو تهيؤ من أجل الاستعداد للفرار، ومعنى هذا أن جنس الحيوان يستمدّ تهيؤه من غرائزه.

أمّا الانتقال من التهيؤ إلى الاستعداد ثمّ مباشرة الفعل؛ فهو مرتبط بالعقل لدى الإنسان بما تكون عليه النتائج وفق الأخلاق التي يحملها، وأمّا بالنّسبة للحيوان فذلك مرتبط بالغريزة وردّة الفعل للانتقال إلى الاستعداد والتصرّف.

فالتّهيؤ لا يقتصر فقط على البشر، بل يتعدّاه لجميع الكائنات والمخلوقات الأخرى، فمثلا الحشرات تتهيّأ لاستقبال الشتاء والبرد بتخزين الطّعام لعدم قدرتها على التّحرك خارجا في البرد، فتهيئ نفسها على ذلك كالنّمل مثلا، وكذلك النّحل؛ فهو يتهيّأ لإنتاج العسل وصنع الخلايا، واتخاذ الجبال بيوتا، {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[91]،

والتهيؤ شعور يسبق أي ردّة فعل أو انفعال أو تصرّف يصدر عن المخلوقات بصفة عامّة وعن الإنسان بصفة خاصّة، لأنّ من شأن التهيؤ

---

[91] النحل 68: 69.

إذا كان في الاتجاه الصّحيح أن يجعل من الإنسان قويّا وحكيما لا يضعف ولا يفاجأ في الحياة فلا يحسن التصرّف في معالجة الأمور، ولهذا كان لابدّ من التهيّؤ حتى في أدق أمورنا وفي تفاصيل حياتنا اليومية كأن يتهيّأ الرّجل حتى في دخوله بيته لتتهيأ أسرته بالتالي لاستقباله، وكذلك كلّ شيء إذا ما أتيحت له الفرصة قادر على أن يتهيّأ وفقا لما هو متوقّع وغير متوقّع.

مبدأ

الإرادةُ تمكين

الإرادةُ امتلاك زمام الأمر بلا سُلطان خارجي، بها يتمكّن الإنسان من الاختيار الحرّ، وبدونها يُقهر، وهي الوعي بما يجب وبما لا يجب مع وافر الحرّية، حيث لا إرغام من أحدٍ، ومن هنا؛ فهي منبع الأمل للذين يأملون بلوغ غاياتهم بلا تدخّلات على حساب القيمة والكرامة الإنسانية.

والإرادة بدون تمكين الأفراد والجماعات من ممارستها تظل مفهوما مجرّدا ليس إلّا، ولهذا؛ فأهمية الإرادة هي أن تجسّد في الأفعال، حتى يتمكّن النّاس من بلوغ ما يأملون عملا وسلوكا، ومن ثمّ؛ فالتمكّن من الإرادة إرادي، أمّا التمكين منها فمسؤولية من يتولّى مسؤولية سواء أكانت أسرية أم اجتماعية أم وطنية أم إنسانية.

ولأنَّ الإرادة وعي بما يجب وبما لا يجب؛ فهي قرار يصدر للإقدام الاختياري دون إكراه على ما يجب أو ما لا يجب، مع تحمُّل ما يترتّب

عليه من أعباء ومسؤوليات، والإرادة وثيقة الصّلة بالوعي بفعل يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس، الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

والإرادة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع تكون مسؤولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسؤولة عن الأخذ بالبديل تحقّق للفاعل وللموضوع الاعتبار والاعتراف والتقدير، وعندما لا تكون مسؤولة عن اختيار البديل لا تحقّق لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا التقدير، بل تحقّق له النّدم يوم لا ينفع.

فالإرادة قرار يحمل مسؤولية، والمسؤولية لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب على ما سيقدم عليه من عمل أو سلوك حيث لا إجبار من أحدٍ، ومن هنا؛ فالإرادة تمكين هي: منبع أمل لمن قوّضت حرّيته أو حرم من ممارستها بإجراءات تعسّفية من قِبل الغير.

ولأنّ الإرادة تمكين هي منبع أمل؛ فهي نتاج قرار قابل للتنفيذ، وهي بعد التنفيذ في دائرة المتوقّع تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤولية دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة؛ فقد لا يحقّق للفعل إنجازا بأسباب الخوف والتردّد، وإن تمّ إنجازه إكراها فلن يكون مثالا.

والإرادة المسؤولة الواعية هي التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء جسام، ومن ثمّ فلا يترتّب عليها ندما، ولهذا؛

فلكلِّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي. والاستثناءات هي التي يقدم على أفعالها المارقون أو المنحرفون، وبخاصّة أولئك الذين يتربّعون على قمّة السّلطان ولا يحيدون عنه، وكأنّ الأوطان لم تنجب غيرهم من بني الوطن أو وكأنّ الشّعب (كلّ الشّعب) لا يوجد فيه أحد مؤهّل لممارسة الحرّية.

ولذلك في مقابل هذه القواعد المنظّمة للممارسة الحرّية تظهر الاستثناءات من قِبل الأنا (الشّخصانية)، ممّا يجعل مَنْ وضع نفسه على قمّة سلّم السّلطان مهيمنا على كلّ أمر سياسي واقتصادي واجتماعي في خانة الاستثناءات مطاردا، حتى وإن نصَّب نفسه شرطيًّا مدَّعيا سلامة الوطن والأمن العام وتنفيذ القوانين بحزم، أو حتى وإن نصَّب نفسه واعظا ومرشدا بما أنّه في دائرة الاستثناءات لن يكون إلّا مطاردا حتى النّهاية.

ولهذا؛ فكلّما اشتدّت المطاردة واشتدّت التأزّمات بين قاعدة الاعتبار وقمّة سلّم السّلطان، وهُدّد الآخرون بالموت من قِبل من هم في دائرة الاستثناءات، أصبح الموت عندهم مطلبا مع توافر الرّغبة، ولهذا؛ يفقد من هو على قمّة سلم السّلطان مكانته، ويفقد الشّرطي سلاحه، والواعظ حُجَته التي بها يلاحق الآخرين، ويكون كلّ منهم ضحية مستبدلا بلا ثمن.

وعليه؛ فأنَّ الموت الذي هو سلب الحياة يتحوّل إلى قيمة مقدّرة إجابا بها يتمّ نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار عندما يكون عملا يرجو الإصلاح أمل وارتقاء.

والبعض من النّاس يتصوّر أنَّ الإرادة هي حُسن الاختيار، لكن لو كان الأمر كذلك، لكان المسميان لمعنى واحد، والدّليل على ذلك أنّ الإرادة عندما تكون أمام أمرين فإنّها تختار أحدهما أو تستبدله دون الآخر، وكذلك؛ فإنَّ الإرادة عندما تتخذ قرارها يكون هذا القرار في اللحظة نفسها اتجاه هذا الأمر، أمّا الاختيار فيكون من أمور متعدِّدة يقع الاختيار على واحد منها يتمّ دفعه للإرادة التي تتّخذ قرارها فيه.

فالاستبدال، إمّا أن يكون بين أمرين، أو بين اختيارين وفقا لِما تمليه القيم، أو ما تمليه المصلحة، أو حتّى ما تمليه الأطماع، وإمّا أن يكون الاستبدال الإرادي من متعدّد البدائل؛ فالإنسان بإرادته الحرّة يستطيع أن يختار أو يستبدل ما يشاء وفقا لتفضيلاته، أو وفقا لِما هو أقلّ ضررا، أو لِما هو أكثر ضررا من غيره؛ فأصحاب الشرّ لا يفضِّلون غيره بإرادة، وأصحاب الحقّ والخير لا يفضّلون غيره، وهكذا كلّ شيء بإرادة، ومن بين هذا وذاك في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، يستطيع الإنسان أن يُرتِّبَ بدائله وفقا للمتاح مع مراعاته للظرف الزّماني والمكاني ولكلِّ خصوصية لا تتطابق مع خصوصيات الآخرين وإن تماثلت معها.

ولأنّ العلاقة قويّة بين الإرادة والاختيار والرّغبة في الاستبدال، ودرجة التفضيل بين ما هو قابل للاختيار منه، أو قابل لاستبداله بالكامل، فإنَّ التقييم للاستبدالات أو الاختيارات والتفضيلات يُسهم في تهذيب الإرادة وتطويرها وتغييرها من أجل استبدال ما هو أفضل أو أنفع، وهكذا تتحسّن الأحوال وتقوَّم من قِبل الواعين بما يجب وبما لا يجب لتكون السُبل ممهّدة تجاه غايات مستنيرة بالحقّ وموجبات إحقاقه.

فالاستبدال الإرادي هو في واقع الأمر تقديري، بمعنى أنّه يقوم على تقدير الأنا للقيمة المفترضة، ثمَّ تقييم تلك القيمة وصولا إلى قرار الضّرورة الإرادية للاستبدال؛ فالتعويض مثلا، هو استبدال إرادي لفاقد يجب تعويضه لضرورة أو لرغبة أو حاجة92.

ولهذا فالإرادة قرار اختياري يؤخذ بوافر الرّغبة تجاه كلِّ ما من شأنه أن يحقّق الرّضا في حدود الوعي بما يجب وبما لا يجب، مع تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليات، ولذا فالإرادة وثيقة الصلة بالوعي بعزيمة تحقّقها وتخرجها من المعنوي إلى المحسوس الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

والإرادة في دائرة الممكن قد تكون مسؤولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسؤولة تحقِق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف، والتقدير، وعندما لا تكون مسؤولة لا تحقّق لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا

[92] عقيل حسين عقيل، الهوية بين متوقع وغير متوقع، ص 178 . 180

التقدير، بل قد تضعه في السّجن أسيرا بين الجدران، ومع ذلك لكلٍّ مبرّره، والمهم في هذا الأمر بما أنَّها الإرادة؛ فهي المعبّر عن الحقيقة ولو تمَّ إنكارها اضطرارا.

وعليه ينتفي الإرغام والإكراه وكلّ أساليب الإجبار المهينة كلّما وعي الإنسان إرادة بما يعمل أو يفعل أو حتى فيما يفكّر ولِما يتهيأ ولمن يستعدّ؟ ومتى يتأهّب؟ وبماذا؟

فالإرادة هيّ قيمة تحقيق المكانة التي يسعى النّاس إليها، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين مستهان بهم سواءً أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا، ومن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر ويتّعظّ لن تكون له حاشية إلّا من المتّعظين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقّع فلا داعي للغفلة، ولا داعي لاستغفال الآخرين، ولا داعي لسلب إراداتهم.

ولأنَّ الإرادة حقّ؛ فينبغي أن تمارس بحرّيّة في دائرة ترسيخ الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ولأنّها حقّ ينبغي الاعتراف بممارستها، ولهذا يسعى الإنسان دائما لنيل الاعتراف لأجل تبوأ مكانة اجتماعية أو علمية وإنسانية.

وهنا ينبغي أن نميّز بين الإرادة الفرديّة والإرادة العامّة؛ فالإرادة الفردية هي في حدود الخصوصيّة التي تتساوى فيها مع خصوصيات الآخرين دون اختلاف وإن كان هناك تنوّع وتعدّد.

أمّا الإرادة العامّة؛ فهي التي يتمُّ توصيفها بصلاحيات واختصاصات تشريعية وقانونيّة، وهي القابلة للتقييم والتقويم وفقا لمعايير موضوعيّة متّفق عليها بمقاييس الجودة. ذلك لأنّ الإرادة قرار يحمل مسؤولية، والمسؤولية لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب عليه.

ولأنّ الإرادة نتاج قرار قابل للتنفيذ؛ فهي بعد التنفيذ تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسؤولية دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة قد لا يحقِّق للفعل إنجازا موجبا أو لم يُنجز أصلا بأسباب الإجبار والإكراه أو بأسباب الخوف والتردّد.

ومن ثم فإنَّ الإرادة المسؤولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب من أعباء جسام، ومن هنا فلا يترتّب ندم في نفس من أقدم على أدائها، ولهذا يكون لكلِّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي.

ولذا فمن يقرّر أن يواجهك عن إرادة؛ فعليك أن لا تستهين بالأمر؛ وعليك أن تعرف أنَّ الإرادة كفيلة بأن تُنجز في دائرة الممكن غير المتوقّع ما لم يكن في دائرة الممكن متوقعا93.

الإرادة قوّة:

---

[93] عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، ص 39 . 43.

الإرادة قوّة، من يمتلكها يمتلك زمام أمره؛ فهي النشاط الواعي الذي يَقدم عليه الإنسان الحرّ عن وعي وإدراك سابقين لأجل بلوغ غايات بعزيمة وإصرار وبدون تردّد، ولذلك فاتخاذ القرار عن وعي وتنفيذه بكلّ وعي وتحمّل ما يترتّب عليه من أعباء يدلّ على ممارسة الفعل الإرادي بين الأفراد والجماعات والمجتمعات البشرية، ومع ذلك لا إرادة إلّا بقدرة وقرار، وتنفيذ، ومسؤولية، وتهيئ نفسي.

ولهذا قوّة الإرادة will هي التي تُمكِّن الإنسان من ممارسة الحرّية.

وعليه فالقاعدة هي:

ـ قوّة الإرادة.

ـ اتخاذ القرار.

ـ تنفيذ القرار.

ـ حمْل المسؤولية.

ـ تنمية القدرة.

ـ التهيؤ النفسي.

والاستثناء هو:

ـ ضعف الإرادة.

ـ عدم المقدرة على اتخاذ القرار.

ـ عدم المقدرة على تنفيذ القرار.

ـ التخلي عن حمْل المسؤولية.

ـ عدم تنمية القدرة.

ـ عدم التهيؤ النفسي.

قوّة الإرادة تقوّي المناعة:

بما أنّ الإرادة تقوّي المناعة.

إذن القاعدة هي:

ـ قوّة الإرادة.

ـ قوّة المناعة.

والاستثناء هو:

ـ ضعف الإرادة.

ـ ضعف المناعة.

وعليه:

وفقا لقاعدة المتوقّع خذ بالقاعدة.

ووفقا لقاعدة غير المتوقّع لا تهمل الاستثناء.

ولهذا كلّما قويت إرادة العملاء قويت مناعتهم.

فالمناعة immunity سياج دفاعي يُحصِّن الأفراد والجماعات والمجتمعات من الانهيار، والاستسلام لِما لا يجب. ولهذا على الأخصائي الاجتماعي أن يعمل على تقوية مناعة العملاء حتى لا يستسلموا للمؤثرات السّلبية.

لذلك على الأخصائي الاجتماعي، أن يستثمر قوّة الإرادة من أجل تقوية بناء شخصية الفرد والجماعة والمجتمع على مبادئ وقيم تجعلهم على حالات من الاعتبار والرّقي في المهارة والمسلك، حتى لا يكونوا على حالة انسحاب وضعف ووهن وركون إلى كلّ سالب.

ولهذا، يستثمر إخصائي التنمية البشرية والأخصائي الاجتماعي قوّة الإرادة في تعطيل أنماط التفكير الخاطئة، وتنمية أنماط التفكير الصّائبة، التي تُمكّن الأفراد من أحداث النُقلة إلى مستويات الطموح المتطوِّرة عبر الزّمن.

القرار قوّة إرادة:

تكمن قوّة القرار في اتخاذه بمسؤولية، وفي درجة الوعي والإلمام به وبالمعطيات التي تستوجب إقراره. ولذلك كلّ قرار يُتخذ سيظل نوايا

وتصميمات مجردة إلى أن يتمّ الإقدام على تنفيذه، حينها يصبح القرار نافدا وذلك بتماثل العزيمة والإصرار مع الإرادة الفاعلة.

ولهذا فالقاعدة هي:

. قوّة القرار بإيجابياته.

. الإلمام بالمعطيات.

. التنفيذ الإرادي.

والاستثناء هو:

. ضعف القرار بسلبياته.

. عدم الإلمام بالمعطيات.

. التنفيذ غير الإرادي.

ومن هنا؛ فلا تحدث الأشياء إلا بقرار، ولا تنجز المهام والأعمال إلّا به، والقرار في دائرة الممكن المتوقّع هو الوعي بما يجب. أمّا في دائرة الممكن غير المتوقّع فهو عدم الوعي بما يجب. ما يجعل البعض يقدمون على أداء ما لا يجب. وهنا يفسح المجال أمام المتخصصين لممارسة أدوارهم المهنية.

كلّ شيء يقرّر إرادة:

ومع أنّ كلّ شيء بقرار ولا شيء بدونه، إلّا أن القرار لا يخرج عن كونه متوقّعا أو غير متوقّع. ولهذا كل القرارات هي في دائرة (الممكن).

وبما أنّنا نعرف أنّ كلّ شيء يقع في دائرة الممكن. إذن لا داعي للاستغراب.

وعليه: (كلّ شيء بقرار)، يساوي (كلّ شيء ممكن)، وبما أنّه لا مستحيل في دائرة الممكن. إذن علينا بقبول تحدّى الصّعاب دون خوف ودون تراجع.

وعليه من لا يتحدّى الصّعاب لا يُمكن أن يكون له مستقبلا رفيعا، ومن لا يُسرع قوّة وتدبّر لتحدّي الصّعاب لن يجد له مكان ليضع قدميه عليه أمام الحركة السّريعة للمتنافسين، ممّا يجعل البعض على الرصيف جالسين في دائرة المستقبل.

ولهذا كلما كان القرار الإرادي قويّا وكان تنفيذه قويّا، تجاوز أصحابه العقبات التي تحول دون إحداث النُقلة.

ولكي نتمكن من اتخاذ القرار عن وعي، علينا بمعرفة العلاقة التي تربط قوّة القرار بقوّة اتخاذه.

ولذا فقوّة القرار تكمن في الآتي:

. ما يحقّقه وما يترتّب على إنجازه.

. قوّة الالتزام بتنفيذه.

. استيعابه لكلّ من يتعلق الأمر بهم أفرادا أو جماعات أو مجتمعات.

. استيعابه للمتغيّرات ذات العلاقة بالموضوع.

. تجاوز محققاته لِما كان متوقّعا.

. إحداثه للمفاجأة الموجبة التي تُحدث استغرابا لكلّ من لا يتوقّعه.

أمّا قوّة اتخاذ القرار فتكمن في:

. قوّة القرار ذاته.

. قوّة المعايير والقواعد والأسس والمبادئ.

. قوّة التنفيذ.

. قوّة الهدف.

. قوّة الخطة.

. قوّة إعداد البرامج.

. وضوحه والمستهدف من ورائه.

. الإصرار على تجاوز السّلبيات.

. الاقتناع وعدم التردد بمبررات اتخاذه.

. بما يتركه من أثر موجب.

وعليه؛ فالإرادة وثيقة الصّلة بالوعي والفعل الذي يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس بفعل مادّي إرادي، وحينها يصبح الإنسان مسؤولا عما فعل بإرادته سواء أكانت مسؤولة أم أنّها غير مسؤولة.

– الإرادة غير المسؤولة: هي التي لا تحقّق لصاحبها الاعتبار والاعتراف والتقدير.

– الإرادة المسؤولة: هي التي تحقّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف والتقدير.

ولذا فلا إرادة دون موضوع واضح، ولذلك فبوضوح الموضوع تتحقّق الإرادة بالقوّة الدّافعة إلى الفعل بعد تهيّئ واستعداد وتأهّب.

فالإرادة مسؤولية والمسؤولية لا تكون إلّا بوعي تام بما سيتحمّله الإنسان لأداء ما يناط به من مهام، {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ

ظَلُومًا جَهُولًا}94، ولنا أن نقول: إنّ الأمانة هي خلافة الله في أرضه، وهذه هي المسؤولية التي تميّز بها الإنسان عن غيره من الكائنات، وليست العبادة فقط، لأنّ جميع الكائنات منقادة لله عابدة له تسبّحه وتقدسه، ومن ثمّ؛ فالإرادة تجعل الإنسان مسؤولا لأنّه لابدّ أن يكون على وعي بما يقدم على فعله95.

وعليه فالإرادة المسؤولة هي التي لا تكون إلّا عن وعي، وهي التي لا تحقّق النّدم لأصحابها، ولهذا فلكلّ شيء قاعدة إصلاحية واستثناء إفسادي.

القاعدة الإصلاحية:

- الدّفاع عن العِرض.
- الدّفاع عن الوطن.
- الدّفاع عن النّفس.
- تعمير الأرض.
- نشر الوعي بقيمة الإنسان في الحياة.
- الحث على العلم النّافع.

[94] الأحزاب 72.

[95] منطق الحوار ص 173 .

الاستثناء الإفسادي:

– التفريط في الوطن.

. التفريط في النفس.

. هتك العرض إفساد.

. تخريب الأرض.

. تعميم الجهل.

ولهذا فالإرادة قوّة تمكّن من حمل المسؤولية ولكن وفقا لصلاحيات واختصاصات مع وافر الوعي بما يجب، ووافر الإدراك تجاه ما يجب مع معرفة ميسّرة لحمل المسؤولية عن إرادة ورغبة.

مبدأ
الاستعداد حيطة

الاستعداد: جهد يبذل في تجميع القوّة وترتيبها وتصنيفها من أجل الفعل أو العمل المستهدف إنجازه، وهو يدل على تجاوز الغفلة تجاه ما يجب الإقدام عليه أو القيام به، وهو الضرورة التي تسبق أيّ عمل أو فعل، وبدون الاستعداد لا تُبلغ الآمال، ولهذا فهو منبع أمل لفعل يُفعل، أو

هدف ينجز، أو غاية تبلغ؛ فالاستعداد لا يكون إلّا عن دراية لما يجب، وهو أخذ الحيطة من الفشل، وتجنب الوقوع في السُفليّة.

الاستعداد مرحلة ما بعد التهيّؤ عن إرادة، وهو لا يكون إلّا مرحلّة لاحقة لهما ومعتمدة عليهما؛ فالاستعداد تجميع للقوّة المِمكِّنة من تنفيذ الفعل مع أخذ الحيطة من الوقوع في الفشل أو الغفلة، ولا يكون إلّا من أجل أهداف يُراد لها أن تنجز بما أُسِّست عليه من تهيّؤ وإرادة.

إنَّه استمداد للقوّة المعنوية والمادّية من مصادرها، مع اختيار الأجود والأفضل لأداء الفعل ومراعاة الظّرف الزّماني والمكاني والتوقيت المناسب.

فالاستعداد يكون لأداء الفعل من الفاعل المتهيّئ الذي امتلك الإرادة وجمَّع متطلبات الاستعداد المحقّقة للأهداف، وهو المرحلة التي يتمّ فيها إعداد العُدَّة وحصر الإمكانيات بعد دراسة وافية وخطة مُحكَّمة لتنفيذ الفعل؛ ولهذا فالاستعداد لم يكن العُدَّة ولا الإعداد، بل هو الجهد المبذول تخطيطا وتجهيزا من أجل توفير ما يستلزم لتنفيذ الفعل أو خوض المعركة قبل أن تشتعل نيرانها وتشبّ، ممّا يجعل العُدّة والإعداد جزءا من الاستعداد وليس متطابقتان معه في الدلالة والمعنى.

فالعُدّة هي استحضار وسائل القوّة المادّية بأدواتها التي تُمكِّن من أداء الفعل، وهي مجموعة الوسائل التي يستعين بها الإنسان ليتوجَّه إلى ما يُمكن أن يحدث في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولذا فما يعدّه

الإنسان لحوادث الدّهر من مال وسلاح لمواجهة ما يهدّده يجلب له نفعا أو يدفع عنه ضررا يسمى العُدّة.

أمَّا الإعداد؛ فهو الذي يُمكِّن من ممارسة الفعل بنجاح ويمنح المستعدّ الكفاية، وهو تدريب عملي على استخدام ما يمتلكه المستعدّ من عُدَّة تعينه على جلب نفع أو دفع ضرر.

والعلاقة وثيقة بين الاستعداد والفعل، فلا يقدِم على الفعل ويحقّق النّجاح أو الفوز إلّا المستعدّ بإعدادٍ جيدٍ؛ فإذا كان الهدف دخول الامتحان وتجاوزه بنجاح، فلابدّ من الاستعداد له قبل أن يأتي، أي: يجب القراءة والمراجعة والتعرّف على الممكن المتاح حتى لا تحدث المفاجئة يوم الامتحان. وكذلك إذا كان المستعدّ له دخول حرب؛ فلابدّ من الاستعداد النفسي والمعلوماتي والتدريب والتأهيل ورسم الخطط الرئيسة والبديلة، وكلّ ما من شأنه أن يفاجئ الخصم ويقلل الخسائر وفي المقابل يحقّق نصرا.

الاستعداد يستوجب اجتماع النيّة وتمام القصد في أداء الفعل مع تحمُّل نتائجه سلبا وإيجابا، وهذا يجعل (الاستعداد) من الرّسوخ في القلب بمكان، فإذا امتلك المرء أدوات الاستعداد أقدم على فعل يُنجز عنده، وقد يكون غير متوقّع الإنجاز عند غيره؛ فالفشل مفردة منزوعة من قلب من تهيّأ للنجاح بإرادة واستعدّ له.

فالاستعداد هو أخذ الحيطة والحذر واستحضار القوّة العقليّة والفكريّة والنفسيّة والمادّيّة التي تؤدّي إلى الإقدام على تنفيذ الفعل دون

تردّد بعد اتخاذ الإرادة قرارها؛ فالأفراح والأحزان والحرب والسّلام والأعياد والمناسبات، كلّها مواقف ومناسبات يتمّ الاستعداد لها باستمداد القوّة المادّية والمعنوية التي يستطيع الإنسان من خلالها أن يسيطر على تلك المواقف، ويُسخِّرها وفقا لإرادته كما يشاء ويرغب أو كما يُفضّل ويستحسن، وللاستعداد أنواع منها.

الاستعداد الذهني: الانتباه لا يكون إلّا بعد فطنة واستعداد وإلّا سيجد الإنسان نفسه غافلا وسارحا وهو لا يدري عمَّا هو غافل وفيما هو سارح الذّهن، ومن ثمّ؛ فالاستعداد الذهني هو المؤسّس للقناعات التي لا تكون إلّا مع الإرادة أو بها، ولا يتمّ هذا الاستعداد إلّا بالانتباه والفطنة والوعي بمعطيات الأمور في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فالاستعداد الذّهني يحتوي على الإلمام الفكري والثقافي وفقا للمدركات العقليّة، ممّا جعل العقل البشري يختزن معلومات شتى من العقائد والعلوم والفنون والمهارات والبيئة والحياة العامة وكلّ ما له علاقة بحياة الإنسان وما يتعلّق بهذه الحياة، وبخاصّة أنَّ الجانب الفكري هو عماد الأمور في جميع المسائل التي تصبّ في مصلحة الإنسان أفرادا وجماعات.

إنَّ القضايا المكوِّنة لمخزون الوعي الجمعي لمجتمع معين، إن تمّ تناسيها عند البعض فإنّ البعض ستظل عنده مركَّزة ومتمركزة في الوعي الشّخصي على مستوى الأفراد في ذلك المجتمع، وهذا الوعي هو سلسلة من الأفكار، وهذه الأفكار تُسخَّر استعدادا لما ترغب الإرادة وتفضّل

القيام به من عملٍ في مواجهة حدث أو موقف أو ظاهرة أو مجموعة قضايا.

إنّ الاستعداد الذّهني لا يُكتسب لحظة الحاجة إليه، وإنَّما هو ذلك الموجّه من قِبل الملكات العقلية، ينمو ويتطوَّر من التجارب والعلوم والمعارف والمشاهدات والخبرات والتاريخ الذي به تترسَّخ الهويّة التي بها تتوحّد الأمّة أو الشّعب حتى يصبح كلّ فردٍ وكأنّه الأمّة بكاملها أو أنّه الشّعب بكامله.

وهذا ما يُعبَّر عنه بسلسلة الأفكار التي أصبحت خاضعة للإرادة التي تخرجها إلى الاستعداد، بحيث يكون التركيز الذّهني منصبّ على استحضار الأفكار والمعلومات ذات العلاقة في المواقف أو الأحداث التي تخدم الإرادة في قضية ما.

إنّ الاستعداد لأجل حلّ أي قضية هو دائما موجود في الفكر الإنساني قبل استدعاء تلك الحلول، ولكن الذي يستدعيه ويستحضره طلب أو موقف خارجي، وهنا لا توجد قضية منطقية غير قابلة للحلّ؛ فالاستعداد لحلّ أيِّ قضية أو مواجهتها أو الحصول على الأسباب المؤدّية إلى نتائج إيجابية فيها، متوفّر دائما في العقل الإنساني المدرك للحقيقة هي كما هي إن أراد حلّا لا ظلم فيه.

الاستعداد النفسي: ومع أنَّ الاستعداد الذّهني ضرورة إلّا أنّه لم يكن كلّ شيء في معطيات الاستعداد؛ فالاستعداد النفسي والمعنوي من

أكبر الضّرورات والمعطيات قبل الإقدام على الفعل، ولهذا فالهزائم في الحروب والمواجهات تلحق أوَّل من تلحق المنهزمين نفسيا ومعنويا؛ فمهما توفَّرت للجيوش من عتاد وعدّة لن يحقّقوا النّصر المنتظر ما لم يكن المقاتلون على درجة عالية من الاستعداد النفسي والمعنوي الذي لا يبلغ أشدّه إلّا عن إرادة ووعي بالمسؤوليات الجسام الواجب حمْلها كلّما اشتدّت شدّة أو تأزّمت الأحوال.

ومع أنّ الاستعداد النفسي غير الاستعداد الذّهني إلّا أنَّهما يتداخلان كما تتداخل متغيرات القضية الواحدة التي تؤثِّر متغيراتها على بعضها البعض؛ فالإنسان العاقل هو الذي يتأثّر نفسيا سلبا وإيجابا، ومن يحسن التفكير يحسن التدبُّر، ومن يحسن التدبُّر يدرك الحقّ ويلتزم بمعطياته، ويدرك الباطل ويخشاه ويجتنبه ويبتعد عنه دون خوف ولا تردّد، بل قد يصاحبه الخوف إن لم يجتنبه ويخشاه، وعنه يبتعد. ولذلك يكون الاستعداد النّفسي والمعنوي رافدا مهما للاستعداد الذّهني، وهو المحفِّز من حيث اجتماع قوى النّفس استعدادا لمواجهة الحدث.

إنَّ هذا الاستعداد لا يمكن أن يكون له صورة في الخارج، لأنّه لا يُستمدّ من الأشياء الحسية الواقعية وإنْ كانت مؤثّرة فيه، وليس له صورة في الدّاخل، ولهذا فالعقل لا يستطيع أن يرسم له صورة متخيِّلة، علما بأنَّنا نستطيع أن نقف على هذا الشّعور عندما ينعكس تأثيره على صفات المستعدّ؛ فالغضب والحذر والابتسامة والخجل والتعرُّق والعزم والحزم والهمَّة والخوف، إنّما هي انعكاسات قوى النفس المعنوية على الجانب العضوي

استعدادا للحدث، فهذا الاستعداد إنّما هو صورة مجرَّدة، فالإنسان يُدرك أثر الانفعال من تلك الصّورة على المستعدّ، وهو يدرك شعورا لا يستطيع أن يصفه أو يعبِّر عنه إلّا بانعكاسات الانفعال المولِّدة للاستعداد برغبة وتهيئ.

ولهذا فالقوىَ النفسية الكامنة في الإنسان تستنهض استعدادا للحدث عن طريق تداعي أفكار معيّنة في موضوع محدِّد أو مشاهدة بصريّة، ممّا يجعل بعض الغُدد تفرز عصارات مختلفة تجعل الإنسان على غير اتزان ولا توازن.

إنَّ سيلان الدّموع فرحا أو حزنا وحسب الموقف ودرجة تأثيره سلبا أم إيجابا، هو نتاج تأثُّرات النّفس الدّاخليّة، وإن أثّر ذلك تأثرا خارجيا كما هو حال احمرار الوجه أو اصفراره عند ما يلمّ بالإنسان خوفا أو مرضا وكذلك في حالة الخشية والاحتشام، وما تتركه من أثرٍ على اللسان وما يلمّ به من تلعثم عند الحديث، وارتعاش اليدين عند الحركة والسّكون وغيرها كثير؛ فكل هذه الظّواهر بأسباب الاستثارة الدّاخلية والفزع لا تتحقّق عند من تهيّأ واستعدّ عن إرادة وقصد وإيمان ووعي بأهمية القضية التي لها تهيّأ واستعدَّ بإرادة، ولذا فالمرتعشةُ أيديهم والطّامعون والضّعفاء لا يصنعون التاريخ ولا يسهمون في صناعته، الواثقون وحدهم هم القادرون على صناعته، وأين ما يحلّون تكون لهم الأمجاد؛ فمن يطلب الموت تُكتب له الحياة، ومن يطلب الحياة عليه بقبول المفاجئة في الوقت غير المتوقّع وحينها لن يفيد الاستغراب.

الاستعداد البدني: مهما استعدَّ الإنسان معنويا (ذهنيا ونفسيا) لن يحقِّق النّصر المؤزّر إلّا بإضافة الاستعداد البدني وإعداد العُدّة إلى ذلك الاستعداد المعنوي؛ فينبغي أن لا يغفل الإنسان عن أهميّة المران والتمرّن والتدريب والتأهيل واكتساب الخبرة والتعلّم حتى يكتسب لياقة ومهارة وفنّا بها يتمكّن من خوض المعركة إن كُتبت عليه.

ولأنّ أفضل الأفكار والنّظريات ما كان قابلا للتطبيق على أرض الواقع، لذلك فالعقل والفكر الذي يسعى لتوافر أدوات الاستعداد المادية مع تقدير الإنسان قيمة عالية هو الفكر الذي يدفع النّاس إلى الإنتاج والعمل، دون أن يتركهم يجترُّونَ الكلمات التي لا تُغني ولا تشبع من جوع؛ فالفكر المنتج هو الفكر المبدع الذي من خلاله يتهيّأ الأفراد بإرادة إلى العمل الذي يُحدث النُقلة ويحقّق لهم الأمل، ولهذا جاءت الأديان السّماوية عقيدةً وعملا متلازمين (معنويا ومادّيا).

وعليه مهما كانت الأفكار النّظرية إن لم تتجسّد في أفعال وسلوكيات وانعكست في مهارات وخبرات ومران وفنّ وحركة وصورة؛ فهي لن تُحقّق للإنسان غاياته في الحياة ولا يمكن أن تصنع له مستقبل ولا تولّد له أمل.

الاستعداد إعداد وعُدّة

العدّة تجهيزات وأدوات مادّية، تستوجب جهدا يبذل في سبيل جمعها، أو تهيئتها أو صُنعها، وعندما تكون فعّالة، تواكب زّمن التحدّي،

ولكن إن لم تكن كذلك؛ فلا تُحسب لها أهمية إلّا بأسباب الحاجة والضّرورة.

فالعدّة إن لم تكن مجوّدة فلا فاعلية لها أمام تلك المجوّدة إن واجهتها منافسة أو تحدٍّ، ولذلك فتجويد العّدة يُمكّن مُعدِّيها من دخول ميادين المنافسة، وقبول التحدّي، وقد تبُلغ الخوارق بجودتها وحُسن إدارتها.

أمّا إعداد العدّة؛ فهو جهد يبذل لأداء ما ينبغي، وهو المهيّأ للمادّة المراد إعدادها وتوفّرها وعرضها منتظمة ومصنّفة وفقا للنّوع والجّنس والجّودة والفاعليّة والعطاء المؤثّر إيجابيا على أرض الواقع؛ فالإعداد هو من أجل الملائمة المناسبة للمطلب والحاجة وذلك بغرض تحقيق الأهداف المرجوّة وبلوغ الغايات المأمولة.

فالعُدّة تجويدٌ، هي منبع من منابع الأمل؛ ذلك لأنّ التجويد وما يُبذل بسببه من جهد فكري وعقلي مع وافر التدبُّر من أجل النّهوض من المرحلة غير المتقدّمة تقنية إلى عصر التقنية المتقدّمة (التي تتجدّد بسرعة التقدّم العلمي). ومع ذلك فالعدّة وإن كانت مجوّدة لا تكفي للنّهوض والمنافسة وإحداث النُقلة ما لم يكن مستخدموها مواكبين لها تعليما ومعرفة وتدريبا و تأهيلا.

ومن إعداد العدّة العمل على توفير المال والعتاد والوسائل الممكِّنة من أداء الفعل وحصر البشر المؤهلين والمستوعبين لتقنيتها والقادرين على

تحمُّل الأعباء وفقا للقدرة والاستطاعة، ومن هنا يصبح تجويد العدّة منبع أمل لمستقبل أفضل.

العُدّة: هي تلك الوسائل والأدوات والتجهيزات التي تُعدّ من أجل إنجاز أهداف، أو تحقيق أغراض، أو بلوغ غايات، وهي التي تتنوّع وتتعدّد وتُطوّر تقنية، من أجل المنافسة الممكّنة من نيل المكاسب وتقليل الخسائر أو تفاديها قدر الإمكان. فهي إن حسنت إدارتها أدّت إلى نيل التقدّم وتحقيق النّصر، وهي كلّما كانت عالية التقنية وعالية الجودة كانت فعّالة في الميدان المنتج، وذات أثرٍ بالغ الأهميّة في حالة المواجهة مع الخصوم، وفي الإعمار والبناء والإصلاح، ولذا فكلّما أُعدت وتمّ إظهارها استعراضا أمام العدو أرهبته وحقّقت الهيبة لمالكيها ومستخدميها والمرابطين بها على جبهات المواجهة.

والإِعداد ليس التهيئة، بل الإعداد سلوكي فعلي مادّي، أمّا التهيُّؤ فليس بمادّي، والإعداد ترتيب متكامل لِما يجب إظهاره أو الإقدام عليه، وهو يحتوي على الترتيب والتنظيم والتجهيز، وفي المقابل التهيؤ معنوي ونفسي ومعرفي.

ولأنَّه إعداد؛ فهو يحتوي على التنظيم والتدريب والتمرُّن على استخدامات العُدّة والتمرّس عليها بما يُمكّن العاملين من الإنتاج وحسن الأداء أو المقاتلين في ميادين المعارك القتاليّة من النيل من الخصم وإجباره

على الاستسلام أو التفاوض الذي يمكّن كلّ صاحب حقّ من حقّه ويعيد الحقوق لأصحابها بالقوّة.

إذن هناك تلازم علائقي بين إعداد العُدّة، وبين التمرّن والتدريب عليها ومن يغفل عن ذلك عندما تُكتب الحرب عليه سيفاجأ بأنَّ العُدّة فاقدة للمقدرة على حسم الصّراع؛ فالصّراع والقتال لا تحسمه العُدّة وإن تطوّرت، بل يحسمه من يدير العُدّة بجدارة وتفوّق يُمكّن من الفوز ويُحقّق النصر ويُرهب الأعداء، ولذا فالتمرّن والمراس ضرورة لإدارة المعارك فن ومهارة.

إنَّ درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ تقوى بقوّتهما وتضعف بضعفهما، فإنْ قويت حقّقت نصرا، وإن ضعفت أدّت إلى هزيمة على المستوى الفردي أو الجماعي، مع أنَّ نتائجها على المستوى الفردي والجماعي قد ترتبط بأمرٍ خاصٍ، ولكن على المستوى المجتمعي نتائجها تكون من أجل الجميع وبها تتحقّق الآمال ويُصنع المستقبل المشترك الذي به تصان حدود الدّول، {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}96.

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ) جاءت أمرُ من الله تعالى للعباد، ولذا فإنَّ إعداد العُدّة لمواجهة من يشكّل خطرا على النّاس غايتها تحقيق السّلام الذي به

---

96 الأنفال 60.

تطمئن الأنفس، وتصان البلاد وأعراض العباد؛ فقوله: (وَأَعِدُّوا) هي: أمرُ مطلق مع وجوب السّرعة في الأخذ به وتنفيذه، ولذلك فإنّ الأخذ به طاعة لله تعالى الذي أمر عباده بإعداد العُدَّة التي تُرهب الأعداء الذين يشكِّلون خطرا على حياة النّاس وممتلكاتهم وعلاقاتهم وفضائلهم الخيّرة وقيمهم الحميدة اجتماعيا وإنسانيا.

وقوله (مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي: يجب أن يُعدّ ما يُمكن أن يُعدُّ من عُدّة وفق الاستطاعة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فيجب العمل بكلِّ جهد وبكلِّ الوسائل المِمكِّنة من امتلاك القوّة وتوفّرها والتدرُّب عليها والمران من أجل إدارتها حتى تتيسّر استخداما إذا ما كُتبت الحرب أو أُقدت نار الفتنة والاقتتال.

ومع أنَّ الاستطاعة محدودة إلّا أنَّ ورودها في هذه الآية الكريمة جاء وكأنَّها بلا حدود (مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي إلى النّهاية التي لا تنتهي بعصرٍ من العصور، بل النّهاية التي تتجدّد في كلِّ عصر إلى النّهاية.

وقوله (مِنْ قُوَّةٍ) مع أنَّ (مِن) بعضيّة إلّا أنَّ ورودها هنا جاء للتنوُّع أي: تنوع القوَّة الواجب تنوّعها وإعدادها لإرهاب العدو، ولهذا جاءت الاستطاعة غير محدّدة، وكذلك القوّة غير محدّدة (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) أيَّة قوّة.

وعليه فإنَّ تنوُّع الصّناعات الحربيّة وتطوّرها وتحسين جودتها والتدريب عليها ضرورة لإرهاب الذين يُخِيفون العباد تهديدا ووعيدا وظلما وعدوانا.

إنَّ معظم شعوب العالم الضّعيف تمَّ احتلال أراضيهم وتمَّ تقتيل وتهجير الملايين منهم، واستشهد أكثرهم في سبيل الحريّة وتحرير الأوطان، فهؤلاء الذين عانوا ويلات العذاب أنفسهم ممتلئة خوفا ورعبا من أولئك الذين سبق لهم أن احتلوا بلدانهم وقتّلوا من قتلوا من أجدادهم وآبائهم، وشرَّدوا من شرّدوا من أخوتهم، وشوهوا ثقافاتهم؛ فكيف لهم أن لا يعدُّوا العدّة التي تحميهم من تكرار الاحتلال والاقتتال والاستعمار مرّة بعد مرّة.

وقوله (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) جاءت (رباط الخيل) وكأنَّها لم تكن من ضمن القوّة التي نزلت في قوله (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)، في هذا الأمر نقول:

الله تعالى لم يقل: (ومن الخيل).

بل قال:

(وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ).

ولذا فالخيل في حدِّ ذاتها هي قوّة من مجموع القوى المتعدِّدة التي يحتويها قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ).

أمّا الرباط؛ فهو الذي به يطوّق من يريد قيده أو محاصرته، ولأنَّ الخيل لوحدها لا تستطيع أداء هذه المهمة؛ فنسب الأمر لمن يستطيع أن يفعل ذلك، وهم الفرسان الذين يمتطون الخيل وهم معدّون ومستعدّون لخوض المعركة إن كُتبت عليهم كرها.

وعليه: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) هذه كلمات ثلاثة مسبوقة بحرف عطف (و) الذي به مُيِّزَ الرّباط عن القوَّة، أي أنَّ الرّباط هو الذي لا يتمّ إلا بخطة وقرار وتدبّر وكيفية مناسبة، بها يتمّ استعراض القوَّة المحمولة على ظهور الفرسان الذين هم مرابطون على ظهور الخيل المرابط بها على الحدود، وهؤلاء الفرسان هم (المعدّون والمدرَّبون والمتأهبون للإقدام متى ما صدر لهم أمر التقدّم).

وقوله تعالى: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) لا تعني كلّ القوّة، بل تدلّ على القوّة المعدَّة والمستعدّة للاستخدام وهي الأمر الواقع أمام المشاهدة العينية والملاحظة العقليّة والمعرفيّة التي بها يُدرك ويُميّز ما يُرهِب عمّا لا يُرهِب.

فالإعداد على مستوى الإنسانية، يدفع إلى الصحوة من غفلة الانكفاء على الذات والانفتاح على الآخر بما لا يمسّ الأصول والثوابت ضمن المنطلقات المشروعة في التأهّب لمواجهة العدوان حال وقوعه بكلّ قوّة متاحة، ذلك أنّ الإعداد والعدّة لمواجهة الأخطار المحتملة يتمّ به استيعاب الواقع والمحيط الخارجي، ثمّ الصّحوة والانتباه إلى أنّ الأقوياء الذين سيطر الظلم عليهم لا يرحمون الضّعفاء، وأنّ المراهنة على جمعيات

حقوق الإنسان والهيئات الدّولية، مجازفة قد لا تُمكّن من بلوغ الحلّ حتى وإن سوّقت له.

إذن الإعداد دعوة أخلاقية في تحقيق الإنصاف الذي يُؤمّن التوازن بين الأفراد أو الشّعوب، ومن ثَمّ يكون الإعداد في هذه الجوانب دافعا للصّحوة التي تحقّق المفاجأة في دائرة الممكن غير المتوقّع، فقوله تعالى: (أعدّوا) يحتوي الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولما كانت العدّة من الأشياء المادّية؛ فنادرا ما تحقّق المفاجآت، لأنّها ضمن مجال الإحصاء والعَدّ، ذلك لأنّها أشياء حسيّة ومدركات مادّية يُمكن لأيّ أحد أن يقف عليها من خلال المعلومات، سواء أكانت هذه المعلومات عن طريق رصد الاستيراد والتصدير والتنمية والخدمات، أم أنّها معلومات يتمّ الحصول عليها بطرق متعدّدة سواءً أكانت مشروعة أم أنّها غير مشروعة.

وعن طريق هذه المعلومات يمكن إحصاء العدّة المادّية المعدّة والتعامل معها بأساليب تؤدّي إلى إبطال مفعولها أو منع مفاجأتها.

أمّا الجانب الآخر من (أعدّوا) الذي يتّسع مجاله في الجانب العقلي يشمل الفكر والمهارة والتدريب والتخطيط الذي يخرج عن الحيّز المادّي ويكمن ذهنا بين العقل والشّعور وردّة الفعل، الأمر الذي يجعله ممكنا غير متوقّع بما يحقّق من مفاجآت، وهذا الجانب من الصّعب إحصاؤه أو الوقوف على حيثياته الكامنة في الفكر، بحيث لا تظهر نتائجه إلاّ بعد تحقيق المفاجأة، وهو أعلى أنواع الإعداد.

فالإعداد الجيد على المستوى الفكري والنّفسي هو الذي يحقّق مفاجأة العدّة المعدّة، ومن جانب آخر إذا كانت العدّة شمولية لا تقتصر على السّلاح ورباط الخيل، بل تأخذ البعد الحقيقي للاستطاعة (ما استطعتم) الذي لا يعني التكليف التواكلي، وإنّما التكليف التوكّلي، الذي يدخل في مفهومه الاستطاعة والخزين الاستراتيجي من الطّعام والشّراب والسّلاح ومقوّمات الاستمرار ولا يقتصر على المواجهة فحسب، وإنَّما الاستمرار على إدامة الزّخم في التحكّم بدورةِ عجلة الحياة ضمن الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لأنّ الماء والغذاء من أهم مكونات الاستطاعة ويتبع ذلك اللباس والمسكن والخدمات ووسائل الاتصال والمعلومات اللوجستية والمواقع البديلة والتمويه وحفر الخنادق والأنفاق، كي يصبح من السّهل تحقيق المفاجأة، وبالتالي التمكّن من تحقيق الأهداف.

فمثل هذا الإعداد هو المرهب للعدو، ولا يعني الاعتداء عليه بحالٍ من الأحوال، بل يجعله في موضع حدوده التي لا يستطيع معها أن يقوم بالاعتداء أو يمارس العدوان؛ فامتلاك العدّة بالإعداد ومن ضمنها السّلاح والعتاد الحربي توهن الخصم قبل أن ينفِّذ اعتداءه، وتدعوه لإعادة حساباته وتكبح جماحه؛ فيكون هذا النّوع من الإرهاب داعيا إلى السّلم ومانعا للقتل والتدمير، والدّعوة إلى إعداد العدّة التي وردت إرهابا للعدو في مواضع كثيرة من الذّكر الحكيم؛ فهي تختصّ بمنع حدوث العدوان، وهي ضرورة تقتضيها الحياة الآمنة.

أمَّا تفسير ما يحصل الآن في العالم من تفجير وترويع للآمنين وسفك للدّماء باسم الإسلام؛ فهو تصرُّف إمّا صادر عن إنسان أساء فهم الإسلام ونصوصه ممّا ينبئ عن وجهة نظر قاصرة وفكر ضحل، وإمّا أنّه يكون نتاجا لفكر يتستَّر بالإسلام، وإمّا بدفع من جهات لها مصلحة في هذه الأعمال والتصرّفات التي توقد نيران الفتن، ولذا وجب التمييز بين المنهج وأخطاء المنتسبين إليه، وبين المنهج والممارسات التي تقع باسمه، فهذا ليس من الإعداد في شيء، والعدوان دائما منهي عنه إلّا إذا حدث العدوان من العدو أو الظلمة؛ فيكون الاعتداء عليهم بمثل ما اعتدوا به {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}[97].

وعليه فإنّ إعداد العُدّة لا يكون إلّا لإرهاب العدو ومنعه من العدوان، ويشمل ذلك استثمار الأرض وزراعتها وتقديم الخدمات والنّهوض بالتعليم والاقتصاد والرّعاية الصحية والاجتماعية وحماية البيئة، حتى لا تمدّ الأيدي للآخرين، ليأكلوا من إنتاجهم ويلبسوا من مصانعهم حتى يتمكنوا من الاعتماد على أنفسهم ويتعاونوا مع الغير من أجل حياة آمنة مشتركة، وطالما أنّ الأمر كان ممكنا للغير؛ فبالضرورة لن يكون مستحيلا لك، ذلك أنّ الذين يرون استحالة اللحاق بقافلة الحضارة، لحجم المشقة وبُعد المسافة وعمق الفجوة، قد تركوا إعداد العدّة وغفلوا عن

---

[97] البقرة 194.

اهميتها وهي منبع من منابع تحقيق الأمل الذي يمكّن العاملين على صُنع المستقبل من إحداث النُقلة المأمولة98.

مبدأ
التأهُّب فطنة

التأهّب فطنة، هو: حسابات عقلية وبصرية مع شدّة الملاحظة والتربّص بأيّ حركة أو محاولة للتمدّد في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع من قِبل من أعدت له العدّة وتمّ التأهّب له مواجهة؛ فللتأهّب فطنة أمل تدفع إلى إنجاز ما يترك أثرا يُمكِن قياسه، مع قبول دفع الثّمن من قبل المتأهّب كونه عن وعي يدرك ما تأهّب من أجله.

ويعدّ التأهّب منبع أمل كونه الممكّن من دخول الفعل والإقدام على العمل؛ فالتأهبّ قيمة تلفت المتأهّب لما يجب الالتفات إليه حيث لا حيّز في ذّهنه للغفلة أو الانفلات، وللتأهُّب مفهوم لفظي علائقي مكوّن من المجموع القيمي لكلٍّ من:

ـ الانتباه، لِما يجب.

ـ الدّراية، كيف يجب.

ـ اليقظة، حول ما يجب.

[98] المرجع السابق، ص 49 ـ 58.

. الفطنة، لأخذُ ما يجب.

. التحفُّز، تجاه ما يجب.

. الإصرار، عزم على ما يجب.

. الرّغبة، في ما يجب.

. الحِرص، على سلامة ما يمكن تأديته تجاه ما يجب.

. الوعي، بما يجب.

. التيقُّن، تمسّك بما يجب.

. فرصة، للمشاركة في ما يجب.

. تحدّي، من أجل ما يجب.

. اشتياق، اشتياق الفاعل للحظة الانقضاض ورمي الهدف أو أداء الفعل والقيام بالعمل.

ولأنَّ التأهُّب لا يجعل أحدا يأخذ أحدا على حين غرة؛ فهو مرحلة ما قَبلُ الفعل (أيّ فعل)، وهو مرحلّة ما بعد الاستعداد المؤسّس على التهيّؤ والإرادة؛ فالمتأهّب هو من بيده القرار والأمر لتنفيذ الفعل بكلِّ حرصٍ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

والتأهُّب للفعل هو الذي يستدعي مرابطة تستوجب أن يضع المرابط أُصبعه على الزّناد قبل أن تشتعل نار الحرب والاقتتال، وذلك بهدف أن لا تشتعل، وبخاصّة عندما يكون المتأهّب حريصا على أن لا يكون سببا في إشعال نار الحرب بغير حقّ.

وعليه: فإنَّ قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) لا تخرج عن دائرة الاستطاعة، ولهذا جاء قوله (ومن رباط الخيل) أي: ما تستطيعوا أن تعدّوه من رباط الخيل فأعدُّوه، أي: لا ينبغي أن تستكثروا عدّتكم من رباط الخيل مهما كثرت؛ فبما أنّكم تستطيعون إعداد أعدادٍ أكثر عدّوا دون تردّد، وذلك لأجل تحقيق الهدف من إعداد العُدّة وهو إرهاب الأعداء المخيفين لكم عِدّة وتهديدا ووعيدا، تصريحا وتلميحا.

والرّباط: هو الملازمة والمداومة، التي بها يلازم الفارس وسيلته ويداوم عليها متأهبا لخوض المعركة أن كُتبت عليه، سواء أكانت الوسيلة خيلا أم أنّها آلات حديثة ومتطوِّرة؛ فبالمرابطة تطوّق الحدود والحصون والقلاع والمعسكرات وتهدّد بالاعتداء إن ظهر اعتداء منها، وإذا ما تمَّ التفاهم والتفهُّم بين الأنا والآخر تحقّق الأمن والسّلام بين النّاس أقارب على الحدود، وأباعد من وراء البحار والمحيطات.

أمّا قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا}[99] تدلُّ على أهميّة قبول المعاناة في سبيل تحقيق السّلام بين النّاس، ولذلك أمر

[99] آل عمران 200.

الله عباده بالصّبر والمصابرة، أي: اصبروا على ما أنتم عليه حتى تعدّوا العدّة، وصابروا من أجل تحقيق فضائل أعظم، ثمّ بعد ذلك تأهبوا بالمرابطة التي تُرهب أعداءكم.

فقوله: (وَرَابِطُوا) أي تواجدوا متأهّبين مرابطين بعزمٍ وحرزٍ على صون حدود البلاد والعباد من الذين يهدّدون ويتوعّدون ويشكّلون خطرا عليكم في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولذا لا ينبغي أن تغفلوا عن تأهّبكم واعملوا على إظهار قوّتكم متأهّبين أمام مشاهدة وملاحظة عدوّكم لقواتكم التي اعددتموها لإرهابه لا للاعتداء عليه، مصداقا لقوله تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[100]؛ فالمتأهّب عن حقّ لا يعتدي، بل يتأهّب لرد عدون أو ردعه، أو إعادة مسلوب ومنهوب ومغصوب.

الاعتداء بدون شكٍّ هو ظلم في غير طاعة الله الذي نهى عن الاعتداء على النّاس بقوله: (وَلَا تَعْتَدُوا)، ولكن إن أُعتدي عليكم؛ فعليكم بالاعتداء على من اعتدى عليكم، وليكن اعتداء مماثلا لِمَا أُعتُدى به عليكم، {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}[101].

---

[100] البقرة 190.

[101] البقرة 194.

إنَّ إظهار القوّة والمتأهبين بها على ظهور الخيل أو الدبّابات والطّائرات والعربات والمعدات المتطوّرة ضرورة استعراضية أمام مشاهدات وملاحظات الأعداء والأصدقاء، وذلك لأجل أن يُرهَب بها الأعداء؛ فيحسبوا حِساباتهم إن فكّروا في الاعتداءِ ظلما، وفي مقابل ذلك لأجل أن تطمئنَّ قلوب الذين أمنوا من الأصدقاء فتزداد أيمنا مع أيمانهم.

إنَّ إعداد العدّة مع وافر الاستعداد والتأهب يعدّ استعراضا بمقاليد القوّة يُرهب كلَّ من تسوّل له نفسه أن يعتدي ظلما.

وقوله: (رابطوا) تحتوي في مضمونها ومفهومها ضرورة استمرار التأهُّب دون انفكاك عن المرابطة حتى ينتهي من أذهانكم كلَّ ما يخيفكم من أعدائكم.

فبعد أن يرى العدوّ تأهّبكم بالعُدّة الحربيّة والقتاليّة والخيل التي قد تأهبتم عليها ورابطتم بها ولم ينته عن عدوانه؛ فعليكم بمقاتلته، ولكن إن جنح للسلم فاجنحوا لها، {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا}[102]، أي وأنتم أقوياء وأراضيكم غير محتلّة، ولا مهجّرين؛ فإن جنح المعتدون للسّلم فاجنحوا لها، ولهذا لا جنوح للسّلم إلّا بامتلاك القوّة، ومن لا يمتلك القوّة يجد نفسه غير مقدّرٍ من الغير (أصحاب المطامع).

ولهذا وجب إظهار القوّة عُدّة وعتادا وفرسانا وخيلا وتنظيما واستعدادا وتأهُّبا، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) أي

[102] الأنفال 61.

يجب إظهار القوّة، لتكون رسالة ذات مضمون مفاده (لقد أعددنا العُدّة، وامتلكنا القوّة، ونحن الآن مستعدّون عن إرادة، ومتأهبون لخوض المعركة؛ فخذوا حِذركم، وفكّروا قبل أن تقرّروا عن غير بيّنة، نحنُ نمتلك القوّة المتعاظمة، ولكنّنا لا نرغب قتالكم ولا الاعتداء عليكم، ولقد أعذر من أنذر) فإن سالمتم فنحن أهل السّلم، وإن اعتديتم علينا فليس لنا إلّا الاعتداء عليكم مثلما اعتديتم علينا، {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}[103].

إذن التأهّب والمرابطة دليل إثبات أنَّ الأمر لم يعدّ هيّنا؛ فخذوا حذركم، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ}[104] أي تيقّظوا وانتبهوا واحترزوا العدوَّ كي لا ينال منكم شيئا؛ فإن غفلتم واسترخيتم وألقيتم سلاحكم فلا تستغربوا أن يغدُر بكم أو يتمَّ الاعتداء عليكم ظلما؛ فخذوا حِذركم بكلِّ جدّية؛ فالأمر لم يعدّ هيّنا، وإن أخذتموه مأخذ الجدّ فإنَّ الخصم أو العدوّ سيأخذه مأخذ الجدّ أيضا، وإن أخذه مأخذ الجدِّ جعل لكم اعتبارا يجعله جانحا للسّلم الذي يستوجب الجنوح إليه تحدّيا لا استسلاما (قوّة لا ضعفا).

وكما أنَّ إعداد العُدّة حقٌّ لمن هو خائف من المخيف الذي لا يُقدِّر ولا يَعتبر الآخرين؛ فكذلك التأهّب بالمرابطة قوّة تماسك وحقٌّ به يُدمغ الباطل ويُزهق.

[103] البقرة 194.

[104] النساء 71.

وهنا يكون التأهّب تَوفُّر العزم مع وافر الإصرار على الإقدام على تنفيذ الفعل مع ترقُّب شديد ورصد للحركة والسّكون ممّا يجعل الأصبع على الزّناد استعدادا وتأهّبا للرّمي في زمن الانقضاض.

فالتأهّب يؤجّج في النّفس حرارة الانقضاض والاندفاع تجاه الهدف دون خوف ولا تردّد مع استماتة على الإنجاز في الوقت المحدّد للتنفيذ خوفا من التأخير الذي فيه تكمن المفاجئات، ولذلك دائما لا للاستعجال ونعم للإسراع دون التسرُّع.

ولذلك يكمن في قيمة التأهُّب اشتياق الفاعل للحظة الانقضاض ورمي الهدف؛ فالرّامي عندما يكون متأهّبا تكون مشاعره وأحاسيسه منصهرة في بوتقة الفكر لفعلٍ قابلٍ لأن يُفعل والشّك من ملكاته منتزع انتزاعا.

فذلك الصّحفي العراقي الذي رمى الرّئيس الأمريكي جورج بوش بنعليه في بغداد في 14 سبتمبر 2008م؛ فلو لم يكن متأهِّبا للرّمي ما رماه أمام أعين النّاس وعلى شاشات التلفاز وأمام حرَّاسه وحرَّاس حرَّاسه والمدجَّجين والصّحفيين الذين هم في محيطه يتساءلون مع الرّئيس الأمريكي عمَّ حدث في العراق وعمَّ يحدث من رمي الرّامي في المؤتمر الصّحفي الموقَّر.

ولذا؛ فمن يتأهّب للشّيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع أن يُنفِّد ما يشاء كيفما يشاء بحذاء أم بعكازٍ أم حتى بمسبحةٍ أو ساعة يد أو أن يبصق على من يشاء، دون أن ينتظر رأيا أو توجيها من أحد.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل؛ فبدون شكّ سيكون للتأهّب تأهّب إن تمّت المعرفة، ولكن إن لم تتوفّر المعرفة فستكون المفاجئات سيدات الميدان والحاسمات للأمر.

فالتأهّب يعدّ منبع أمل لمن استعدّ وأعدّ وتهيأ لأداء الفعل المحقّق للأمل الذي طال زمن انتظاره؛ فالتأهّب للفعل يُمكّن من الإنجاز والنجاح وبلوغ الغايات التي لا تبلغ عملا إلّا بحيوية الأمل.

مبدأ
تفطّين الذّاكرة

الذّاكرة محفظة ذهنية تستوعب ما يُخزّن فيها من معارف وعلوم وتجارب وأحداث، وتمكّن أصحابها من التزويد بما يتسألون عنه وهي تحفظه، ولكن إن لم يكن قد حُفظ فيها فلا إمكانية للتزويد.

ولأنَّ الذاكرة هي مكمن الأسرار ومخزن المعارف والخبرات والتجارب الإنسانية، فهي قابلة لأن تُنشّط بمزيد من الانتباه والدّراية من خلال عمليات التذكّر والتدبّر والتفكّر؛ فينبغي على الإنسان أنْ يفكّر عن انتباه إذا أراد أن لا تضمر ذاكرته، وعليه بتنشيط ملكات عقله من خلال المران الذّهني وإجراء عمليات المقارنة التي تمكّنه من التمييز بين الدّقيق والأدق منه، ومن ثمّ تمكّنه من التفكير المتوقّع وغير المتوقّع ارتقاء؛ فالعقول

دائما في حاجة لأن تُمرّن حتى تمتلك القوّة التي تُلفت الإنسان لنفسه، وتيسّر له مشاهدة وملاحظة الآخرين وردود أفعالهم تجاه الغير.

ومن ثمّ؛ فعلى الإنسان أن يستدعي محفظته من الذّاكرة ويخضعها للتقييم، ثمّ يقوّم حالته حتى يستبصر نفسه وما هي عليه، وما يجب أن يُغيره من أجل نفسه وأجل الآخرين.

فالإنسان إذا أراد ارتقاء؛ فعليه أن يستوضح نفسه مثلما يحاول استيضاح أنفس الغير، حتى يتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة فيها، وأن يتنزّه في نفسه حتى يستبصر من هو؟ وما له؟ وما عليه؟ ثمّ يعمل على التصحيح ويتحدّى عقله تفكيرا في نفسه حتى يدرك أسرارها وخفاياها، ومن ثمّ يعرف أنَّ قوّة البصيرة بقوّة التفكير فيها، وهي لا تضعف إلّا إذا دخلتها الغفلة وسيّرتها الشّهوة، ولهذا؛ فالفكر ارتقاء يمكّن الآخذين به من التفكير فيما يفكّرون فيه حتى يفكّروا فيما هو أحسن منه.

ولهذا؛ فتفطين الذّاكرة لا يكون إلّا نتاج الوعي بأهميتها للإنسان الذي له من الآمال ما له، وله من ورائها آمال تحدث النُقلة لكلّ مأمول نافع فتفطين الذّاكرة ضرورة تستوجب حُسن التدبّر الذي يصنع المستقبل المشبع للحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، ويُمكّن من بلوغ الغايات العظام التي تجعل من الإنسان قيمة مقدّرة؛ فينبغي الارتقاء فكرا وعلما ومعرفة وخُلقا، وأسلوبا، وإلّا سيجد نفسه في منازل المستهلكين الذين يعيشون ليومهم عالة على جهود المنتجين والمبدعين وأهل الحُجّة والحكمة؛ فهم بهذه

الأعباء يُجهدون المنتجين ويُشَدّونهم للخلف ممّا يجعل الفارق كبيرا بين الجهد المبذول من أجل بلوغ قِمم الارتقاء، وبين الحاصل المنتج الذي تُنتجه الصّفوة العاملة والمتطلّعة أمل وارتقاء.

ومع أنَّ الذاكرة حافظة، ولكنّها قابلة لأن توسّع معرفة، وتُنشّط تذكّرا من خلال تمكّنها من معرفة الموروث المعرفي الواسع، وتنشّط تدبّرا من خلال حسن الانتباه والالتفات لما يجب وقت وجوبه، وليس بعد أن يفلت ويصبح ماضيا، كما أنّها تُنشّط بالتفكّر الذي يمّدها بالحيويّة المحفّزة على بلوغ الأمل ونيل المأمول.

ولأنَّ الإنسان يولد اجتماعيا حيث لا إمكانية للعيش منفردا، فهو في حاجة لمن يذكّره ويعلّمه كيف يتدبّر أمره وأمر من تربطه به علاقات، ومع أنّ هذه قاعدة ولكن كما يقولون: لكلّ قاعدة استثناء؛ فآدم وزوجه لم يمرّا بهذه المرحلة، وذلك بأسباب الخَلق الآدمي المتكامل، حيث لا طفولة لهما ولا مراحل نمو قبل النضج، فهما قد خُلقا على النضج خلقا، وبالتّالي ليس لهما ما يتذكّران، ولكن بعد أن علّم الله آدم وأنبأه، أصبح لديه رصيد واسع من العلم والمعرفة؛ فيُمكنه أن يتذكّره، لِيُذكّر به الغير، {قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ}105؛ فتلك الأسماء التي أصبحت في محفظة عقل آدم، وتمّ استدعاؤها، أنبأ بها الملائكة حجة؛ فسلّم الملائكة لآدم بعد إن كان الرأي اختلافا.

---

105 البقرة 33.

ولكن على المستوى البشري من بعد آدم؛ فالتّجارب الإنسانية متشابهة، ويمكن تكرارها، فيكون النّظر إلى تلك التجارب من باب البحث عن حلول علّها تكون ناجعة في معالجة ما يحدث، وهنا تكون النّظرة إلى الماضي من باب البحث عن كلّ ما من شأنه أن يساهم في الوصول إلى حلّ، حتى وإن كان افتراضيا، لأنَّ الكثير من المشاكلّ تحتاج إلى اتكاءات جديدة تكون قادرة على حلّها؛ فيحدث الانزياح المراد ضمن توليفة يُجمع فيها في بعض الأحيان حتى النقائض التي لا يتوقّع لها أن تجتمع في يوم من الأيام.

وقد يكون الخوف حاضرا فيها، لكونه يمثّل الانطلاقة الأولى التي يكون على أساسها الوصول إلى الغايات المرجوة؛ فالبحث عن اتفاق وحلّ يكمن من خلفه وجود خوف يحفّز ويرشد بطريقة أو بأخرى إلى تجنّب ما يجب تجنّبه وأخذ ما يجب الأخذ به؛ فيكون الاستشعار في هذا التوجّه قائما على درجة عالية من الحذر كي تكون النّهاية ملبّية للخوف المجنّب من الوقوع في السُفلية ومؤدّيا إلى ارتقاء مأمول.

وعليه:

ـ الذّاكرة مكمن الأسرار.

ـ الذّاكرة قابلة لأن تنشّط وعي وانتباه.

ـ الذّاكرة قابلة لأن تمرّن بمزيد من المستفزّات العقلية والعلميّة.

. الذّاكرة تنشّط تذكّرا.

. الذّاكرة قابلة لأن تنشّط تدبّرا.

. الذّاكرة قابلة لأن تنشّط تفكّرا.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالتاريخ.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالفضائل الخيّرة.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالقيم.

. الذّاكرة تربط الأفراد بالمبادئ الإنسانية والأخلاقية.

. الذّاكرة تمكّن الأفراد من التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

. الذّاكرة تنبّه بالمخيف والمقلق والمستفزّ.

. الذّاكرة لا شيء يضيع، ولكن قد يصعب الاستدعاء.

فالذاكرة محفظة المعارف والخبرات والتجارب الماضية التي يمكن الاتعاظ بها في زمن التدبّر، والوقوف عند هذه التجارب باختلافها يُعدّ وقوفا على إرث إنساني يمثل حقبة من حقب الماضي؛ فالتاريخ بتفريعاته وارتماءاته وتنوّعه يمثّل مجموعة من التجارب الإنسانية سواء أكانت على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات، وهنا يكون النّظر الحاصل منطويا على الفكرة المطلوبة، فتُصبح بعد ذلك مطلبا من المطالب التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ فيكون هذا الطلب فيما بعد حاجة ملحةً تكون

حاضرة بشكلٍ أو بآخر في كثير من التفصيلات التي يكون حضورها ملبّيا للبداية الافتراضية التي كانت السبب في هذا الحضور.

إنَّ استدعاء الذاكرة للماضي فيه من الترابط ما يجعل التجارب الإنسانية تسير وفق نسق واحد رغم العقبات التي يمكن أن تحدث؛ فالتفاعل من خلال كلّ المديات الحاصلة يمثل هذا الترابط، ممّا يجعل البحث الدائم متحقِّقا في كلّ زوايا الماضي، ذلك أنَّ الماضي فيه من التحقّق ما يمنح الحياة الآنية والمستقبلية حلولا مهمة، إلاّ أنَّنا لا نعتقد بالتكرار المتطابق في الحياة كون الظروف مختلفة أو غير متماثلة؛ فيكون الاختزال في بعض القضايا متحققا بدرجة بعيدة ممّا يسمح بظهور مديات واضحة يُطرح من خلالها هذا التفاوت؛ فتكون الصّورة المطلوبة في كثير من الأحيان غير مكتملة الأركان ضمن التشكيل المطلوب، وهذا يكون في حالة طلب الماضي ودمجه مع توجّهات الحاضر من أجل الوصول إلى إعادة تفعيل متشابهة تُمكّن الذاكرة وعى ويقظة.

ومع أنَّ في الذاكرة يدخل الماضي حقل التراث، ولكنّه لم يكن من باب الجمود كأيٍّ أيقونة ممكن أن تكون، ولكن من باب التبصّر والتمعّن والإيضاح الموقظ لما يجب أن يكون في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، فالإنسان يمر بظروف تكاد تتشابه كثيرا على مر العصور؛ فينتج من ذلك نهايات تكون مختلفة ممّا يطرح في الذاكرة وجود آراء مختلفة؛ تجر إلى منعطفات لم تكن في كثير من الأحيان بالحسبان، ولعلّ تحقّق الأحداث العظام في الماضي يمثّل أحد هذه الاختلافات؛ فالإنسان يختلف تصرّفه

كثيرا حتى في القضية الواحدة، إذ تحكمه الكثير من الظروف التي تتنوّع فلا تقف عن حدٍ معين؛ فيكون الارتماء ممثّلا بتداعيات مختلفة تطرح من خلالها الحدود المفترضة التي تكون النّهاية عند أعتابها؛ فتنساق الأمور في الذاكرة إلى امتدادات وإن كانت في بعض الأحيان واهية إلّا أنّها ممثّلة لاتجاهات فكرية كانت وراءها، ولهذا لا يمكن أن تكون هناك قطعية في الحلول؛ فالذّاكرة تحمَل الكثير من الحلول المختلفة ممّا يحيل إلى انتفاء القطعية التي يمكن أن تطرح على أيِّ صعيد، فلم يكن هناك حلّا واحدا لكثير من القضايا وإن تشابهت هذه القضايا إلى درجة التطابق.

وفي الذّاكرة يكتنف الماضي الكثير من التشكيلات التي يكون الوصول إليها يمثّل قراءة واعية بما أسبغه عليها من طروحات، ولهذا نجد يوما بعد يوم ظهور تأويلات مختلفة للماضي وقد تكون متناقضة، لكن هذا يدلل على وجود حيّز كبير في الامتداد الفكري الذي يجوب أروقة الماضي ويقف عند محطاته الشّاخصة التي تكون فيما بعد دروسا يستفيد منها من يبحث عن حلّ لما يمرّ به الإنسان، ولهذا وجب العمل على تفطين الذّاكرة من خلال تمرينها تدبّرا، وتنشيطها تذكّرا وتفكّرا.

ومع أنَّ للذاكرة علاقة بالتّاريخ من حيث أنّها محفظة أحداثه وقضاياه، ولكن التّاريخ دائما يطرح مغايرات مهمّة تكون عند أعتابها نهايات قد تتكرّر، وهذا يُسيّر عجلة الزّمن نحو إيجاد تعالقات متشابهة تكون أكثرها منتمية لبداية سعت دائما إلى حلحلت ما يمكن حلحلته في سبيل الوقوف على حدود واضحة المعالم، وهنا يكون السير في هذا الرّواق

منكفيا على تجارب حاضرة وملبّية في الوقت نفسه للتساؤلات التي يمكن أن تُطرح، فتكون التبعات متحقّقة كونها تمثّل امتدادا مطلوبا، والتاريخ فيه من السّعة ما يجعل الكثير من المقولات شاخصة في كلّ زمان ومكان، فمقولة (التاريخ يعيد نفسه) تتكرّر على كثير من الألسنة لكنّها كما نعتقد أنّها لا تمثّل تشكيلا عاما في هذا النسق الإنساني، ولذا وجب تفطين الذاكرة لكي لا يضيع التاريخ ولا يزوّر، ومع أنّ الذاكرة حاوية التاريخ وحافظته، لكنّها لم تكن جزء منه، ولهذا أحداث التاريخ تتكرر والذاكرة لا تتكرر؛ فالتكرار قد يحصل لكنَّه هل يحصل كما حصل في الماضي؟

هذا التساؤل يفضي بنا إلى أن نقول:

إنَّ التاريخ يمكن أن يعيد نفسه، لكن هذه الإعادة لا تكون بالتطابق التّام، لأنّ هذا الأمر يكون من الصّعوبة بمكان أن يتحقّق، ومع ذلك فالتّجارب الإنسانية متشابهة ويمكن تكرارها، فيكون النّظر إلى تلك التجارب من باب البحث عن حلول علّها تكون ناجعة في معالجة ما يحدث، وهنا تكون النّظرة إلى الماضي من باب البحث عن كلّ ما من شأنه أن يساهم بشكلّ أو بآخر في الوصول إلى حلّ حتى وإن كان افتراضيا، لأنَّ الكثير من المشاكلّ تحتاج إلى اتكاءات جديدة تكون قادرة على حلّها، فيحدث الانزياح المراد ضمن توليفة يُجمع فيها في بعض الأحيان حتى النقائض التي لا يتوقّع لها أن تجتمع في يوم من الأيام.

وكلّ التشكيل الذي ذهبنا إليه يكون الخوف في الذّاكرة حاضرا فيه، كونه يمثّل الانطلاقة الأولى التي يكون على أساسها الوصول إلى الغايات المرجوة، فالبحث عن حلّ يكمن من خلفه وجود خوف يحفّزه ويرشده بطريقة أو بأخرى إلى البحث عن حلّ يكون من بعده سقوط أو تبدّد كلّ المخاوف القائمة، ولذا يكون الاستشعار في هذا التوجّه قائما على درجة عالية من الحذر كي تكون النّهاية ملبّية للخوف الأوّل الذي كان محفّزا بدرجة جعل من آليات البحث عن حلّ خاضعة لهذا الخوف، وما سبقه من أحداث فيها من التشابه ما فيها، وفيها من الاختلاف ما فيها، وفيها من المتوقّع وما لم يكن متوقّعا، ونتيجة لما تحمله الذّاكرة من متناقضات تاريخية؛ فهي دائما في حاجة للتفطين والتنشيط حتى لا تُفقد العلوم والمعارف والخبرات والتجارب والعبر والمواعظ106.

مبدأ

توليد الفكرة

الفكرة استقراء مسبق لما يمكن أن يحدث أو يتحقّق، ينتجها العقل، ويتمكّن من استخراجها من الكمون إلى الظّهور الممكّن من الاستقراء والتحليل والنقد والتطوير أو التحسين.

---

106 عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 124 . 127.

فالفكرة لا تكون إلّا من إعمال العقل، الذي بإمكانه أن يستمدّ الشيء المجرّد من الشّيء المشاهد أو الملاحظ، كما هو استمداد القوانين من المعطيات الكونية والطّبيعية، ولأنّها مولود العقل؛ فهي متى ما وُلدت فيه وُلّدت منه رؤية لشيء قابل للتحقّق بين أيدي النّاس، وهي لا تكون كذلك إلّا بتلاقح الآراء (سالبها وموجبها)، وكلّما كثرت المستفزّات الخَلقيّة والخُلقيّة أثارت العقل انتباها لما يجب؛ فتدفعه حيويّة الحيرة تجاه التخلّص من العَتَمة التي تَحول بين المحيّر والمأمول.

ومع أنّ الفكرة تخلّص من الحيرة، ولكنّها لا تكون ارتقاء إلّا من بعدها فالحيرة بالنّسبة للفكرة تعدّ مخاض ولادة، وولادة الفكرة بدون حيرة تسبقها: هي ولادة قسرية؛ فلا يمكن أن يتطابق الزّمن الافتراضي لولادتها مع زمن قسريتها، فتلد مشوّهة، وبالتّالي ستكون الحلول أو المعالجات أو الإصلاحات المترتّبة عليها منقوصة، أو منحرفة تجاه المخالف للمأمول ارتقاء.

ومع أنّ هذا الأمر يعدّ سالبا بالنّسبة للفكرة ارتقاء، ولكنّه الأمر المحيّر والمستفزّ لعقول الآخرين إيجابا، ممّا يحفّزهم ويدفعهم إلى الالتفات تجاه المحيّر، حتى تلد الحيرة فكرة، تخرج من التأزّم.

ومع أنّ زمن الحيرة الفكرية مُقلق لمن ألمت به وألمّ بها، ولكنّه المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس، وما يسرّ الغير ارتقاء، ولذلك؛ فالبحوث العلمية ارتقاء تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الجديد

المحفّزّ على حيرة جديدة من بعدها حيرات تُمكّن من إضافة ما هو أفيد وأنفع.

ولا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيّر حتى يقتنص له حلّا، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشّيء استحالة أو إعجازا أو ممكننا حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة تلد له حلّا.

ولا يعني ذلك أن تكون الحيرة غاية في ذاتها، بل الغاية من ورائها حلّا، وهذا الأمر يتطلّب مقدرة على تحدّي المقلق بما يُقلقه، حتى يصبح القلق بولادة الفكرة في خبر كان؛ فأهل العلم والبحث العلمي لا يمكن أن يصلوا إلى غاية الارتقاء إلّا بعد الحيرة، ومن لا يقبل الجلوس مع الحيرة تحدٍّ؛ فلا إمكانية لأن يُكتب له التحدّي في ميادين العلم والمعرفة المصنّفة.

ولسائل أن يسأل:

هل الفكرة والحيرة ولدتا مع مولد آدم، أم أنّهما اللاحقتان عليه؟

بالنّسبة لآدم لم يكن مولودا، بل مخلوقا خلقا مباشرا بلا أب ولا أم، وكلّ ما وُجِدَ معه فهو المخلوق معه خلقا، ولكن بنوه؛ فكلّ شيء فيهم خُلق سلالة من نطفة؛ فآدم خُلق في أحسن تقويم، وهذا يدلّ على أنّه معدّ للحياة لحظة خَلقه، أمّا بنوه من بعده؛ فحالهم حال الولادة والنّمو والتعلّم والتعليم، أي: أنَّ حالهم حال من لا يستطيع أن يفكّر لحظة الولادة، ومع ذلك في دائرة الممكن ينجز أهدافه تعلّما وتعليما.

فآدم كانت علاقته بالخالق والمخلوقات من حوله علاقة فطرة مباشرة، ولكن المحيّر بالنّسبة لآدم هو حياته في كونين مختلفين على التّمام، كون الارتقاء (الجنّة) وكون الدّنيا (الأرض)، فهو بعد أن كسب الجولة خَلقا، خسرها خُلقا، وذلك بعد أن أهبط به بسبب المعصية التي ارتكبها، ومن هنا، بدأ يفكّر كيف يمكنه الارتقاء ثانية من الحياة الدّنيا إلى تلك الحياة العليا؟ وفي ذلك اليوم وُلدت الحيرة، أي وُلدت الحيرة إنذارا بولادة الفكرة فكان الاستغفار والتوبة نتيجة الفكرة التي أخرجت آدم من حيرته إلى ما يُمكّنه من بلوغ الارتقاء إلى تلك الجنّة التي أهبط منها. وهي الحيرة ذاتها التي ألمت بابنه في لحظة قتله أخاه، ولكنّه وقف قاصرا عن المعرفة حيث لا فكرة له عمّا جرى بيديه؛ فبعث الله غرابا ليريه سلوكا وعملا يمكّنه من المعرفة بلا فكرة من عنده.

ولهذا؛ فالفكرة ينتجها العقل، وتأخذها العقول، وتوظفها فيما يمكن أن يوظّف ويفيد.

وعليه:

لقد استلهم آدم الفكرة من أمورٍ منها:

الأمر الأوّل، من طبيعة الفطرة التي خُلق عليها واصطبغ بها وجوده في أحسن تقويم، ولكن لأنّه خُلق على التسيير والتخيير؛ فكان للتسيير الطبيعة الخَلقية، وكان للتخيير فسحة الإرادة التي مكّنت آدم من الأكل من تلك الشّجرة المنهي الأكل منها؛ فخالف أمر النّهي معصية؛ بأسباب

قصور معرفته أمام كمال الخالق وإحاطته؛ ذلك لأنّ آدم وبنيه لا يعلمون إلّا ما يُعلّم، ومن هنا كان الإنباء لآدم مصدر المعرفة ومكمن الفكرة ارتقاء.

فالفطرة التي فُطرت المخلوقات عليها هي التي جعلت لكلّ زوجين خصوصية، دفعتهما تجاه بعضهما، وهي ذاتها التي حالت بينهما وبين الأزواج الأخرى إلّا بما يفيد، فكانت حياة الفطرة ميسّرة لكلّ الأنواع تيسير جاذبية نوعيّة، وغريزية؛ ومع ذلك ظلّ الإنسان مهيأ لما هو أعظم فكان عقله مقلّدا لما يراه في دائرة الممكن تخييرا.

الأمر الثاني التقليد: وهو الذي لا يكون إلّا عن عقلٍ، ولكن القصور على التقليد لا يمكّن من توليد الفكرة، ذلك لأنّه لم يمرّ بزمن الحيرة الممكّن من التعمّق في التفكير حتى كشف اللثام عن الحقيقة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فآدم تقليدا: قلّد إبليس؛ فأكل من المنهي عنه، وكذلك ابنه قلّد الغراب؛ فعرف كيف يواري سوءة أخيه، وهكذا، هي الحياة تطوّرا من الخَلق، إلى الفطرة، إلى التقليد، إلى توليد الفكرة، التي توليدها لا ينقطع فكرة من بعد فكرة. ولكن يظل التقليد قاصرا، والفكرة في حيّز العقل مهما عظمت؛ فهي لا تخرج عن دائرة الممكن؛ ولهذا، بعث الله الأنبياء والرّسل بالنبأ العظيم مبشّرين ومحرّضين ومنذرين وداعين للتفكير ارتقاء.

الأمر الثالث: النبأ العظيم: مع أنّ الإنسان خُلق في أحسن تقويم، ولكنّه لم يُخلق على الكمال، ولهذا؛ فتفكيره لا يمكن أن يخرج عن حيّز دائرة الممكن؛ فكان الإنباء بما يجب من الخالق إلى المخلوق يمكّن المخلوق من الوقوف على المعجِز، ومعرفة المستحيل مستحيلا؛ فأنزلت الأحكام المنظمّة للعلاقات بأسباب الاختلاف والخلاف الذي حدث على الأرض الدّنيا، معصية واقتتالا، ليفتح آفاق التفكير فيما يجب أن يؤخذ، وما يجب أن يُجتنب، وما يجب أن يُنتهى عنه.

ومن ثمّ؛ تعدّ الفكرة هي الأمر الرّابع الممكّن من المعرفة والبحث في دائرة الممكن، وهذا لا يعني: أنّ الإنسان قبل ذلك لا يمتلك الفكرة ، بل قبل ذلك كانت حياة الفطرة هي السّائدة، ثمّ حياة التقليد، ثمّ من بعدها حياة الإنباء الذي جاء تنزيلا على الأنبياء والرُّسُل عليهم السّلام، بهدف تقييم الأخطاء، وتقويم السّلوك والعمل، الذي ولّد الفكرة، وولّد منها أفكارا.

فالفكرة إنتاج العقل وإعماله، وهي بالنّسبة لمن تولّدت في عقله مثل البذرة، أو النّواة التي يراها المفكّر مخزّنة في محفظة ذاكرته وكأنّها الشّجرة متكاملة، جذورا وجذعا وأغصانا وأوراقا وثمارا؛ فهو يراها على هيئة الصّورة قبل أن تتجسّد في الشّكل والصّورة. ومن هنا، يكون مولود الفكرة هو الإبداع الذي يُسهم في إضافة الجديد النّافع ارتقاء وأملا.

والفكرة في ذاتها مجرّدة، حيث لا هيئة لها إلّا في ذهن المفكّر الذي نضجت في عقله مثلما تنضج النّواة من تربتها شجرة متكاملة، ولذا؛ فالهيئة تكون للصّورة التي أساسها فكرة، ومن ثمّ؛ فالفكرة ترتبط بالمشاهد والملاحظ مثلما ترتبط بالمجرّد، والفكرة متى ما تكون نتاج تذكّرٍ، يكون التفكّر هو المهيأ لاصطيادها، أمّا التدبّر؛ فلا يكون إلّا نتاجها سلوكا وعملا.

والفكرة وإن كانت مجرّدة في الذّهن، لكنّها على ارض الواقع تتجسّد في المشاهد والملاحظ، سواء أكانت معرفة قيم وفضائل ونظم وقوانين، أم أنّها معرفة ملموسة مادّيّا، ومن هنا، كانت هيئة الخلق سابقة على صورته مخلوقا، وهيئة المصنوع سابقة على وجوده مصنوعا.

ومن ثمّ؛ فالفكرة متلازمة مع التكاثر تكاثرا، فمع أنّها لم تكن مخلوقة، ولكنّها تتخلّق في عقل الإنسان تدبّرا من بعده تدبّر، وإنتاجا من بعده إنتاج؛ فهي القوّة الموجدة لما لم يوجد من قَبل، وهي وإن لم تتطابق مع خلق الشيء من لا شيء، لكنّها تتماثل معه من حيث إيجاد الشيء من الشيء نشوءا؛ فالإنسان الذي خُلق نشوءا زوجيا، كان وجوده وفقا لقانون الفطرة والتقليد، ولكنّه من بعد ذلك إنباء استطاع أن يتبيّن مكامن الحقيقة، التي لفتته إلى نفسه ومَن حوله، فاستكشف علاقات قابلة لأن تتطوّر ارتقاء، فاستفزّت عقله يقظة زوّدته بالمعرفة الممكّنة من البناء والإعمار وتحدّي الصّعاب التي تواجهه كلّ يوم.

وكما أنّ الحيرة يقظة عقلية تستوجب مواجهة القلق بما يُقلقه؛ فكذلك الصّعب يعدّ معطية مثيرة للعقل ومستفّزة لملكاته، التي تتحفّز إلى المواجهة معه متى ما اعترض طريقها، ومن هنا، بدأت مواجهة العقل للصّعب تحدٍّ من ورائه تحدٍّ، وفي المقابل الصّعب يقدِّم التنازل من بعد التنازل.

فالصّعب ليس بالمستحيلٍ ولا المعجز، حتى يستحال تحدّيه، بل ميادين تحدي الصّعب هي فسيحة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولا خوف من مواجهة الصّعب، بل الخوف أن لا تحدث المواجهة معه؛ فالمواجهة العقلية معه كلّما حدثت عن تدبّر بفكرة، أنتج العقل فكرة أكثر ارتقاء، ولذا، ستظل الفكرة عقلية إلى حين استخراجها فيما يمكن أن يكون على الشّكل أو الصّورة، أو المفهوم والدّلالة والمعنى، والذي يتجسّد في العمل والسّلوك.

ومع أنّ العقل مكمن الفكرة، ولكنّه أيضا منبع الأمل، ومع أنّهما معا من إعمال العقل وفي محفظته، ولكن الأمل يتعلّق بالغايات الخارجية، التي في دائرة الممكن لا تُبلغ إلّا تخييرا وإرادة؛ فمن يمتلك الإرادة يستطيع الاختيار الممكّن من التدبّر وحمْل المسؤولية، ومن لا يمتلكها، فإشارة قف لا تسمح له بالعبور إلى ضفاف الارتقاء؛ ولذلك؛ وراء كلّ غاية فكرة ووراء كلّ فكرة شيء جديد.

ولهذا؛ فالإنسان الأوّل الذي خُلق على الزّوجية، عاش حياة الفطرة جنّة، إلى أن عصى ربّه؛ فأهبط به والأرض أرضا؛ فظلَّ من بعد الهبوط على أمل العودة إلى تلك الجنّة، وظلّ بنوه من بعده، يسعون ويعملون كلّ ما من شأنه أن يرتقي بهم إلى المأمول غاية؛ فتولّد التفكير في عقولهم، فكرة من بعدها فكرة؛ فأنتجوا الثّقافات، وبنوا الحضارات، ومع ذلك؛ فهم يعلمون أنّهم كلّما أنتجوا فكرة واجهتهم صعاب تستوجب المزيد من إنتاج الفكرة، ولذلك؛ فهم قبلوا التحدّي والصّعاب كلّ يوم تُهزم صعوبة من بعد صعوبة ولا يأس.

ولذلك؛ فمرحلة الفكرة جعلت الإنسان على المعرفة الممكّنة من كشف العلاقة بين الخَلق والنّشوء والإعجاز والارتقاء، وفتحت أمامه آفاق البحث العلمي المِمكّن من صناعة المستقبل وتجاوزه أمل.

ومع أنّ الفكرة مولود العقل، ولكن مستفزّها خارجية، {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}107. ولذلك؛ فالفكرة لا تستمدّ من العالم الخارجي كما كان يراها أرسطو، بل العالم الخارجي هو مصدر استفزازها؛ فيخرجها من الكمون إلى حيّز الوجود وكأنّها تُبعث من العدم.

[107] الغاشية 17 . 21.

فالفكرة في ذاتها هي مجرّدة، ولكن في مفهومها ومضمونها تحمل رسالة، أو مشروعا، أو رؤية، أو حلّا يمكّن من فكّ التأزّمات وكسر القيود، والإقدام على ما يمكّن من الارتقاء؛ فالفكرة لم تكن خاطرة عابرة تأتي هكذا وتذهب وكأنّها لم تأت، بل الفكرة كما تستمدّ من السّابق، فهي تضيف الجديد، ثمّ تفتح آفاق الارتقاء مع المستقبل المأمول.

فالفكرة تمكّن من استخراج المجهول من المعلوم، أي: تستكشف المعلوم وتخرج المجهول منه؛ فيصبح معلوما وليس مخلوقا؛ فالفكرة تستنبط وتستمدّ من المخلوق شيئا لا ينقص من المخلوق شيئا، وفي المقابل تزداد المعارف أشياء مستكشفة.

والفكرة لم تلد في الخارج، بل الخارج يستفّز العقل ويُلفته إلى ما يُمكِن أن يُستكشف؛ فيبدأ العقل إعماله تجاه المستفزّ والحيرة تلازمه حتى يبلغه، وحينها لا تجد الحيرة مكانا لها عند المستكشف معرفة، أي: لا يمكن أن تبقى الحيرة مع التجلّي المعرفي، بل تبقى مع بقاء اللبس والغموض، وفي المقابل تزول بزوالهما.

والفكرة تعدّ صوغا عقليّا لمولودٍ لم يولد بعد؛ وهو بعد الولادة لن يكون فكرة، بل شيئا غيرها، ولكنّه المؤسّس عليها؛ فلو لم تكن ما كان، ولهذا فالفكرة هي استنباط الشيء من الشيء، بعد تهيّئه على الشّكل أو الصّورة أو الرّسالة والموضوع، ممّا يجعل المستنبط في صورة موضوع عام، حيث لا تفصيل؛ فالتفصيل لا يكون إلّا للموضوع الذي تمدّدت الفكرة

فيه بداية ونهاية، والفكرة هي الفكرة، والموضوع ارتقاء لا يكون إلّا المفسّر للفكرة إيضاحا.

فبعد أن تطوّر الإنسان من حياة الفطرة والتقليد إلى حياة الإنباء والفكرة، أصبح يُبدع استكشافا، وليس خَلقا، ذلك لأنّ المخلوق لا يَخلق، ولكنّه في دائرة الممكن يكتشف المخلوقات، ثمّ يكتشف منها أسرارا كانت مجهولة فيكتشفها بحثا، وتأملا، واستنباطا، واستقراء، ثمّ يوظّفها بما يعود عليه بالمنفعة، وهكذا هي الحياة والإنسان فيها يتطوّر بالفكرة، ومع ذلك لم يكن التفكير كلّه مؤسّسا على استنباط الفكرة ارتقاء، بل هناك من الفكرة ما يؤدّي إلى السُفلية والانحدار.

ومع أنّ الفكرة تلد في العقل البشري بداية بمستفزّات خارجية، ولكنّها بعد أن تلد منه إنتاجا، تصبح وفقا للقدرة قابلة للانتقال من عقلٍ إلى عقلٍ مع وافر التأثير، سواء أكان تأثيرا موجبا، أم سالبا، وعندما تكون الفكرة بنائية، تدفع المتلقِّين لها إلى الارتقاء، ولكن إن كانت هدّامة؛ فستدفع بمتلقيها إلى ارتكاب الأعمال الدُّونية. ومع ذلك؛ فالعيب لا يلاحق الفكرة، بل العيب يلاحق من كان من ورائها (من أوجدها)؛ الذي فكّر فيما يضرّ في الوقت الذي ينبغي أن يفكّر فيه فيما يفيد وينفع، وهنا تكمن العلّة، أي: تكمن العلّة في أصحاب الفكرة الهدّامة سواء الذين أنتجوها، أم أولئك الذين سوّقوا لها ووظّفوها.

ومع أنّ الفكرة في دائرة الممكن (بنائية أو هدمية)، ولكنّها بين هذا وذاك، يمكن أن تكون (إصلاحيّة)، وهذا يعني: أنّ الفكرة البنّاءة تصحّح أخطاء الفكرة الهدَّامة متى ما كان الحوار والجدل بين النّاس موضعيّا، ولا إمكانية أن تكون الغلبة للفكرة الهدّامة كلّما ساد الحوار والجدل منطقا (حُجّة بحجّة)، ولذلك؛ فالمعلومة الصّائبة تصحّح المعلومة الخاطئة كلّما طرأت؛ ذلك لأنَّ أثر الفكرة اليائسة يصحّح أو يعالج بالفكرة المملؤة أملا؛ فالفكرة الأمل تحفّز على البقاء المرضي، وتدفع تجاه المستقبل الأكثر إرضاء.

والفكرة كونها مجرّدة؛ فلا علاقة لها بالاقتناع من عدمه؛ فالاقتناع من عدمه مسؤولية من ينتج الفكرة، أو يتبنّاها، أو يأخذ بها من صاحبها أو متبنيها؛ فالعقل السّليم في معظم الأحيان يأخذ بأحسن الفكرة، والعقل العليل في معظم الأحيان يأخذ بأسوئها، ومع ذلك فللفكرة الحسنة مسوّقون، وللفكرة السّيئة مسوّقون، ومتى كان المسوّق على مقدرة إقناعية راجت فكرته حتى وإن كانت هدمية، وإن لم يكن له مقدرة إقناعية انكمشت فكرته وإن كانت بنائية، وهذه العلاقة هي بالتّمام علاقة بين من يسعى إلى الارتقاء، وبين من يسعى للدّونية والسُفلية، أي: فمن أراد ارتقاء؛ فعليه أن يأخذ بفكرة الارتقاء نهضة وتقدّما، أمّا من أراد سُفلية؛ فأفكارها في الأسواق الهدّامة كثيرة.

ولذلك، تعدّ الفكرة ارتقاء مصدرا للرّؤية البنائية، سواء أكانت رؤية فكريّة (تتعلّق بالنّظم والقوانين ورسم السياسات، وما يؤدّي إلى

الإصلاح وبلوغ الحلّ) أم أنّها كانت عملية، (تتعلّق بالاقتصاد والتجربة والبناء والإعمار)؛ فالفكرة سواء أكانت نظرية أم عملية، تخلق جدلا بين مُنظِّر، ومسوّق، ومؤيّد، ومعارض، وتابعين مختلفين.

وعليه:

فالفكرة حرّة، لا تُسجن وإن سُجن أصحابها ومسوّقوها، إنّها مولود العقل الذي فكّر في إيجاد كيفية تسمح له بالتمدّد داخل حدوده أو خارجها على حساب الغير، ثمّ من بعدها فكّر في ما يخالفها غاية؛ فأوجد كيفية تكبح السّلوك وتقيّده متى ما تمدّد على حساب الغير. ذلك لأنَّ الفكرة من طبيعتها التمدّد بين العقول، كما تمدّدت ارتقاء من النّظر إلى الخَلق، إلى البحث عمّا يُمكّن من معرفة الكيفيّة التي هو عليها، وذلك بغاية البحث ارتقاء عمّا يمكّن من معرفة المشاهد (هو كما هو)، ويمكّن من معرفة المعجز (آية بعد آية)، ثمّ يمكّن من بلوغ معرفة المستحيل مستحيلا، وهكذا هي الفكرة تتمدّد بين أيدينا ارتقاء.

فنحن بني آدم عرفنا أنّ الشّيء في أساس خلقه قد خُلق من غير موجود، وعرفنا أنّ بلوغ المستحيل مستحيل، وعرفنا نشوء الشيء من الشيء معجزة، وعرفنا أنّنا نعرف ما عرفنا ارتقاء، ثمّ عرفنا أنّنا في حاجة لمعرفة المزيد والأمل لا يفارقنا.

ومن ثمّ؛ فالفكرة لا تخلق الشّيء، ولكنّها تستكشفه، ولا علاقة لها بالخَلق؛ فالخَلق لم يكن من الفكرة، ولا من المفكّر. الخَلق من العلم،

وبالأمر كن ومن هنا؛ فالخالق لا يفكّر، بل الخالق يعلم كلّ شيء؛ وفي المقابل الذي يفكّر هو الذي لا يعلم، ولهذا يفكّر ويبحث بغاية أن يعلم.

والفكرة كمفردة تتشعّب فكرا، فتتمدّد في شؤون الموضوع الذي يحملها في ثناياه فروعا؛ فهي مثل النّواة التي تغرس في التّربة والمناخ المناسبين لها؛ فتنمو شجرة ضاربة في الأرض وجذعها إلى السّماء فروع متفرّعة، أي: تتفرّع الفكرة الواحدة فكر متعدّدة التفاصيل حتى يكتمل الموضوع رسالة أو رؤية. بمعنى: تتعدّد الفِكَر المتفرّعة من الفكرة بما يمكّن من استيعاب الموضوع فِكَرا مفصّلة.

وتعدّ الفكرة قاعدة التنظير، فلسفة وسياسة واقتصاد واجتماع، أمّا الدّين؛ فلا تنظير فيه؛ فهو لا يكون إلّا من خالق؛ ذلك لأنّ الدّين لم يبن على الفكرة، مع أنّ الفِكَر الثّمينة لا تستمدّ إلّا منه، أي: كلّ شيء يؤسّس على الفِكَر، لا يكون إلّا من مفكّر، والدّين ليس كذلك، ولهذا؛ فلا فكر ديني كما يعتقد البعض، بل الدّين لا يكون إلّا علم من عليم، ولهذا؛ فهو لا يستند على الفكرة، بل يستند على المعجزة، التي تتنزّل نباء ورسالة تنسب لخالق، ولا تنسب لمفكر.

وتعدّ الفِكَر من إنتاج العقل؛ ويعدّ الفِكْر من إعماله، ولأنّ الفِكَر هي مجموع الفكرة؛ فهي على الكثرة التي في حاجة لأن تصنّف بين ما يؤدّي إلى الارتقاء، وبين ما يؤدّي إلى الانحدار، ذلك لأنَّ الإنسان سواء

أكان هو مصدر الفكرة، أم متلقيها؛ فهو المخيّر قبولا، أو رفضا، أو حيادا.

ولأنّ الإنسان مخيّر، فيما هو ليس بمستحيلٍ؛ فهو يفكّر كما يشاء، دون أن يتجاوز الحقائق والشّواهد الدّالة على الوجود، سواء أكان وجودا مستحيلا، أم معجزا أم ممكنا؛ فالإنسان لا ينبغي أن يغفل عمّا يمكّنه من تطوير فِكْره، بغاية تنشيط إعمال فكره ليكون عقله متهيأ ومتأهبا للاستنباط من المجرد والمعجز، والاستقراء من المشاهد والملاحظ، وهذه من صفات العقل المتدبّر أمره. كما أنّه لا ينبغي أن يغفل عمّا يمكّنه من تطوير فِكَره (مجموع الفكرة) أي: لا ينبغي أن يتوقّف عند حدود إنتاج الفكرة، بل ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى ما يمكّنه من تطوير الفكرة بالفكرة حتى يبلغ تطوير ما بلغه من فِكَر. ولهذا، فالفِكْر، هو: إعمال العقل، أما الفِكَر: فهي إنتاج العقل، وكلاهما تقود المفكرين إلى ما يحقق أمل من ورائه آمال.

مبدأ

الفكرة تلد حلّا

الفكرة لا تتولّد ذهنا إلّا بعد استفزاز عقلي محيّر، يشد الانتباه إلى ذلك المستفزّ تمعّنا حتى يصنّف في ملفات الذّاكرة بين مستحيل ومعجز وممكن؛ فإن صنّف مستحيل يسلّم به مستحيلا، وإن كان معجزا يتمّ

الاعتراف به إيمانا، وإن كان ممكنا؛ فيكون خاضعا للبحث والتقصي الدّقيق حتى يلد حلّا بين متوقّع وغير متوقّع.

والفكرة كونها من إنتاج العقل، لا تستمدّ إلّا من واقع هو في حاجة لأن يُطوّر، أي: معظم الفِكَر هي نتاج استشعار معضلة تستوجب حلّا، ومتى ما بلغ الإنسان الحلّ اكتشف معضلة أخرى تلفت عقله وتستثيره تفكيرا بغاية بلوغ الحلِّ؛ فيفكّر تدبّرا حتى يقتنص لها حلّا من خلال بحث يتّضح فيه أثر المتغيّرات المستقلّة والتابعة والمتداخلة في كلّ معضلة، ولهذا، كلّما ازداد عدد المشاكل والمعضلات الحياتية تولّدت الفِكَر، وهذا يعني: وجود علاقة واسعة بين تعدّد المعضلات الحياتية، وبين عدد الفِكَر المتولّدة في عقل الإنسان تطوّرا.

ومن ثمّ؛ فإنْ إذا أراد من أراد حلّا فعليه أنْ:

ـ يكون متيقظا.

ـ مشاهدا عن قصد لذلك المحيّر.

ـ ملاحظا لذلك المستفزّ.

ـ متقصٍّ للعلل التي تكمن من خلفها العلّة.

ـ أن يخضع المحيّر والمستفزّ إلى البحث العلمي.

ـ أن يجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات ذات العلاقة.

ـ أن يحلل المعلومات.

ـ أن يستنتج ويستخلص النتائج وهناك يجد الحلّ كامنا.

ـ أن يفسّر النتائج ليعرف أن لكلّ خاصّية خصوصية وحلّا.

ومع أنّه لا حلّ إلّا من فكرة تكشف الحقيقة وتظهرها وجودا ولكن في بداية الخلق لم تكن الفكرة قد نضجت ذهنيا؛ ذلك لأنَّ الإنسان بداية لم يكن على الفكرة، بل كان على الفطرة والتقليد، ثمّ الإنباء، ولهذا، تعدّ الفكرة لاحقة لِما سبق، والإنسان ليس بمولودها؛ فهو المخلوق الذي لا إرادة له في خلقه، ولا تخيير له في ثنائية وجوده. بل التخيير كان بأسباب الاختلاف الذي خُلق عليه جنسا ونوعا، ولهذا، الإنس غير الملائكة والجن، وكذلك الذّكر غير الأنثى، والرّجل غير بقية الرّجال، والأنثى غير بقية الإناث، وهكذا كان الاختلاف بين الأجناس والأنواع، ولكلّ بصمته التي تعطيه خصوصية تجعله مختلفا عن خصوصيات الغير.

ولأنّ الإنسان في دائرة الممكن خُلق مخيّرا؛ فهو يفكّر فيما يشاء كيفما يشاء ومتى يشاء، وهو يقبل ويرفض، ويخطئ ويصيب؛ وبإمكانه أن يتطوّر ارتقاء، أو أن يتخلّف وينحدر دونية. ولأنّه مخيّر؛ فله من المشيئة في دائرة الممكن ما له؛ فهو يؤمن ويكفر ويشرك كما يشاء، ذلك لأنَّ كلّ شيء في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع هو بين يديه إرادة.

ومع أنّ الإنسان مخيّرا، لكنّه لم يترك هكذا وكأنّه بلا قيود؛ فهو المعرّض للاختبار من قِبل من خَلقه في دائرة الممكن مخيّرا. وأوّل اختبار آدمي هو ما فشل فيه آدم نفسه، وهو يوم أن أغواه الشّيطان وزوجه وزيّن لهما الأكل من تلك الشّجرة، {قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى}[108]، أي: في ذلك اليوم كانت المواجهة بين العقل والشّهوة، فتغلّبت الشّهوة على العقل الذي لم يستدع قوّته في حينها؛ فارتكب آدم فعل المعصية، التي لا زالت ترتكب إلى يومنا هذا شهوة ورغبة وغفلة، {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ}[109]؛ فهبط الأعداء على الأرض دونيّة. ولأنّهم الأعداء؛ فهل يمكن أن تكون حياتهم على المحبّة ولا شيء غيرها؟

أقول:

كلّ شيء في دائرة النّسبية هو بين متوقّع وغير متوقّع، ولهذا؛ فالقلب الواحد يحمل في سويدائه المتناقضات (حبّ وكره) ولكلّ مستفزّاته وعِلله، ولا استغراب أن تحدث المفاجآت في الزّمان والمكان غير المتوقّعين؛ فهذه من طبيعة خلق الإنسان الذي خُلق مسيرا ومخيّرا في ذات الوقت، ولأنّه كذلك؛ فلا بدّ وأن يكون على التخيير بين متوقّع وغير متوقّع ولا استغراب.

---

[108] طه 120 ، 121.

[109] طه 123.

ولأنّ بني آدم مخيّرون؛ فقد اختار بعضهم المعصية كما اختارها أبوهم من قبلهم، غير أنّ أباهم استغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، ولكنّ بعض الأبناء لم يستغفرون عن ذنوبهم؛ فأضافوا إلى ما هم عليه من ذنوب ما أضافوا.

ومن هنا، كانت بداية الخلاف والصّراع والاقتتال بين بني آدم بما تثيره الشّهوة والرّغبة تحت مظلة الغفلة، ثمّ أخذ الخلاف والصّراع منحى دينيا بين من يأخذ بالنّبأ والرِّسالة، وبين من يكفر بهما. وهكذا ظل العداء بين بني آدم وكأنّ العداء قد خُلق معهم على الفطرة والتقليد، وهكذا ظلّ القتل من بعد تلك الحادثة (قَتلُ ابن آدم لأخيه)، وكأنّ الأنبياء والرّسُل لم يبعثوا بعد.

وما يُلفت النّظر هنا، أنّ الذي قُتل من بني آدم هو من اتّقى ربّه هداية ومخافة، ممّا جعل البقاء لمن لم يتقيه بما عملت يداه، ومن هنا، أصبحت كفّة المغالبة راجحة تجاه (من قتل أخاه ظلما)، ولهذا، {أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ}110، ولكن لو كُتِبَ البقاء للذي اتّقى ربّه في نفسه وأخيه، لكان الأمر في دائرة المتوقّع غير ذلك، ومن ثمّ، اتسعت دائرة العصاة بقتل المسالم وبقاء الظالم، وظلت الفتنة على التكاثر مع تكاثر بني آدم إلى يومنا هذا، وحتى النّهاية. أي: لا يمكن أن يقف الاقتتال، والمفسدون والمخالفون والعصاة والمجرمون في الأرض هم الذين أهبط بهم والأرض أرضا.

---

110 الأنعام 111.

ولهذا؛ فالفساد في الأرض كَثُر بما عملته أيدي النّاس، ومع ذلك لم يبق الفساد على حاله؛ فبعث الله نوحا نبيا لينذر قومه الذين أفسدوا في الأرض، {فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}111، ومع أنّه لبث فيهم هذه السّنين، ولكنّ أكثرهم ظلوا ضالّين، إلى أن صدر حكم الله عليهم غرقا، وهو غرق من لم يتّعظ ولا يعتبر ولا يهتدي للتي هي أحسن؛ فغرقت تلك البقعة من الأرض بمن عليها خلافا، إلّا المؤمنين بما جاء به نوح من عند ربّه، كُتبت لهم النّجاة على ظهر سفينة النّجاة، التي حُمِلَ فيها من كلّ زوجين اثنين {قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ}112.

إنّها بداية حقبة جديدة لنشوء مجتمع إنساني جديد، كلّه على الهداية والإيمان؛ فكان البقاء للحقّ، ولا وجود للباطل، ولكن يظل للتخيير والاختلاف والإرادة والرّغبة والشهّوة أدورا مؤثرة على الفعل والعمل والسّلوك البشري؛ ممّا يجعل بني آدم بين تطوّر وارتقاء، وبين سُفلية ودونية، ومن ثمّ؛ فإذا كان الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، لم يستطع البقاء على حُسن تقويمه اختيارا، {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى}113؛ فكيف بمن خُلق من نطفة من زوجين مختلفين؟

---

[111] العنكبوت 14.

[112] هود 40.

[113] طه 121.

ولذلك، حصلت الانتكاسة من بعد نوح والطّوفان؛ فأصبحت الكثرة على الضّلال والقلّة على الإيمان؛ فبعث الله إبراهيم ومن بعده الأنبياء تترى، من أجل الهداية والإصلاح وبلوغ الحلّ فيما هم فيه مختلفون، {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ}114.

ومن هنا، أصبحت الشرائع بين النّاس تنظّم العلاقات الإنسانية على الفضائل الخيّرة المستمدّة من الأديان، سواء أكان النّاس مؤمنين، أم غير ذلك، وذلك وفقا لقاعدة: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}115. أي: أصبحت الأديان هي المصدر الأوّل لتنظيم العلاقات بين الأمم والشّعوب، فهي قد لفتت النّاس إلى آيات الخالق في كونه وفي المعجزات التي بعث بها رُسُله؛ فكان الجدل حجّة بحجّة، حتى وُلدت الفلسفة في عقول النّاس بحثا عن الحقيقة المجرّدة. ولا شيء في دائرة الممكن يعيق العقل عن البحث والتقصي بما أنّ العقل قادر على الإعمال فكرا.

وعليه.

. فكّر في الكبائر كما تفكّر في الصّغائر تجد حلّا.

. فكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تجعل منه موضعا أو مشكلة وهو لم يكن كذلك محيّرا.

---

[114] المؤمنون 44.

[115] البقرة 256.

. ميّز بين المشاكل العابرة وبين التي تقسم الظّهر حتى تستشعر الألم الذي من ورائه حلّا.

. التفت إلى التّاريخ؛ فهو مليء بالعبر والمواعظ المملوءة بما يُلفت الانتباه إلى الحلول.

. لا تأخذ الحلول الجاهزة، بل عليك بالتمييز بين ما كان مهمّ في زمانه ومكانه وبين ما هو غير مهم في الزّمان والمكان المختلف عنه بالتّمام.

. ثق أنّ لكلّ مشكلة حلّا.

. إذا لم تستلهم أو تستقرأ أو تستنتج حلّا في دائرة الممكن المتوقّع؛ فعليك بالتفكير في دائرة غير المتوقّع حتى تجد الحلّ هناك. ولكن إن تعسّرت عليك معرفته هناك أو تعسّر عليك اكتشافه بالرّغم من وجوده، ففكّر في إيجاد خارقة تمكّنك من اختراق المشكلة حلّا.

مبدأ
تحدّي الصّعب

الصّعاب هي تلك الأعمال التي تستوجب مزيدا من الجهد دون أن تكون مستحيلة التحقّق؛ فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين لها صبرا ومزيدا من الثبات

وبذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف أو تحقيق الأغراض أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به.

ولذا؛ فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، ولكن لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدَّي الصِّعاب) أمّا لاستثناء: (الاستسلام إليها).

ولأنّ الممكن ارتقاء يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه، ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر؛ فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

فالتهيّؤ في دائرة الممكن لتحدي الصّعاب ارتقاء يُمكّن من أداء العمل الموجب، وكذلك هو ارتقاء لمواجهة ما يمكن أن يكون من فعل

سالب؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل؛ فهي تُرسم لمقاومة المعيقين له، ومتى ما بلغ الإنسان التهيؤ إرادة، بلغ القناعة المحفّزة والدّافعة إلى تنفيذ العمل ومواجهة ما يعيقه من صعوبات، ولذلك؛ فالذين يتهيّؤون إلى ارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته؛ فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيدهم على الزّناد مرتعشة ، وهنا تكمن العلّة.

ومن تهيّأ واستعدَّ لتحدي الصّعاب وأقدم عليها ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيّره عن الاستمرار فيها، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا؛ فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنّ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاء لا استحالة فيه، ولكن إن لم يعقب التهيؤ استعدادا؛ فلا إمكانية، حيث لا إرادة، ولذلك؛ فإنّ غياب الإرادة يغيّب

كلّ من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانية لتحدي الصّعاب؛ أي لا تحدّي بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصّعاب فعليك بالآتي:

. أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهمية على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدّيا.

. أصّمد فالصّعب لا يصمد. أي عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض، ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي

يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك صلحا وتصالحا وعفوا {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}116.

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، ولأنّها ممكنة فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض دائما أفضل من البعض، أي: دائما الواعون والصّابرون والمؤمنون بأنّ الحقّ يُحقّ يعملون على إحقاقه تحدّيا وقهرا للباطل.

. الصّعب على علاقة بالباطل من حيث أنّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة، ولهذا الصعب يقهر والباطل يبطل، ولكن لا يكون ذلك إلّا على أيدي الصّامدين.

. اقبل بدفع الثمن جهدا ووقتا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرا.

. تحدّى الخوف الذي يقنعك كسلا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجا، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسولا مع المتسولين على الأرصفة وبين الأزقة.

---

116 الأحزاب 25.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحديا، وأهّب نفسك لمواجهة الصّعاب تجد الصّعاب مستسلمة.

فالتأهّب لتحدّي الصّعاب يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّد ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن؛ فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاء لابدّ وأن يكون متأهّبا لما يترتّب عليه من ردّت فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجئات في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر عند تحدّي الصّعاب ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، ومن هنا، تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاح مساندا.

ولذلك؛ فالغاية من بعد الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، ولكنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيؤون

لها، ويستعدّون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل.

تجاوز الصّعاب بين الثّابت والمهتز:

الثّابت هو الذي يستمدّ القوّة من رغبة النّاس فيه، وتمسّكهم به قيمة أو مبدأ، أو فضيلة، أمّا المهتز فهو المتبدّل بتبدّل الرّغبة والإرادة والحاجة، ومن هنا، ليس هينا أن يتمّ الاستغناء عمّا ألفته الشّعوب، أو سكن في قلوبهم، ومع ذلك إذا حدث ما حدث ليحول بينهم وبين ما آلفوه؛ فلن يمرّ حاله كما تمرّ السّحب، بل سيقبل البعض مواجهة المتحدي بتحدٍّ؛ ممّا يجعل الانكسار في أحد الأطراف وانهزامه كونه لم يستطع مواجهة الصّعب.

وبطبيعة الأمر بالنّسبة لبني الإنسان كلّ شيء نسبي، أي: كلّ شيء ممكن، فحتى القيم ذات الثبات النسبي هي قابلة للتطوير والتغيير عبر الزّمن حتى وإن صمدت لوقت منه.

والقاعدة هي:

1 . فكّر في الثابت.

2 . فكّر في المهتز.

والاستثناء :

1 . عدم التفكير في الثابت.

2 . عدم التفكير في المهتز.

ولهذا، لا فرق بين الثّبات والاهتزاز من حيث أن كلّ منهما نسبي.

والذي جعل كلّ منهما على حالة من النسبية، هو التداخل بين الحركة والسّكون.

ولهذا؛ فالثّبات على حالة من الاهتزاز. والاهتزاز على حالة من الثّبوت، ولو لم يكن الثبات نسبيا ما تغيرنا وتغيرت أحوالنا .

ولو لم يكن الاهتزاز نسبيا ما أصلحت أحوال المنحرفين وعادوا لأداء مهامهم ووظائفهم الاجتماعية والإنسانية.

ولأنَّ كلّ شيء نسبي، إذن كلّ شيء ممكن؛ فلا تستغرب أن يحدث ما لم يُتوقّع أن يحدث.

وعليه: إذا وقع ما لم تتوقّع؛ فعليك بالتعامل معه وفقا للأبعاد القيمية الآتية:

ـ البعد المهني.

ـ البعد الديني.

ـ البعد النفسي.

- البعد الاجتماعي.

- البعد الإنساني.

- البعد السياسي.

- البعد الاقتصادي.

وعليك أن تعرف وفقا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) أن كلّ شيء قابل لأن يتغير كلّما توافرت معطياته أو اشتراطاته.

وعليه فكّر في الثّابت كما تفكر في المهتز، فكل شيء يتغير. وأعرف أنّ الزّمن كفيل بذلك إذا توافرت العزيمة ورسمت الخطط، ووضعت صناعة المستقبل هدفا رئيسا لإحداث النقلة.

ولأنَّ كلّ ثابت وكلّ مهتز هو في دائرة الممكن النسبي، إذن فالتفكير فيهما يعدّ ضرورة قبل اتخاذ القرار. ولذلك تتماثل دائرة الثابت والمهتز مع دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، من حيث: أن 50% من الدّائرة هو ثابت أو متوقّع، وأنّ 50% من الدّائرة هو المهتز أو غير المتوقّع. وهذا يعني: أنّ النسبي سيكون بين موجبٍ وسالبٍ، أي: أنّ الثابت والمهتز كلّ منهما معرّض لأن يكون سلبيا أو إيجابيا، أو أن يكون نتاج الأعمال السالبة أو الموجبة. ولهذا تتداخل الحركة مع السّكون، ويتداخل السّكون مع الحركة.

وبما أنّ نسبة من السّكون في حالة حركة، وأنّ نسبة من الحركة في حالة سكون، إذن لا مطلقية للثبات ولا مطلقية للسّكون.

ولذا فكّر في الثابت حتى تتيقّن، وفكر في المهتز مثلما أن متيقّن.

وبما أنّ الكون في حالة حركة مستمرة؛ فهل هناك ساكن خارج التمدّد الكوني المتسارع؟

وعليه: لو لم يكن الثبات نسبيا، ما تغيّرنا وما تغيّرت أحوالنا. ولو لم يكن الاهتزاز نسبيا ما أُصلحت أحوال المنحرفين، ولما تمكّن الأخصائيون الاجتماعيون من إعادتهم للقاعدة (الإنسان قوّة) فيجب أن يكون الإنسان على القوّة ويقبل تحدي الصّعاب من أجل صناعة المستقبل الأفضل.، ولا يستغرب أنّ (كلّ شيء ممكن).

مبدأ
الأهداف تُنجز

الأهداف هي ذلك المرجو إنجازا سواء أكان الإنجاز بحثا علميا أم عملا أو أيّ مقصد من المقاصد المعلومة، ولهذا فالأهداف تحدّد بوضوح ودقة، لتكون مرشدة لمراميها.

فالأهداف هي التي تحدّد وفق الإمكانات من قبل الذين يأملون انجاز ما يمكن إنجازه علما أو معرفة أو بناء وإعمارا وصناعة مستقبل، وهي

لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ولهذا فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا، وبين الهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا قابلة للإنجاز، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاء. وفي هذا الشأن الأمر لا يزيد عن كونه أملا، وسيظل أملا، لأنّ الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين في خصوصياتنا وفي آمالنا وإن اتفقنا في بعض منها، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[117].

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين، ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي أن تحدّد الأهداف وفقا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاء.

فمن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاء، ومن يضيعها

---

[117] هود 118 ، 119.

سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة؛ فالنّدم يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراض، والغاية من ورائها قمّة مأمولة.

وعليه:

إنّ تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعية، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهمية الموضوع أو القضية التي هم يعملون أو يضحّون من أجلها. ولهذا:

ـ حدّد أهدافك قبل أن تبحث أو تعمل.

ـ وضّح أهدافك للغير إذا كانوا على علاقة بها.

ـ فكّ اللبس أو الغموض عن كلّ مفهوم من مفاهيم أهدافك.

ـ ثق أنّ الأهداف تنجز؛ فلا تتأخّر عن العمل على إنجازها.

ـ تحديد الأهداف يدلّ على وضوح الرّؤية.

ـ غموض الأهداف لا يؤدّي إلى تحقيق نتائج.

. تحديد الأهداف يمكّن من التدبّر.

ولهذا وجب التدبّر الذي ترسم سياساته وفقا لأهداف واضحة وذلك بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم، وتوجيهها وفقا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة؛ فيخلّصهم من التسوّل إرادة وعملا، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة؛ فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة، ولهذا لا يمكن أن تبلغ الغايات العظام بلا أهداف والأغراض من ورائها حافز ودافع.

الأهداف ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلما ومعرفة وإنتاجا وحرفة، ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيات على أي مستوى من المستويات الفردية والجماعية والمجتمعية وأيّ مستوى

من المستويات السياسية والاقتصادية والمعرفية ما لم تحدد لذلك أهداف قابلة للإنجاز.

ودائما عندما تحدّد الأهداف تصبح رؤية المحدّدين لها واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من تحديد أهداف بحثه أو سياسته أو تنظيمه؛ فلن يستطيع أن ينجز شيئا يمكن أن يكون على الأهمية المرجوة.

وعليه:

. الأهداف ليست أمنيات كُسالى، بل هي التي تحمل في أحشائها الموضوع أو المشكل برمّته.

. الأهداف لا تحدّد بدقّة إلّا من قِبل الجادّين.

. الأهداف تنجز أوّل بأوّل.

. الأهداف تهدي الباحثين وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الأهداف لا تحدّد إلّا من قبل القادرين على إنجازها.

. يعدّ تحديد الأهداف كسر فيما كان يظن أنّه صعبا لا يكسر.

. ويعدّ إنجاز أوّل الأهداف أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

ولهذا فتحديد الأهداف لم يكن غاية في ذاته، ولكنّه ضرورة لطي الهوة بين من كانت لهم أهداف وبين المستهدف منها، ولهذا فالأهداف ترتّب أوّل بأوّل، ذلك لأنّ إنجازها متتالي ومتلاحق وهي بعد الإنجاز تفتح آفاقا جديدة لصوغ أهداف جدية لا تتولّد إلّا من بعد الإنجاز السابق للأهداف السّابقة عليها.

ومع أنّ البداية تُعدّ نقطة الصّعوبة، لكنّها في النّهاية لا تعدّ نقطة الاستحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عملية التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ.

ولأجل ذلك: ينبغي أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، وبين تحديد الأغراض وتحقيقها، وبين تحديد الغايات وبلوغها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أولا بأوّل، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها، ولهذا؛ فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهمية إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ولهذا، لا ينبغي أن تكون الأهداف غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنَّ قاعدة تحديد الأهداف مؤسّسة على الإنجاز، وإلّا لا داعي لتحديدها، أي: كلّ ما أنجز بنو آدم هدفا ينبغي أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهمية، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية.

ولذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يحدّد أهدافه، ولكنّه لا يعمل على إنجازها وكأنّ تحديدها هو الغاية؛ وكذلك هناك من يحدّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها، ولهذا؛ فالأهداف ارتقاء: ينبغي أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية.

ومن ثمّ، ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا؛ فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

ـ إنّ تحديد الأهداف ليس غاية في ذاته، بل الغاية إيجاد المنجز.

ـ من يحدّد أهدافه غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

ـ إنجاز الأهداف يولّد أهدافا جديدة في عقول الجادّين.

ـ كلّ هدف يحدّد من ورائه غرض.

ـ كلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية.

كلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمول يتمّ نيله.

ـ لا ترسم السياسات إلّا على أهداف واضحة ومحدّد وبيّنة.

ـ الأهداف تحدّد وفقا لمتغيرات محدّدة، ولكن لا تقفل على ذلك؛ فهناك من الأهداف ما يحدّد في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولذا؛ فكلّما أُنجز هدف، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاء. أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاء وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب؛ فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء.

ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النّاس من حيث هم، من أجل ما يجب أن يكونوا عليه ارتقاء.

فالارتقاء معمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، ولكن في المقابل هناك من يهدم المعمار رأسا على عقب، وهناك من يهدّم لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا، وبين الهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا قابلة للإنجاز. ومع ذلك؛ فهذا الأمر لا يزيد عن كونه أملا، وسيظل أملا، لأنّ الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[118].

مبدأ

الغايات تُبلغ

الغاية: هي ذلك الشيء البعيد الممكّن من نيل المأمول، وهي تُبلغ عملا وجهدا يبذل في سبيل الإنتاج وقبول التحدّي وتجاوز الصّعاب بعد مغالبتها بأهداف تنجز وأغراض تتحقّق.

---

[118] هود 118 ، 119.

والغاية مع أنّها تُبلغ لكنّها لا تدرك إلّا من قِبل صاحبها الذي يأمل بلوغها؛ فهي لم تكن هدف مشاهد، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا يشاهد.

والغاية لم تكن هي المأمولة، بل هي ما يمكّن من بلوغ المأمول، أي: أنَّ المأمول هو ذلك الشيء المراد نيله أو الفوز به، أمّا الغاية فهي الكامنة في العقول والصدور، والتي في الغالب لا يعلن عنها حتى نيل المأمول الذي كان في الأنفس مجرّد غاية وأمل.

فالغايات لم تكن مثل الأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل وضمير الضامر، الذي وحده يعرف ماذا يريد؟ أو ماذا يرغب من وراء تلك الأهداف التي حدّدها وثابر على إنجازها؟

فالباحث العلمي على سبيل المثال: لابدّ له أن يحدّد أهداف بحثه أوّل بأوّل، حتى يتمّ اعتمادها من قِبل الأستاذ المشرف والتصديق عليها من لجنة القبول، أمّا أغراض وغايات الباحث فهي من وراء نيله درجة الماجستير أو الدكتوراه، وهو وحده الذي يعرف غاياته، ولا يعلمها إلّا الله أو من أخبرهم بها.

ولأنّها الغاية؛ فهي لا تدرك إلّا ممن يعلمها سرّا وجهرا، فعلى سبيل المثال: الغاية من التمدّد المطلق لا يعلمها إلّا العليم المطلق؛ فمعرفة الغاية من تمدّد الكون هي متجاوزة لدائرة الممكن؛ فلا تدرك إلّا من خارجها

(من قِبل من بيده العلم المطلق) الذي خلق ويخلق وسيخلق، {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}119 .

يفهم من هذه الآية: أنّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجئة فيه لمن يعلم أنّ صفة الخالق هي الخلق بلا انقطاع؛ فهو الذي خلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّماوات والأرضين)، وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وهو الذي بيده نهاية الكون {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ}120وهو الواحد الذي يعلم الغاية من وراء ذلك ولا أحد بإمكانه أن يعلمها.

فعلماء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون بالرّغم من خلافهم على خَلقِ الكون، لكنّهم يتفقون على أنّه لم يعدّ بعد بلوغ الغايات إلّا النّهاية التي لا يعلم الغاية من ورائها إلّا الله جلّ جلاله.

وعليه:

الغاية لم تكن النّهاية كما يعتقد البعض، ذلك لأنّ الغاية من ورائها مأمول، أمّا النّهاية فمن ورائها العدم، أي أنّ الغاية تُبلغ ليكون من بعدها المأمول بين اليدين قابل للتعامل معه حقيقة في ذاته وليس غاية؛ فالغاية دئما تكمن في الصدور والعقول، وهي تتطلّب حُسن تدبّر حتى تُبلغ، ومع ذلك لم يكن بلوغها في ذاته هو الغاية، بل الغاية هي التي تُمكِّن من بلوغ

[119] الذاريات 47.

[120] الأنبياء 104.

الشيء ليكون من بعد بلوغه قابل لنيله أو قابل للنيل منه أو الفوز به شيء بعد أن كان مجرّد أمل.

ولهذا فالغاية هي الأخرى قابلة لتجاوزها، أي قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، فالغاية تُمكّن أصحابها من بلوغ المأمول، ولهذا لم تكن هي المأمولة، هي فقط تُوصِلُ أصحابها عملا حتى ملامسة المأمول، ولكن كيف ينال المأمول أو كيف ينال شيء منه، أو كيف يمكن أن يتمّ الغوص في أغواره فهذا حسب الجهد والأسلوب والمقدرة، وهو أيضا بعد أن يتمّ بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشيء المشبع للحاجة أو الملبّي للرّغبة أو المقصد أو الطلب.

إذن الغاية لم تكن الشيء كما يظن البعض حتى يقال عنها (الغاية هي ذلك الشيء)، بل الغاية للمُشيء (الإنسان) فالغاية لا تزيد عن كونها ذلك الذي يضمره العقل البشري تجاه ذلك المأمول الذي يستوجب بعد بلوغه غاية كيفية بها يتمّ التعامل معه أو التمكّن منه أخذا. ولهذا سيكون هناك جهد يبذل بعد بلوغ الغاية وهو التعامل مع المأمول كسبا وإشباعا للرغبة أو الشّهوة أو الحاجة المتنوّعة.

فعلى سبيل المثال: إذا كان للإنسان غاية محدّد وهي السّفر إلى دولة ما ولتكن المانيا، وتحقّق له هذا السّفر ودخل إلى ألمانيا، فهنا تعدّ الغاية قد تمّ بلوغها، ولكن ما المقصد من ورائها؟ هل المقصد من ورائها هو العمل أم العلاج؟ أم مجرّد الإقامة والعيش هناك؟ فهذا الشيء لم يكن

الغاية، بل هذا الشيء هو المأمول وهو المترتّب على بلوغ الغاية (بلوغ الأراضي الألمانية). ممّا يجعل لمن كانت له غاية السّفر إلى ألمانيا أن يفصح عن مأموله وأن يعمل عليه حتى يتمّ نيله أو الفوز به وفقا للجهد الموضوعي. ولهذا؛ فالغاية لا تزيد عن كونها الكامنة في الصدور والعقول التي ترسم لمستقبلها مأمولات وتسعى إليها غاية تبلغ ومن بعدها يتمّ نيل المأمول جهدا مع قبول تحدّي الصّعاب وصبر لا يجعل في نفس صاحبه للملل مكانا ليركن إليه.

وعليه:

. الغاية تبّلغ فلا تقنط.

. الغايات لا تبلغ إلّا تحدٍّ؛ فعليك بالتحدّي الذي يمكّنك منها تيسيرا.

. الغاية مع أنّها في النفس وتحت سيطرة العقل، ولكن الشيء المراد بلوغه قد يكون بعيدا، ومع ذلك قوّة الغاية وتحفّز أصحابها يسرّع من طيي الهوة بين من يضمر في نفسه غاية وبين الشيء المراد بلوغه.

. بلوغ الغاية يُمكّن من تفحّص المأمول ونيله.

. الغاية تُبلغ ولكنّها لم تكن في ذاتها شيء، بل الغاية بلوغ الشّيء ليكون من بعد بلوغه عمل يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه ميسّرا.

ـ الغاية تُمكّن من بلوغ الشيء، ولكنّها لم تكن هي الشيء في ذاته؛ فالشيء يتم نيله أو أخذه، أمّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتمّ نيلها، بل نيل الشّيء لا يؤخذ إلّا من بعدها؛ فينبغي على الإنسان أن يولّد في نفسه غايات وفي عقله تدبّر، ثمّ يعمل حتى يتمّ نيل المأمول الذي لم يكن قبل نيله إلّا مجرّد أمل.

ومن ثمّ؛ فمن يرد أن يبلغ الغايات العظيمة؛ فعليه أن يجعل غاياته درجات سلّم (درجة أعلى من درجة) أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلّم، أهّب قدمه الأخرى إلى الدّرجة التي هي أعلى من التي وضع عليها قدمه الأوّلى، ولذا؛ فلا ينبغي أن يغفل أحد من بني آدم ويضع قدميه معا على درجة من درجات السّلم حتى لا تنكسر بأيّ علّة ويجد نفسه قد وقع على الأرض الدّنيا حطاما؛ فالقدمان لا يوضعان بسلام وصاحبهما مطمئن إلّا على قمّة استراحة السّلم الذي يرتق الأرض مع السّماء ارتقاء.

إذن بلوغ الغايات يستوجب:

ـ تخمين مع حُسن تدبّر.

ـ وعي بالمأمول.

ـ إمكانية بلوغ المأمول.

ـ قبول تحدّي الصّعاب.

. صبر لا إحباط من بعده.

. ثّقة لا شكّ يراودها.

. يقين لا حياد عنه.

. صمود وإن كانت الصّعاب تصاحبه مؤقّتا.

. ثبات ولا حياد عن تلك الأهداف الواضحة تجاه الغايات المراد بلوغها.

. عمل مؤسّس على التفهّم والتبيّن حيث لا غموض.

. اعمل وأنت تفكّر في كيفية توليد الغاية من الغاية.

ولذا؛ فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقا غايات يتمّ بلوغها، ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النّاس من حيث هم، من أجل أن يبلغوا الغايات العظام.

ولأجل ذلك: ينبغي أن يكون للإنسان غايات قابلة للبلوغ، وينبغي أن يكون من وراء الغايات التي تمّ بلوغها غايات أعظم من تلك التي قد بُلغت وحقّقت الاطمئنان لآمليها.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزل عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة، حيث لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة وهنا يكمن الوهن والضعف، ولا تتحقّق الغايات التي بنى البعض عليها آماله وهما وتخيلا.

ومن ثمّ، ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقق لهم المكانة الشّخصية قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة قوّة ورفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا؛ فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

ولذا؛ فكلّما أُنجز هدف، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاء. أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاء وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقا لأهداف تنجز رغبة، وأغراض تتحقّق عن إرادة، وغايات يتمّ بلوغها

عن قوّة، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب؛ فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين قوّة.

وعليه:

فالغايات هي حيويّة الدّوافع، ومثيرة الحوافز النفسية والذهنية والعاطفية بقوّة الرّغبة والأمل تجاه ما يمكن أن يبلغ في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع. والإنسان بلا غايات فهو بلا آمال، ومن ثمّ؛ فلن يكون في عصره من بين صنّاع المستقبل ومحدثي النُقلة.

مبدأ
تدبّر الحاضر

الحاضر تدبّرا هو ما يدركه العقل ويتبناه تخطيطا وعملا حتى يعيشه وجودا كما يأمله، ولذا؛ فالتدبّر حُسن إدارة وجودة عمل، به ترسم السياسات والخطط وتُتّخذ التدابير الممكّنة من إيجاد معالجات لأيّ طارئ فالتدبّر دراية عقلية يرتقي بحاضر أصحابه إلى ما يمكنّهم من الأخذ بما ينبغي في سبيل إحداث النُقلة سياسة واقتصادا وعلما ومعرفة، نُقلة تطوي صفحات الحاجات المتطوّرة بمشبعات مُرضية وفقا للفرضيات التي تأسّست عليها؛ ممّا يجعل المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها

تفادي المشكلّة، أو حلّها من جذورها؛ فالتدبُّر ارتقاء يمكّن من مواجهة المفاجآت التي يمكن أن تحصل في الزّمن الحاضر دون أن تترك أثرا سلبيا.

ويتّسع التدبّر ارتقاء ليكون حضوره ملبّيا أو محتويا للأحداث الحاصلة، إلاّ أنّه لا يكون حلّا نهائيا؛ فكلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولا دائمة، لكنّها في وقتها إن كانت ارتقاء؛ فهي لا شكّ تمثّل الحلّ الأمثل في زمنه في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيا إلّا أنَّه يفتح مدارك الإنسان رُقيّا في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، التي تتّسع لكلّ المفاجآت، التي يمكن أن تحدث.

ففي الزّمن الآني يحدث الكثير من الأحداث التي يكون وقوعها ممثّلا لكارثة أو لأمر غير متوقّع؛ فتكون المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلّة.

فالتدبُّر حلّ للمفاجآت التي يمكن أن تحصل، ولهذا لا يكون الحلّ نهائيا، بل وقتيّا من أجل تجاوز المرحلة المهمّة، ومن الشّواهد التي رأينا فيها التدبّر مثالا حاصلا بالكيفية الآنية ما حصل في تشيلي لعمال المناجم بتاريخ 14 أكتوبر 2010، فبعد أن أصبحوا في غياهب الظلمات في مسافة تزيد عن ستمائة متر تحت الأرض، فما كان من السلطات التشيليّة إلّا بحثت عن حلّ سريع يكون به النّجاة لهؤلاء العمّال، وفي كلّ تفاصيل الإنقاذ كان الخوف حاضرا بدرجة كبيرة، ممّا استوجب ضرورة لحسن

التدبّر، فأدوات النجاة وطرقها كان يرافقها الخوف ممّا أفضى ذلك بأن يكون النّجاح حليف عملية الإنقاذ، وهناك استعملت في عملية الإنقاذ كبسولة أطلق عليها اسم (فينكس) نسبة إلى طائر (الفينيق) الأسطوري، وبلغ قطرها 53 سم. وخضعت هذه الكبسولة للتجريب حيث عمد عمال الإنقاذ إلى إنزالها مرّتين في باطن الأرض قبل بدء عمليات إنقاذ العمال. فما كان من الخوف إلّا أن يكون حاضرا في جميع تفاصيل مهمة الإنقاذ فالبداية تدبّرا كانت باحثة عن كلّ الأساليب التي تجعل من العمال يبقون على قيد الحياة سالمين، كالغذاء والاتصال وغير ذلك، أمّا المهمّة الثانية؛ فكانت في تفاصيل وسائل الإنقاذ بداية من الحفر عن أقرب مكان يصل إليهم إلى الكبسولة التي تقلّهم إلى سطح الأرض؛ فالتدبّر في حاضره كان في كلّ شيء يساهم في الإنقاذ، والكبسولة حيطة وحذرا لم تكن واحدة بل كانت أكثر من واحدة، ووسائل الحماية المتوفِّرة فيها تدبّرا كانت خاضعة لمقاييس الخوف من أجل أن يصل العامل إلى سطح الأرض بكلّ سلامة، ولم يكن الخوف والتبّر قابعا تحت الأرض فقط، بل كان حاضرا عند سطح الأرض في توفير كلّ المستلزمات الصحيّة التي تحافظ على صحة العمال بما فيها النظّارة الشمسية الخاصّة التي كانت البداية متمثّلة فيها.

ويتّسع التدبّر ليكون حضوره ملبّيا أو محتويا للأحداث الحاصلة إلاّ أنّه لا يكون حلّا نهائيا، أو أن يتكرّر الحدث بتكرر الحلّ نفسه، ولذا أنَّ كلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولا دائمية، لكنّها في وقتها قد تمثّل الحلّ الأمثل في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير

متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيا إلّا أنَّه يفتح مدارك الإنسان في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، وهو بهذا يسير نحو إيجاد حلول منفتحة ومكتسية بثوابت افتراضية ممّا يكون مستقبلها حاصلا ومنتميا لهذه الافتراضات.

ويسهم الحلّ الآني تدبّرا في خلق فروض متعدِّدة منتمية إلى مخاوف مفترضة، وهنا يظهر الخوف كمؤسّس حقيقي لفرضيات تسهم بشكلّ كبير في إيجاد مساحات جديدة فيها من التدبّر والمتناوبات المختلفة التي تشير بشكلّ أو بآخر إلى وجود افتراقات في المنجز الافتراضي، وهذا يبعث في الرؤى العامّة المتحقّقة روح الامتداد المستفيض الذي يخلق تبعات واضحة تجد صداها عند كلّ فرضية موجودة سواء أكانت متحقِّقة أم كانت في طور الانتماء العام لفرضيات أخذ الحيطة والحذر من أجل سلامة المتدبّر من أجله.

ويكون التدبّر المتعاقب في هذا المنجز الافتراضي أداة فاعلة في بناء استمرارية حقيقية تكون رافدة للعملية المطلوبة، فالانكفاء غير حاصل كونه يخلق انزواءات غير فاعلة تسهم بشكلٍ كبيرٍ في انضواء أنساق عديدة يكون لها دور مهم في الإيضاح والتفاعل والخلق والمبادرة، فتستحيل كلّ ملاحظاتها إلى برامج تتابعية ترشد وترسم ما سيكون وفق عملية نجد فيها تشاكل واضح ينضح بكلّ السياقات التي يكون حضورها فاعلا ومؤثّرا.

وعليه تكون المساحة المطلوبة لهذه الفرضيات منتمية إلى الاتساع الذي يجب أن يكون، وهنا تظهر المدارات بأنواعها كي تشغل حيزا واضحا في هذه المساحة التي تتّسع لكلّ الأطراف، أمّا حدود هذه المساحة فهي مفتوحة كونها تريد أن تكون نهايتها مفتوحة كي تتّسع لكلّ المفاجآت التي يمكن أن تحدث، لأنَّ الواقع يفيض بالمفاجآت؛ فتكون معالجتها تدبّرا غير منضوية تحت أيّ إدراج، وبغضّ النّظر عن الوسائل التي تُستخدم، ممّا يسمح لها باستقطاب الحلول التي تنقلها من واقعها التي هي فيه إلى واقعٍ جديدٍ يكمن فيه الانتشال المطلوب.

وعليه:

. تدبّر الحاضر هو تدبّر إشباع حاجات وليس تدبّر زمن.

. حُسن التدبّر من حُسن الإدارة.

. حُسن التدبّر يجوّد المنتج.

. حُسن التدبّر يمكّن من رسم السياسات الناجعة.

. تدبّر الحاضر يمكّن من صناعة المستقبل.

. تدبّر الحاضر يمكّن من إحداث النُقلة.

. تدبّر الحاضر يمكّن من تحدّي الصّعاب.

. تدبّر الحاضر يمكّن من مواجهة المفاجئات.

. تدبّر الحاضر يمكّن من إنجاز الأهداف.

. تدبّر الحاضر يمكّن من إيجاد الحلول.

. تدبّر الحاضر يمكّن من تحقيق الأغراض.

. تدبّر الحاضر يمكّن من بلوغ الغايات.

. تدبّر الحاضر يحفّز على نيل المأمول.

إذن يوجد التصاق بين التدبّر الإنساني وبين الزّمن الحاضر، أي لا تدبّر إلّا حاضرا، وهذا الأمر جعل من التدبير يدور في المعاجم التي تنتمي إليها الحلول الآنية التي لا يمكن معاودتها مرّة ثانية، لأنّها لم تنتم إلى دائرة الثبات التحقّقي؛ فهي تزاول نشاطها ضمن مساحات محدودة يدفعها الخوف باتجاهات ترتبط به وبدون أن يمنحها حقّ التراجع، لأنّها في حقيقة الأمر لا تمتلكه كونها تابعة للخوف بوصفه المانح لكلّ الرسوم التي تُسيّر الحلول في زمنها الحاضر وفقا لما هو ممكن.

وهنا يباشر التدبّر وجوده من خلال الارتماء في حضن الواقع الذي يكون فيه المشكّل حاصلا بكيفية متوقّعة وغير متوقّعة؛ فتنبري الحلول المستدعاة تدبّرا بتقنيات مختلفة، إذ تدور كلّها حول إيجاد حلّ سريع وملبّيا للواقع، ويكون الزّمن مفتوحا ضمن مدى يقصر وقد يطول بحسب الاحتياج المطلوب، فتتعالق عوامل متعدّدة ومتنوّعة تسهم بأشكال مختلفة من أجل الوصول إلى الحلّ المنشود أملا.

والإنسان في حاضره يبحث عن سبل كثيرة يريد من خلالها الوصول إلى مبتغاه تدبّرا، ويكتنف هذا البحث تبعات في حالة الحصول على المبتغى؛ يكون حسن التدبُّر موجّها للعقل ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، فالمتوقّع يكون حافزه ليس بالكبير كونه حاصلا وحدوده يمكن تبيانها ووضع علامات لها، وتكون مدعاة للتقييم، ومن ثمَّ تكون قابلة للرصدّ والتحليل وللتمثّل، إلّا أنَّ غير المتوقّع تكون حدوده غير واضحة المعالم؛ فيكون الاستغراق الفكري حاضرا في إيجاد افتراضات مستمرّة تحاول أن تجيب عن كلّ ما يُطرح، وهذا بدوره يخلق حالة من الارتدادات المعرفية التي يكون فيها التسابق حاصلا للوصول إلى كنف جديد يكون ملبّيا للمراحل المرادة، فالانزواءت غير مطلوبة، والعبثية غير مطلوبة، والتوقّف غير مطلوب، والتسليم بما هو موجود غير مطلوب، ذلك أنَّ التدبّر يمرّ دائما بحالة من الحضور المغاير ممّا يحمله على البحث عن كلّ ما يمكن أن يكون فيه الحلّ المرجو121.

وعليه فإنَّ زمن التدبّر يكون فيه في دائرة الممكن الاحتواء على السّابق والتطلّع إلى ما يمكن أن يكون لاحقا. ولذا فهو الحركة الممتدة من الماضي إلى المستقبل عبر بوتقة الحاضر.

وعليه فالقاعدة هي:

ـ التواصل مع التاريخ.

---

[121] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 127 ـ 131.

. تقبّل الآخرين.

. التواصل مع الآخر.

. التواصل مع القدوة.

. التطلّع للمستقبل.

. العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النّافع.

. استيعاب المختلف.

والاستثناء هو:

. عدم التواصل مع التاريخ.

. عدم تقبّل الآخرين

. عدم التواصل مع الآخر.

. عدم التواصل مع القدوة.

. عدم التطلّع للمستقبل.

. عدم العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النافع.

. عدم استيعاب المختلف.

وعليه:

. أعمل على تفطين ذاكرة العملاء.

. بين لهم نقاط الضّعف التي شوّهت ذاكرتهم وطمستها.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الخاطئة.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الصّائبة.

. مكّنهم من المقارنة حتى يتبينوا عن وعي وإرادة.

. مكِّنهم من الاختيار بمسؤولية واعية.

. اغرس فيهم حبّ الآخر.

. حفّزهم على التطلّع الموجب.

. عوّدهم الاعتماد على أنفسهم والتعاون مع الآخرين.

. مكّنهم من المشاركة التي تُيسِرَ لهم النقلة إلى الأفضل والأجود.

ولذلك فالذاكرة تُصنع بقوّة الإرادة وقوّة العزيمة التي تخلق شخصية قويّة متحدية للصّعاب؛ فالشخصية القوية هي التي لا تغفل عن معطيات الزّمن الحاضر ولا تنغلق عليها، بل تتطلّع إلى ما هو آتي، كي تصنع مستقبلا تتجاوز به الآخرين الذين سقطوا في ميادين المنافسة الحرّة كونهم من المستهلكين المتكئين على ظهور الغير.

ومن ثمّ ينبغي أن يركز أخصائيو التنمية البشرية والخدمة الاجتماعية على دفع العملاء إلى ما يحفّزهم على تفطين الذّاكرة وصناعة المستقبل الأفضل، الذي إن لم يسهموا في صناعته فسيفاجؤون بغير المتوقّع، ولذا تُفطّن الذاكرة بنوعية التواصل الذي منه:

ـ التواصل مع الفضائل الخيّرة.

ـ التواصل مع القيم الحميدة.

ـ التواصل مع المعلومة المستفزّة.

ـ التواصل مع المختلف.

ـ الالتفات إلى التاريخ وما فيه من المواعظ والعبر والتجارب والخبرات.

ـ التواصل مع أهل القدوة الحسنة.

ـ التطلّع إلى ما هو أفيد وأكثر جودة.

ـ قبول التحدّي.

وعليه:

فحسن التدبر يمكّن من التواصل مع التاريخ ويصنع الذّاكرة، كما أنّه يُمكّن من التواصل مع المستقبل ويحقّق المأمول.

ومن هنا، يصبح التدبّر وحسن إدارته مُمكّن من إحداث النُقلة، ومحقّق للرفعة المأمولة. ولذلك يجب على إخصائي التنمية البشرية والخدمة الاجتماعية والرّعاية النفسية إذا أرادوا المشاركة في التغيير إلى الأفضل أن لا يغفلوا عن القواعد المهنية التي تستوجب:

- تقبل العملاء كما هم.

- البدء معهم من حيث هم.

- الأخذ بأيديهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه.

وهذه لن تتحقّق إلا بمراعاة الآتي:

- تفهّم حالات الأفراد والجماعات والمجتمعات وتفهّم ظروفهم الخاصّة والعامّة.

- الاعتراف بأنّ لكلّ فرد وجماعة ومجتمع حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليات يتمّ حمْلها.

- استيعاب الأفراد والجماعات والمجتمعات بما لهم وبما عليهم دون تحيّز لطرف على حساب آخر.

- تقدير الأفراد والجماعات والمجتمعات قيميا وثقافيا وحضاريا، في ضوء تقدير القدرات والمهارات والخبرات والإمكانات المتاحة أو المتوفرة.

وعليه تستمد قيم التواصل من مصادر مقدّرة عبر الزمن اجتماعيا وإنسانيا.

وبما أنَّ ما يُقدّر اجتماعيا وإنسانيا، يجب أن يُوضع في الحسبان تدبّرا. إذن على الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين وإخصائي التنمية البشرية الأخذ بالآتي:

. أن يضعوا في حسبانهم وتقييماتهم كلّ ما هو مُقدّر لدى العملاء أو الأفراد والجماعات والمجتمعات.

. أن يُصنّفوا قيم الأفراد في نسق قيمي، وفقا لأولوياتها وأهميتها بالنّسبة لكلّ منهم.

. أن يمدّوا يد العون للفرد والجماعة، حتى يستبصروا تأثيرات كلّ فعل وسلوك يقومون به أو يقدمون عليه.

. العمل على إحداث التغيير في النّسق القيمي للأفراد والجماعات أو العملاء، إذا اكتشف الأخصائيون أنّها تتعارض في البدائل القيمية المقدّرة اجتماعيا أو إنسانيا.

. العمل على تمكين الفرد والجماعة من معرفة قيم الآخرين النّافعة.

. تهيئة الأفراد لتقبّل الآخرين، الذين يبادلونهم الخبرة والمنفعة.

بناء على ذلك، تؤكّد القواعد المهنية للتنمية البشرية والخدمة الاجتماعية على الآتي:

. التواصل مع مبادئ وأهداف وقيم وأخلاقيات المهنة بمهارات متنوّعة.

. التواصل ثقافيا ومعرفيا مع الأفراد والجماعات، لكي يصبحوا في حالة تواصل مع قيمهم الاجتماعية والإنسانية التي حادوا عنها بنسب متفاوته.

. العمل على تمكين العملاء من الاتصال مع حواضنهم الاجتماعية، دون أن يغضّوا النظر عن أهمية قيم الآخرين.

. تمكين الأفراد والجماعات والعملاء من التواصل مع أنفسهم (مع قدراتهم واستعداداتهم الخاصّة) حتى لا يُحّلقوا في الهواء، بمنعزل عن الواقع، وما يمكن أن يتمّ الإقدام عليه من أجل المستقبل المأمول.

إذن ينبغي على كلّ فرد وكلّ جماعة وكلّ أمّة أن يتدبّروا أمورهم وإلّا سيجدون أنفسهم قد وقعوا في الفِخاخ.

أي: ينبغي أن يعرف الجميع أنّ حُسن التدبّر ينّجي من الوقوع في الفخ فلماذا لا يتدبّروا أمورهم؟ ولماذا لا يتعرّفوا على الفِخاخ حتى لا يقعوا فيها؟

وعليه:

. لاحظ حتى تميّز.

. تعلّم حتى تعرف.

. استوعب حتى تدرك وتتّسع معارفك.

. شارك ومارس.

. اجتهد حتى تكتسب الخبرة.

. تطلّع حتى تطوي الهوة، وتحقّق النقلة.

. تفهّم وافهم لتتمكن من معرفة الأسباب.

وبما أنّ التطلّع إلى المستقبل يتطلّب جمع القوة الممكّنة من بلوغه (الممكّنة من تحقيق النقلة).

إذن القوّة المجمّعة في الزّمن الحاضر جزء كبير منها نتاج الماضي، ولذا يعدّ زمن التدبّر قاعدة الوصول بين السّابق واللاحق أو أنّه البوتقة التي تنصهر فيها الأفكار تخطيطا بين متوقّع وغير متوقّع.

ولهذا ينبغي مراعاة الآتي:

. جمّع قواك لتتمكّن من صناعة المستقبل ونيل المأمول.

. تذكّر ما يمكن أن تتذكّره وتتحصّل عليه من الذاكرة وما يمكن أن تستقرأه من الغير حتى تتمكّن من معرفة المزيد الذي كنت تجهله غفلة.

. اتصل وتواصل وثق أنّ الخبرة لا تستمد إلّا من خبير.

. تعرّف على الجديد المفيد والنافع حتى تتيسّر لك الأمور تجاه ما يطوي الهوة بينك وبين المأمول.

. تطلّع إلى الآخر وعلومه وثقافته وحضارته دون أن يكون ذلك على حساب قيم مجتمعك الحميدة وفضائل دينك الخيّرة.

. نافس فالمنافسة الشريفة تصنع الرموز وأهل القدوة الحسنة.

. نوّع مهاراتك ومعارفك حتى تكون بين يديك أكثر من فرصة للنجاح والتفوّق.

. استوعب، تذّكر، اتصل، تعرّف، تطّلع، تفكّر، لكي تتسع دائرة الحدود، وتحدث النُقلة بعد حُسن تدبّر.

مبدأ

صُنع المستقبل

المستقبل ليس ذلك الزّمن المنتظر في ذاته، بل هو ذلك المأمول الذي لا يتحقّق إلا فيه. ولهذا فالمنتظرون للزّمن في ذاته، لاشك أنّ ما ينتظرونه سيكون متحقّقا، ولكن بلا آمال، لأنّه الزمن المنتظر، وهذا الذي نحن نخشاه وفي شأنه نقول:

لا ينبغي أن تنتظروا الزّمن، بل عليكم بانتظار ما تأملون أن يكون تتويجا لما تبدلونه من جهد تكون ثماره إنتاجا بين أيديكم في الزّمن المنتظر (المستقبل).

المستقبل زمن لم يأت بعد، وهو الذي ترسم الخطط وتوضع الاستراتيجيات من أجل بلوغه عملا وإنتاجا ونهضة وتقدّما؛ ممّا يجعل الزّمن ليس غاية، بل الغاية تفادي ما يمكن أن يكون فيه حاصلا سلبيا.

والمستقبل غير منزويا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة التأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مساهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول ارتقاء، وهو الذي بدونه لا يجد الأمل حلّا.

ولأجل النّهوض ارتقاء، وجب المزيد من البحث العلمي الممكِّن من المعرفة الواعية التي بدورها تُمكّن من الإسراع في طي الهوة بين المأمول والأمل، وذلك بما يطوي مشاعر الخوف طمأنينة، ويخلّص من الحيرة حلّا بعد تأزّم؛ فالبحث العلمي ارتقاء يستوجب أسلوبا مرنا، وطريقة تستوعب التاريخ تجربة ومنهجا ووسيلة.

ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء، وبأيّة علّة؛ فليس له إلّا النّهوض، وهذه قاعدة أيضا؛ والإنسان بين قاعدة واستثناء لا

ييأس، ولهذا وجب العمل الذي يمكّن من بلوغ الغايات العظام التي يأملها؛ فالإنسان متى ما فقد الأمل فقد المستقبل المنقذ.

ولأنَّ الانحدار بين قاعدتين (حُسن الخَلق، وضرورة الارتقاء)؛ فهو باق مادمنا باقين، وله الثلث في حياتنا من المورث انحدارا، ولهذا؛ فلا داعي للقلق بما أنّنا نرث الثلثين (خلقا وارتقاء)، ولكن هذا لا يعني: أن نظل كمن ترك له أبوه إرثا ولم يستثمره؛ فانتهى صفرا.

ولأنَّ لكلّ قاعدة شذوذ؛ فلا إمكانية لبلوغ الحلّ كمالا؛ فتلك الجهود عبر التّاريخ، وهذه الجهود، ستتلاقح ارتقاء بغاية إنتاج الفِكْر المِمكِّن من إشباع الحاجات المتطوّرة.

ولأنّ الارتقاء رغبة وأمل؛ فسيظل أملا يسعى في الزّمن المستقبل نهوضا وهو لا يُمكن أن يلاحق إلّا بالعمل إنتاجا وإعمارا وبناء وبحثا علميا، مع الاهتمام بالقيم التي تنال التقدير من النّاس.

إنَّ التفكّر في المستقبل يمثل الامتداد الطبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهمية كبيرة في البناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلفة تتّجه بحسب الاستراتيجية التي وضعت له اللبنات الأولى، فالمستقبل يعدّ الأرضية الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، وبذلك يكون التفكّر عنصرا مهمّا في خلق مستقبل موافق لكلّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدما نحو التفاضل

والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها أو أن يكون ندّا لها.

ولا يكون التفكّر منزويا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة للتأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مساهمة وفاعلة في المستقبل؛ فالمستقبل لا يمكن بناؤه دون النّظر إلى امتداداته الحاصلة التي يكون الانطلاق منها حاصلا في كلّ التوجهات، وتكون التوجهات المختلفة منتمية إلى جذور تمدّها بما يسمح لها بالسعي إلى إيجاد حلول واضحة المعالم، فلا يكون هنا أيّ انكفاء، بل تكون الأمور عامّة سائرة نحو تشابك منظم يكون من ورائه وجود تبعات تبحث لها عن رؤى تفاعلية تثري التفكّر وتمنحه أبعادا مختلفة ومهمة، وهنا يكون الإيضاح سمة مطلوبة كي يكون الاتساع المرافق ملبّيا للادراكات الحاصلة، فتحصل بذلك شمولية مطلوبة تطرح التواصل الذي يكون من ورائه تحقّق التفكّر.

ومع ذلك فالمستقبل يكتنفه في بعض الأحيان غموضا معيّنا يسير في مدارات قد تبدو للوهلة الأولى غير منضبطة وفق الرؤيا المطروحة، وهنا يكون الاستشراف حالة ملبّية للكثير من الطموحات وحتى التداعيات التي تخلف انفراجا وإن كان وقتيا إلّا أنّه قد يكون سببا في حلّ الكثير من المتعلقات المفترضة، كما أنّ التشكيل العام لهذه الرّؤى يكون مطويا خلف إزاحات دائمة تريد أن تجد لها مكانا بين الحضور الحاصل، إلّا أنّ مكمنها قد لا يبدو واضحا نتيجة البعثرة التي تحصل في بعض الأحيان، وهنا تنبري

لنا مسألة مهمة ألا وهي التنظيم المطلوب ضمن هذه الصيرورة، إذ يحتّم المكوث عند هذا التنظيم وجعله منهجا يكمن فيه التحقّق المطلوب، ويكون الحذر حاضرا في هذا التنظيم بطرق متباينة؛ فالحذر يقف عند كلّ النقاط المهمّة التي يكون من ورائها الوصول إلى الامتدادات المستقبلية المطلوبة؛ فتكون الآليات المطروحة تسير وفق اتجاه يكتنفه الحذر وفق كلّ التفصيلات المتاحة، وهذا الأمر يسهم بشكلّ أو بآخر في إيجاد نتائج واضحة المعالم يُرى فيها معالم الحذر في كافة جوانبها؛ فيكون الظهور المتحقّق وفق هذا التفكّر ملبيا للبداية التي طرحت كلّ ما من شأنه كي يصل التفكّر إلى هذه المرحلة وما بعدها ارتقاء.

وينفتح الحذر على كلّ الأزمنة، وهذا من باب الاتساع المطلوب كي تكون الصورة المطلوبة واضحة وملبّية لكلّ التغايرات التي يمكن أن تحصل فالارتباط المطلوب يغرس في كلّ خطوة من الخطوات اتكاءات جديدة يكون مبعثها متزامنا مع التفصيلات التي يكمن فيها الحذر من أجل تحقيق مستقبل أفضل، وهذا يسير بوتيرة إفضائية تتحكّم بشكلّ ينمّ عن وجود ارتباط فعلي بين هذه الامتدادات الثلاث، ولأنَّ النّهاية مفتوحة سيبقى الحذر مفتوحا ولا يتقيد بأيّ قيد يمكن أن يكفّه عن تحقيق فاعليته؛ فالنّهاية المفتوحة تكون حافزا على خلق استمرارية في البحث تتّجه دائما نحو شمولية يتّسع مداها كي تكون متجاوزة لكلّ الأساليب التقليدية التي تكتفي بالبقاء عند عتبات تجد أنّها تمثّل النّهاية التي يجب أن تكون، وهذا الأمر بطبيعته مخالفا للحياة التي نعيشها؛ فهي قائمة على استنهاض

مستمر، وبحث مستمر والأمل لا يفارق، فالتوقّف أو الانكفاء سمة تشير إلى وجود خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير، لأنَّ البقاء ضمن هذه الأطر يخلق ارتباكا وفوضى معرفية لا تكون نتائجها محمودة أبدا، وفي المقابل تفطين الذاكرة لاحتواء ما يُنتج عبر الزّمن ماضيا وحاضرا، يقود بسلام إلى تطلّع مأمول لا يتحقّق إلّا بالعمل في دائرة الممكن مستقبلا.

ونحن إذ نشير إلى هذا التعالق فهو من باب أنّ التفكّر لا يمكن له أن يكون سائرا بالاتجاه الصحيح دون أن تكون له قاعدة يتكأ عليها، تمدّه بكلّ ما يمنحه من امتدادات مختلفة سواء أكانت نظرية أم عملية؛ فتوجه الحذر يكون متماشيا مع هذه الامتدادات كونها تتوافق معه فيسمح لها بالمثول عند أيّ ارتكاز تريده.

وعليه يكون التفكّر واقعا ضمن دوائر متعدّدة تكون حاضنة له، فتمنحه كلّ ما من شأنه أن يحقّقه، وإن كان الأمر ضمن دفعات تتابعية إلاّ أنّه لا يخلو من إرهاصات قد تكون متواجدة بشكلّ لا يكون من ورائها انزياحات كبيرة، وهنا يكون الحذر من أجل صناعة المستقبل المأمول متغلغلا في كلّ الجوانب التي تريد أن تقف عند أعتاب كلّ التشكيلات التي يكون من ورائها البناء المطلوب، لأنّ هذه الصّفة بلزوميتها تواكب الحاصل الذي لا يسير معها، بل هي تسير معه، وهنا تكون عظمة المرافقة التي تمنح التفكّر أبعادا مهمة تساهم بفاعلية كبيرة في خلق مستقبل غير مسبوق، لأنّ السّابق متحقّق بكلّ ما فيه أمام المستقبل الذي يسعى نحو التفاضل والتمايز، فتتحقّق بذلك الافتراقات التي تخلق بناءا مغايرا مبنيا

على تشعبات استبطانية وجدت في الماضي والحاضر البداية التي لا يمكن أن تكون ثابتة، بل هي موجّه نحو إيجاد البدائل أو إيجاد الجديد الذي يكمن فيه التغاير والتباعد عن نقاط الالتقاء التي تكون ملبّية للتساوي الذي يجب ألاّ يكون.

إنَّ التفكّر في المستقبل يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل يكمن فيها النّهوض المأمول الذي يمنح النّاس جميعا حياة أفضل، لكن هذا الأمر لا يتحقّق للجميع كونه يرتبط بأخذ الحيطة والحذر؛ فالمخاوف بسمتها الإيجابية المفقودة يكون الرّكون إليها متفاوتا، وهذا ناتج عن الإدراك غير الواعي بالحقيقة الموجودة؛ فالخوف لم يكن سلبيا على مدار الوجود الإنساني، بل كان حافزا مهمّا في المعالجة والوقاية ودرء المخاطر في أوقات مختلفة؛ فهو يشير دائما إلى وجود خروقات طبيعية وغير طبيعة تخرج عن نطاق المتعارف أو الطبيعي الذي يجب أن يكون؛ فهو بذلك منبّه من الدّرجة التي يكون استشعاره باعثا على إيجاد كلّ ما من شأنه أن يدفع بالمتغيرات الحاصلة التي ظهرت منها المخاطر نحو حدود جديدة يكمن فيها الدرء المنشود من أجل بلوغ مستقبل أنفع، وهذا الحال حين يكون تحقّقه مستمرا يمنح الإنسان وعيا مستمرا أيضا، ذلك أنَّ تكرار المنبهات يحيل إلى زيادة في الوعي المتحقّق؛ فيكون الخزين العام منساقا نحو هذه الزيادة التي يُرى فيها إضافات جديدة على المساحة الفكرية المطروحة؛ فيكون الاغتناء الفكري قد وجد له تمويلا مستمرا يمنحه ما يشاء،

وبتفصيلات تلهمه المتابعة التي يجد فيها كلّ ما هو جديد وكلّ ما هو بديل للحاصل122.

وعليه:

لا يمكن أن يُصنع المستقبل إلّا بالتفكّر، ولهذا فعلينا به تخطيطا، مع السّماح للبحاث بالتفكّر حتى بلوغ الخوارق، وبلوغ المعرفة التي تمكّن من معرفة المستحيل مستحيلا، ومن معرفة المعجز معجزا، ومن معرفة الممكن ممكنا حتى وإن كان غير متوقّعا، ولهذا فصناعة المستقبل المأمول تمكّن من معرفة المجهول وكشف خفاياه.

ولأنّ الحياة من أجل المستقبل؛ فنحن بني آدم نتعلّم، ونبحث عن فرص عمل، ونتزوج، ونصادق من يصادقنا، وعندما نتعرّض لسوء التكيف قد نُطلق عند الضّرورة، وعندما تقوى علاقاتنا نُشرّع، ونسنّ القوانين والنّظم، ونحدّد الأهداف ونرسم الخطط، ونتطلّع بأمل إلى المستقبل القريب والبعيد، ولهذا نصوم ونصلي من أجل نيل المستقبل جنّة.

ولذا فالقاعدة هي:

العيش من أجل المستقبل.

والاستثناء هو:

---

[122] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 131 . 135.

العيش من أجل الآن.

استنهاض الخوف صناعة للمستقبل:

يكمن الخوف في النفس الإنسانية، لكن هذا الكمون لا يكون مستديما أو حالة تكون أشبه بالمكوث الذي لا يرى بزوغه أبدا، ذلك أنَّ المثيرات الخارجية تسعى دائما إلى يقظته في تشكيلات متعدّدة ومتنوّعة، فيكون ظهور الخوف ضمن حالة متفاوتة بحسب المثير الذي يستفّزه، هذا الأمر يكون تحقّقه ضمن آنيّة مفترضة يكون حصولها بعد امتدادات واضحة المعالم، يُرى فيها كلّ التمركزات المطلوبة، والتي يكون من بعدها التوجّه العلاجي قائم من خلال مثول الخوف وراء كلّ ما يحصل.

إنَّ هذا الانفتاح في المعالجة قائم على آنيّة تكون محدّدة الحدود واضحة التفاصيل، ومن الممكن الوقوف على كلِّ ما من شأنه أن يكون الحلّ فيه ظاهرا سواء أكان مادّيا أم معنويا؛ فتكون المعالجة سريعة، لكنّها لا تخلو من أخطاء متفاوتة قد تكون قليلة في بعض الأحيان، إلّا أنَّها قد تتّسع في أحيانا أخرى لتصل الأمور في بعضها إلى وجود خروقات غير منطقية، تجعل الكثير من الحلول في المستقبل في مهبّ الرّيح، هذه الآنيّة ساهمت بشكل أو بآخر في استنهاض الخوف من خلال رسم حجم المخاطر وتبيان ما فيها من تفصيلات تعينه على إيجاد حلول يكون من خلالها الوصول إلى نقاط التقاء فعليّة تكسب الزّمن أولا، وتخرج الوضع الحرج أو الخطر إلى وضع آخر أفضل ثانيا، إلّا أنَّ الوضع الأفضل يكون

وفق مقاييس غير ثابتة، إذ تكون هذه المقاييس تابعة إلى مجمل العوامل التي التفّت حول الخوف، ومنحته هذا الاستنهاض الذي كان سببا فاعلا في الوصول إلى النتيجة الحالية التي هي في كلّ الأحوال منقادة للبداية الأولى التي كانت قاعدة الانطلاق.

يسير الخوف باتجاهات واضحة المعالم حين يكون الاستنهاض مبنيا على أسس علمية، تتّسع مراحلها نحو إيجاد توافقات بين الحدود المفتوحة التي لا يُرى فيها في كثير من الأحيان إلاّ ابتعادا عن المركز المفترض، هذا المركز يكون من خلاله طرح ما يمكن طرحه وإعداد ما يمكن إعداده، ولهذا لا تكون البداية مفتعلة بأيِّ حال من الأحوال، لأنَّ الافتعال لا يولِّد في المستقبل إلّا أخطاء جسيمة، ونحن إذ نرى في البداية أنّها يجب أن تكون مبنيّة على اتساعات علمية مختلفة تلملم المطروح وتدخله في سياقات حقيقية وافتراضية، فتمنحه بذلك مديات متباينة يكون على أساسها الوصول إلى الاتكاءات التي يكون من ورائها الوقوف على الحلّ، والذي يكون من ورائه تفادي المخاطر التي يمكن أن تحدق بالإنسان.

إنّ السّير خلف طروحات ثابتة يجعل من استنهاض الخوف أداة ناقصة الفاعلية، ذلك أن التغيُّر المستمر في الحياة يخلق حالة من التصحيح المستمر لكلِّ ثوابت الحياة، وهذا بطبيعة الحلّ يوجد ارتماءات متعدِّدة تحاول أن تجد لها ما يكفل بقاءها ضمن دائرة الاستنهاض؛ فتكون الأمور ضمن هذه النسقية باطلة وغير قابلة لردع المخاطر؛ فتقلبات الحياة جعلت الكثير من الأمور تكون ضمن انزواءات لم يتوقّع لها أن تكون فيها؛

فكانت وجودا غير مرغوب فيه في كثير من المواقف، وهنا تنبري الأمور ضمن استمدادية جديدة؛ فتحاول أن تجد ما يمنحها صيرورة البقاء ضمن دوائر جديدة تسهم من خلالها في إيجاد حلول واضحة، وإن كانت استعراضية إلّا أنّها ملبية لبعض الإرهاصات الحاصلة التي تبدو غير خطره.

وتتحدّد الحياة من خلال تقسيم يطرح كلّ ما من شأنه أن يكون سببا في استنهاض الخوف، ذلك أنَّ المخاطر أصبحت ضمن مدارك الإنسان المختلفة؛ فيلتفّ حولها استشعارات متباينة تكون حافلة بأسباب البحث عن كلِّ النقاط التي يكون من ورائها الوقوف على الصورة الافتراضية التي ستكون في المستقبل، وهذا يشمل ما يسمى بصناعة المستقبل؛ فالمستقبل في حقيقته غير متحقّق، إلّا أنّه يمكن أن يتحقّق من خلال رسمه بتقنية خاضعة لكلِّ ما يساهم في تحقّيقه، وفي هذا المقام يتراءى لنا مصطلح المستحيل الذي يمكن أن يكون باعثا لتوقفات كبيرة يكون من بعدها تحقّق المخاطر، ومن ثمَّ الانزواء عن إيجاد حلول تكون ناجعة في كلّ المقاييس ولكي نبدِّد هذا المصطلح ولو آنيّا علينا أن نلجأ إلى المتوقّع وغير المتوقّع كي نسلب منهما الحلول التي يمكن أن تكون باعثة على إيجاد أرضية صلبة وواضحة المعالم، ويكون من ورائها خلق استنهاض للخوف يكون من ورائه صناعة المستقبل بالكيفية المفترضة والمرادة.

المتوقّع يسير في دائرة المتحقّق الذي يكون وجوده وصداه حاضرا في المنظور وغيره، وهذا بطبيعته يخلق حالة واضحة من وجود ثوابت يكون حضورها ممثّلا لجانب مهم من جوانب صناعة المستقبل؛ فيكون هذا

الحضور استمرارا لهذه الصناعة حتى يمكن القول أنّها تدخل حقل البديهيات التي يكون وجودها لا بديل عنه.

أمَّا غير المتوقّع؛ فيكون خاضعا لنظرة استشرافيه باحثة عن كلّ ما من شأنه أن يكون مؤسّسا بطريقة أو بأخرى لصناعة مستقبل مطلوب وفي المواصفات الافتراضية التي وضعت عند بداية الاستنهاض، ولعلَّ البداية قد تكون مفتعلة في بعض جوانبها نتيجة التحسُّب المبالغ فيه إلّا أنَّه بمرور الزمن قد يكون هذا الافتعال ممثّلا لكثير من الوقائع التي يمكن أن يكون لها شأنٌ آخر، فلا يكون هناك استبعاد لأيّ استنهاض وإن كان بعيدا عن السمات المتواجدة ضمن الدائرة الظنيّة الحاضرة في كلِّ حركة متّجهة نحو الاستنهاض.

عليه يكون استنهاض الخوف باعثا لإيجاد قواعد جديدة تكون ملبِّية لما يمكن أن يكون بديلا عن الماضي، ودون الركون إلى كلِّ ما من شأنه أن يلغي التوجّه نحو المستقبل بافتراضات بالية وعقيمة لم تنتج إلّا ما يُعطّل الحياة ويجعلها تمرّ بأزمات متوالية.

إنَّ الحياة في كثير من تفاصيلها هي مبنيّة على استنهاض الخوف لصناعة مستقبل يكمن فيه الأمان المطلوب في كلِّ جوانبه؛ فمن ذلك نجد أنَّ المقررات التعليمية إن لم تكن مصاغة بمنهجية استنهاض الخوف لدى المعلمين والمتعلمين؛ فإنَّها ستفشل في تحقيق الغايات المرجوة لصناعة المستقبل، فإعداد كمّ من المعلومات الملبّية لاستنهاض الخوف، يكون

موافقا لما يمكن أن يكون منجزا مستقبليا، فالمقررات إنْ لم يراع في صياغتها استنهاض الخوف في أنفس المتعلمين لا يمكن لهؤلاء المتعلمين صناعة المستقبل المأمول منهم، حتى يكونوا من المواكبين لحركات التغيّر والتقدّم التي هي دائما في حالة تطوّر من عصر إلى عصر.

ولذا فإنَّ الخوف من أعظم النعم التي تحفِّز الإنسان وتدفعه إلى كلّ ما من شأنه أن يجنِّبه المخاطر والآلام والمظالم، ويجنِّبه الحاجة والعوز، ويُمكِّنه من بلوغ مشبعاتها والإقدام على تطورها وتطويرها، حتى المناهج التي رأينا فيها أن تكون ملبِّية لاستنهاض الخوف، هي متغيِّرة ومتبدِّلة، لأنَّ الخوف أيضا متغيّر ومتبدّل، وهنا يكون الناس ضمن اتجاهين:

الاتجاه الأول: يكون منهم متتبِّعا لكلّ ما يسهم في استنهاض الخوف من أجل صناعة المستقبل؛ فتكون حركتهم واعية وتسير في مدارات تلبّي ما يطمحون في الوصول إليه؛ فتكون أدواتهم خاضعة لكلّ ما يصل بهم إلى التحقُّق المراد، حتى ردود أفعالهم تكون منتمية إلى أرضية واقعية التشكيل، فتمنحهم بعد ذلك حلولا صحيحة كما يريدونها في كثير من الأحيان.

الاتجاه الثاني: المتفرجون الذين يراقبون كلّ ما يجري، فلا يحركون ساكنا وسيظلون يتفرجون ما لم يعرفوا عن يقين أنّ استنهاض الخوف ضرورة للفرد والجماعة والمجتمع، هذه المعرفة لا تأتي من فراغ، بل يكون

السعي من أجل معرفتها هو مطلب مهم يمنحهم فيما بعد هذا المطلب نتائج غير متوقعة على كافة الأصعدة التي كان ينظر إليها أنّها غير مهمة.

إذن من يستنهض الخوف في نفسه يتقدّم ويتطوّر حتى يصل به الأمر إلى أن يغزو الفضاء وهو يصنع المستقبل، وفي المستقبل أيضا سيغزو ما لم نعرفه الآن في دائرة غير المتوقّع، ولهذا من يعلم بذلك لن يُفاجأ، أمَّا الذين لا يعلمون فبالضرورة ستكون المفاجأة في أنفسهم عظيمة ويا ليتها تكون موجودة.

الشّك يُحدِث النُقلة للمستقبل:

الشّك: تخمين في الشيء غير المتأكّد من وجوده أو ظهوره أو صدقه، ممّا يستوجب التبيّن قبل التسليم، ولهذا فالشّك عملية عقلية تستوجب التوضيح والتبيان حتى يتمّ التصديق أو التسليم بما يقال أو بما تسرد قصصه. ولهذا فما يُقال أو يُسمع يستوجب التأكد منه قبل الحكم عليه أو به. ولذلك تؤسّس الاختبارات والامتحانات المتنوّعة والمتعدّدة على قاعدة الشّك، من أجل اليقين.

ولهذا:

. تأكّد ممّا يقال لك قبل أن تصدّقه تسليما.

. شُك فيما يقال من أجل أن تعرف الحقيقة هي كما هي بلا مؤثرات شخصية.

. تبيّن ما يجب قبل أن تقدم على ما يتمّ التحريض عليه.

. اطلع على ما كُتب أو نشر وفقا لدائرة الممكن قبل أن تكتب ما تهدف الكتابة عنه.

. فكّر قبل أن ترسم خطة.

. ارسم خطة قبل أن تعدّ لها برنامجا.

هذه معطيات علمية، يتمركز الشّك عليها. بدونها لا يكون الشّك شكا، بل يكون الشك ظنا والفرق كبير. بين الأوّل الذي يتعلق بالمستقبل، وبين الثاني الذي يتعلّق بالماضي.

ولذلك فإنّ الشّك يتعلّق بالمستقبل، والظنّ يتعلّق بالماضي. حيث كلّ ما وقع أو حدث أو ظهر في الماضي هو حقيقة سواء أكانت ذات أثر موجبا أم أثر سالبا. أمّا الشّك؛ فاحتمالي التحقّق أو الحدوث.

أي يمتد زمان توقعه من الزّمن الآن إلى الزّمن المستقبل وفقا للمعطيات المتاحة، كأن يُقال لك (فلان من النّاس عمره خمسون عاما وسيفوز في سباق العشرة أميال مع المتسابقين الشبّان). هذا الافتراض في دائرة الشّك لن يتحقّق. ولكن في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع قد يحدث. ومع ذلك وفقا للمعطيات العمرية ينبغي أن أشك حتى يأتي اليقين يوم مشاركته في السّباق.

وعندما يقال لك أنّ العرب سيهزمون إسرائيل في المستقبل من حقّك أن تشكّ وفقا للمعطيات الآنية، حيث العرب في حالة هزيمة، وبالتّالي من حقكّ أن تشكّ في حدوث هذا الأمر وفقا للحال الذي هم عليه في الزّمن الآن.

الشك مثبت إثبات قاعدة الاحتمالات، ولأن ليس كل ما يقال أو يُسمع دائما في حالة مصادق، لذا يستوجب التأكد قبل الحكم، ولهذا سيظل الشك إلى أن ينفى باليقين.

وسيظل الظنّ إلى أن يثبت باليقين.

ولذا فإنَّ القاعدة هي:

ـ الشك احتمالي.

ـ الشك يحدث النقلة.

ـ الشك يصنع المستقبل.

والاستثناء هو:

ـ الشك قطعي.

ـ الشك لا يحدث النقلة.

ـ الشك لا يصنع المستقبل.

وعليه:

. شُكَّ حتى تُحدث النقلة.

. شكّ حتى تصنع المستقبل.

. شُكّ حتى تميّز بين ما يجب وما لا يجب.

. شكّ حتى تعرف الحقيقة.

. شكّ حتى تكتشف القوانين؛ فالمستقبل آتٍ وعليك بتبيّنه قبل أن يصل إليك وأنت لم تحسم أمرك بعد.

. لا تيأس ولا تتراجع.

. سابق الزّمن وأنت تشكّ من أجل المزيد المعرفي البيّن.

. ثق أنّ مستقبلك أمامك؛ فلا تلتفت للظنون.

. ثق أنّك قوّة قادرة على تحدّي الصّعاب.

. أجعل الخوف في نفسك محفّزا على تفادي المؤلم والمفاجئ، حتى تجد نفسك مندفعا لما يجنبّك المخيف.

ولذلك فللخوف فضل على عقولنا؛ فلولاه ما فكّرنا، ولا خطّطنا، ولا صنعنا مستقبلا مناسبا لحياتنا، ولو لم يملأ الخوف نفوسنا ما تخلصنا من المخيف الذي كان في الماضي جاثما على صدورنا. ومن هنا؛ فالخوف

يجنّب عمّا يخيف ويؤلم ويوقع في الفخّ، ولهذا لا مستقبل آمن ما لم نؤمن أنفسنا ممّا يخيف مستقبلا.

وإذا تساءل أحد عن المستقبل:

أقول:

. أنّه الذي سيأتي بعد كتابة هذه الكلمة في حالة مواصلتي الكتابة.

. أنّه الفكرة التي ستأتي بعد ما أفكر فيه.

. أنّه الزّمان الذي فيه طموحاتنا وما نتوقّع.

. أنّه الذي من أجله: نتنفس ونشرب، ونأكل ونفكر، ونتعلم ونعمل ونتصّدق ونصلّى، ونحب ونتزوج، وندّخر وفقا لحاجاتنا، ونؤمّن ممتلكاتنا، وهو الذي من أجله الخوف لم يفارقنا.

ولذا لو لم يكن هناك مستقبل، ما كان هناك أمل ولا أماني، ولولاه ما فكّرنا في الآتي:

. فيما يشغلنا.

. من نحن؟

. ما هي إمكاناتنا وكيف نستثمرها مكاسبا؟

. ما الذي يجب علينا القيام به؟

. من أجل ماذا نفكّر؟

. من أجل ماذا نتعلّم؟

. من أجل ماذا نخطط ونعمل وننتج؟

. لماذا نهتم بالدراسات والبحوث العلمية ونحاول غزو الفضاء؟

. لماذا نحلل ونستنتج ونستقرأ؟

. لما نخاف؟.

. لماذا نتزوج ونطلق؟.

. لماذا نصوم ونصلي ونزكي ونؤدّي جميع الفرائض التي ترضينا مع الله تعالى؟

الإجابة على كلّ هذه الأسئلة هي واحدة.

(من أجل المستقبل المأمول).

مبدأ

معرفة المجهول

المجهول: هو معرفة ما الذي لم يكتشف بعد، أو لم يتمّ التعرّف عليه بالرّغم من وجوده، أي: كلّ ما تمّ التعرف عليه، كان مجهولا، ولهذا فلو لم يكن المجهول موجودا ما كانت الإمكانية متاحة لمعرفته.

ومن هنا، ليس كلّ موجود (مخلوق)، هو مكتشف، أي أنّ الإنسان لا يخلق؛ فالخَلق من صُنع الخالق تعالى، ولأنّ الخالق هو الخلّاق، إذن خلق الله كلّ شيء وهو يخلق ما يشاء في كلّ برهة من الزّمن تسليما، ولكن ليس كلّ ما خُلق ويُخلق هو ميسّر للمشاهدة والملاحظة بالرّغم من وجوده ولذا وجب البحث حتى يتمّ التمكّن من معرفة المجهول الذي يستوجب تصديقا بأنّ وراء كلّ مخلوق خالقا.

ومن ثمّ؛ فالمجهول هو ما لم يكن معلوما بعد، ممّا يستوجب البحث من أجل كشفه والتعرّف عليه ليكون إضافة جديدة للمعارف والعلوم السّابقة؛ فينبغي على البحّاث أن أرادوا معرفة المجهول، أن يصوغوا له تساؤلات؛ فالتساؤلات تقود إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن، ومن ثمّ؛ فالبحّاث الذين يعتمدون على صياغة الفروض العلمية؛ فلن يتمكّنوا من معرفة المجهول، بل يتمكّنوا فقط من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة المتوفّرة لديهم؛ فالفروض وأن عظمت نتائجها؛ فهي لا تصاغ إلّا ونصف المعلومة غير مجهول، وللضّرورة هم يبحثون بهدف معرفة ما يتمّم نصف ما لديهم من معرفة.

أمّا التساؤلات؛ فهي أسلوب بحثي معمّق يمكّن أصحابه من معرفة الجديد المجهول، {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}[123]؛ فقوله: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ!) هو تساؤل، ولم يكن سؤلا، ولم يكن استفسارا؛ ذلك لأنّ السّؤال دائما يلاحق إجابة سابقة عليه، بهدف إعادتها ثانية أو أكثر من ذلك، وكذلك الاستفسار لا يكون إلّا عابرا ومن العموم، أمّا التساؤل؛ فهو يستوجب بحثا علميّا وتقصٍّ دقيقٍ من أجل معرفة المجهول.

ولأنّ المشركين يتسألون عن المجهول؛ فكانت المعلومة من العليم، أنّ ما تختلفون فيه، هو: النبأ العظيم الذي يتنزّل تنزيلا، أي: أنّ المشركين كانوا يعتقدون أنّ ما جاء به محمّد عليه الصّلاة والسلام، لا يمكن أن يكون منه، وهنا كانت علامات الاستغراب تدور في أنفسهم كما تدور بينهم، وهم يتسألون؛ فأنزل الله المعلومة حُجّة، (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)، وستكون الشواهد على ذلك متوالية، وسيعلم الكفار بذلك شواهد دالة على أنّه الحقّ المنزّل، (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ). أي: إنّ المعجز إن تمّ الاستفسار عنه؛ فلا يبلغ إلّا تنزيلا، أمّا الممكن فلا يبلغ إلّا بحثا معمّقا.

ولذلك، وجب تقدير الشّطحات العلمية؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدّي إلى معرفة المجهول، أمّا بالنّسبة لما هو مستحيل؛ فالشّطحات

[123] النبأ 1 . 5.

عندما تكون موضوعية؛ فهي تمكّن من معرفته وإن قصرت عن معرفة الكيفية التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات غير موضوعية؛ فهي بلا شكّ ستزيد الهوة اتساعا بين ما هو مستحيل، وبين من ينبغي أن يتمكّن الإنسان من معرفته وإدراكه.

ولذلك؛ فالتّطّلع يُمكّن الإنسان من أستقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنه من تجاوزه ارتقاء، ومن ثمّ، إذا اردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة فلا ينبغي أن توضع إشارة قفّ، أمام التفكير العلمي لبني آدم. بل ينبغي أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملا متحقّقا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدا عنّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه بلا موانع؛ فينبغي أن نفكّر في كلّ شيء، وبكلّ حرّية مقدّرة، حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلا، ولذا؛ فلا مستحيل قبل العجز، ومن ثمّ؛ فوجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب، ولذلك خُلقنا.

ولأنّنا خُلقنا لذلك؛ فينبغي أن نعمل، والمستحيل نصب أعيُننا، حتى ندركه عجزا، وحينها ندرك إنّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثّقة حيث كلّ شيء ممكن حتى وإن كان غير متوقّعٍ.

ولأنّه المستحيل؛ فهو لا يعيق العمل ارتقاء، بل الذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفلية التخلّف السياسي والاقتصادي

والاجتماعي والإنساني والذوقي، {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى}124.

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونية، ولكن لأنّ الارتقاء والدّونية يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا؛ فهما بيد الإنسان مطلبا ورغبة واختيار، ولذلك، ينبغي أن يعمل بنو آدم كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُقلة المِمكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

وعليه:

فالفعل المستحيل لا يكون إلّا خَلقا، ولأنّه كذلك؛ فلا يكون إلّا إعجازا، حيث لا إمكانية لخلق الشيء شيئا إلّا بمشيء، وحتى إن عُدنا لذلك التّساؤل الذي كنّا نطرحه على أنفسنا أيّام المراهقة والثانوية، وهو:

من الذي خلق الخالق؟ وكيف كان قبل أن يخلق ما خَلق؟

أقول:

بما أنّنا نقول الخالق، إذن؛ فلا ينبغي أن نسأل عمّن خلق الخالق؟ أي: كيف لنا من زاوية نقول الخالق، ومن زاوية أخرى نسأل عنه؟ إنّه الخالق الذي يخلق ولا يُخلق، ومن ثمّ؛ فكلّ شيء يُخلق؛ فهو ليس بالخالق، ولذا فلا فواصل بين الخالق وخَلقه؛ فالخالق ليس على الصّورة ليكون

124 الكهف 88.

موجودا قبل أن يخلق الخلائق، ولذلك؛ فالسؤال ليس في محلّه، لأنّ السّائل جعل في ذهنه هيئة للخالق، وهنا تكمن العلّة، حيث لا هيئة للخالق، بل له مشيئة، والمشيئة هي فعل المستحيل، والتفكير في الفعل المستحيل يجعل السّائل في حيرة من أمره بعلّة في نفسه وهي: اختلاط فكرته عن الخالق الذي لا يُصوّر بما هو على هيئة الصّورة، وبالتّالي فمن يتصوّر لله هيئة، يجعله وكأنّه داخل الإحاطة، ومن يفكّر داخل الإحاطة؛ فتفكيره لا يزيد عن كونه تفكير كتكوت داخل البيضة، والذي لا إمكانية له في رؤية عالم أعظم من عالمه داخل البيضة؛ ولذلك؛ فهيئة الله بلا هيئة، وصورة الله بلا صورة. ومن هنا؛ فنحن غير عاجزين عن معرفة الله، ولا يليق بنا أن نسأل عمّن بيده الأمر (كن): كيف كان؟

نعم، الله لم يكن، حتى نسأل عنه كيف كان؛ فمثل هذا السؤال يتعلّق بمن لم يكن فكان؛ كما هو حال الكون الذي كما يقولون عنه كان نتاج ذلك الانفجار العظيم سببا، وكما هو حال الأزواج التي لو لم تكن الأرض كائنة ما خُلقت منها الأزواج سببا، وغيرها كثير من الخلائق التي قبل خلقها لم تكن بخلائق.

ومن هنا؛ فلا ينبغي أن يكون السؤال: كيف كان الله؟

بل ينبغي أن يكون السؤال: من هو الله؟ وما هي صفاته؟

فالله هو الذي يُسمّى بهذا الاسم، وهو الذي لم يكن كائنا، حتى يسأل عنه كيف كان، ولذلك؛ فالكائن لا يكون إلّا على هيئة يراد له أن

يكون عليها؛ فيكون. وبالتّالي فأيّ كائن لا يكون إلّا على هيئته ووفق مشيئة ليست بيده ومن هنا؛ فنحن ندرك الكون علما، ولكنّا لا ندرك هيئته، وكيف لنا بهذا ونحن لم ندرك صورة الكون متكاملة؟ أي: كيف لنا بهذا ونحن داخل محيط الكون الذي لم نتمكّن بعد من الخروج عنه بأيّ سبب، ومع ذلك يمكن لنا أن نتصوّر الكون باعتبارنا جزيء فيه أو حتى إنّنا أقل من ذلك بكثير، أمّا الخالق؛ فهو على غير هيئة كونه على غير صورة، وبالتالي لا إمكانية لوضعه في أيّ هيئة ذهنية، ولا يليق بعقولنا ومدركاتنا التي أدركته استحالة أن تجعله على هيئة أو صورة وهو لم يضع نفسه فيها؟

ومن ثمّ؛ فالله يخلق غيره، وغيره لا يخلقه، وبالعودة إلى السّؤال: كيف كان الله؟

فالله لا يكون.

ومن هنا، فالسّؤال لا علاقة له بمن يُسأل عنه. بل له علاقة بالسّائل، الذي لا يعرف من كينونته إلّا أنّه من نطفة ومن قبلها من تراب، ولا شيء غير ذلك، ومع ذلك يسأل: كيف كان الله؟

أي: ألا يكفي إجابة أنّه يعلم أنّه قاصر عن معرفة كيفيّة خلقه التي ليس له رأي فيها؟ ويسأل عن كيف كان الله؟

أقول:

عليك بالبحث في الكون بلا توقّف، لعلّك تعرف كيف خُلق، وكيف كانت له هيئة قبل أن يُخلق، ووفق أيّة مشيئة هو خُلق؟ وكذلك عليك بالبحث في نفسك لعلك تعرف كيف خُلقت، وكيف كانت لنفسك هيئة قبل أن تُخلق، ووفق أيّة مشيئة هي خلقت؟ وعليك أن تفكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تتكلّم وتقرّر أو تعمل؛ فإن فعلت ذلك عن وعي، لا شكّ إنّك ستدرك أنّ صفات الله تتعدّد بتعدّد نعمه، وهو الواحد الذي لا يتعدّد.

وعليه:

ـ التعرّف على المجهول يزيد المؤمن ثقة وإيمانا بأنّه لم يؤت من العلم إلّا قليلا.

ـ البحث عن المجهول يفتح آفاقا واسعة أمام المعارف الإنسانية وينمّي الذاكرة ويحفّزها على المزيد.

ـ الانطلاق من المعلوم بحثا علميا يمكّن البحاث من إضافة ما كان مجهولا بالنّسبة لهم.

ـ التعرّف على المجهول ليس بتعرّف على مفقود، بل هو التعرّف على الممكن الذي لم يسبق وجوده معرفة من قبل.

ـ التعرّف على المجهول ممكنا؛ فأسع حتى يصبح على يديك إضافة جديدة.

. البحث العلمي يكتشف المجهول ويضيفه إلى المعرفة جديدا؛ فابحث حتى تكتشف المجهول.

. التعرّف على المجهول يستوجب صياغة تساؤلات فعليك بها صياغة.

. الشّطحات العلمية تؤدّي إلى الاكتشاف العلمي فلا تُقولب عقلك وفكّرك ولا تقبل بوضع إشارة قف أمامك أثناء قيامك بالبحث العلمي.

. فكّر فيما هو غير متاح حتى يصبح معلوما.

. ثق أنّ وراء كلّ مجهول كمّا كبيرا من المجهولات؛ فلا تقنط.

مبدأ

صُنع الخوارق

الخوارق: هي التي بها يتمّ تجاوز المألوف والمحتمل في دائرة الممكن غير المتوقّع من خلال تحدي العقل البشري للكوابح والمعيقات، وهي نتاج المقدرة الذهنية ذات الرؤية الثاقبة للمشاهد والملاحظ بغاية التعرّف عليه وعلى القوانين التي هو عليها وعلى الكيفية التي بها خُلق حتى التمكّن من معرفة المستحيل مستحيلا.

ولهذا؛ فالخوارق تُصنع وتُبدع كونها على غير سابقة معروفة، فمن بلغها اختراقا (تجاوز للمألوف) وأظهر ما كان مجهولا أو مختفيا لحيّز المشاهدة والملاحظة فقد أضاف جديدا لميادين المعرفة الواسعة.

فالخوارق لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولأنّها في دائرة الممكن؛ فهي ستتولّد خارقة ومن بعدها خوارق. وما الاستغراب الذي يصاحبها أو المفاجئات التي تلاحق وجودها إلّا بسبب كونها لم تكن متوقّعة.

والخوارق تُصنع لأنّها تأتي عن غير قاعدة، وعن غير معتاد ولا مألوف ولا متوقّع، ممّا يجعل علامات الاستغراب والاستفهام والتعجّب توضع عليها وعلى من اكتشفها أو جاء بها.

أمّا الصّنع؛ فهو إظهار ما لم يكن ظاهرا، أو إيجاد ما لم يكن بين اليدين موجودا، أو إظهار الشيء الظاهر على غير ظهوره إبداعا، أو استخراج الشيء من الشيء بطريقة أو أسلوب غير معتادٍ ولا مألوفٍ.

والصّنع هو أن يتمّ الإتيان بما لم يسبق لأحدٍ قد أتي به، وهو نتاج التفكير المفتوح حيث لا سقف يحدّه ولا موانع تكبحه.

أمّا الخارقة؛ فهي بلوغ ما لم يكن متوقّعا، والخوارق أعمال غير معجزة، أي أنّها الممكِنة، ولكنّها غير عامّة؛ فهي تحتاج إلى مقدرة عقلية تتجاوز بصاحبها ما يمكن تدبّره إلى ما يمكن بلوغه كونه لم يكن مستحيلا

ولا معجزا. والخارقة تقود أصحابها فكرا إلى الإبداع المِمكّن من معرفة ما كان مستغربا.

ومن ثمّ؛ فالفكرة تحدٍّ تقود إلى العمل المبدع، والعمل المبدع بداية قد يصفه البعض بالمستحيل بالرّغم من تحقّقه مشاهدة وملاحظة؛ فالهبوط على القمر، البعض كذّبه بداية، ولكنّه لم يصمد في تكذيبه، لكونه أصبح حقيقة لا تُخفى.

ومن ثمّ؛ فالصّعود إلى القمر يعدّ عملا من أعمال الخوارق التي بإمكان العقل البشري أن يبلغ ما هو أعظم منه، فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المحقّق للخوارق وفقا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولا استغراب، ولا مفاجأة، بل الاستغراب أن لا يرتقي عقل الإنسان إلى اقتناص الفكرة المِمكّنة من الارتقاء وبلوغ الخوارق.

وهنا، أقول:

الجنّة بين أيديكم؛ فاعملوا يا بني آدم من أجلها، فاغزوا الفضاء بكلّ الخوارق التي بإمكانكم العمل عليها والعمل بها؛ فبلوغ الجنّة غير مستحيل، بل المستحيل أن لا تعملوا ارتقاءِ من أجل بلوغها.

وهنا لا أقول مواعظ، بل لِمَ لا نتعظ، ونتدبّر أمرنا حتى نتمكّن من بلوغ الخوارق ارتقاء؟ ومن يرى غير ذلك؛ فكأنّه لم يُخلق بصيرا، وليس له من الحواس ما يمكّنه من خَلق الخوارق وتجاوزها بخوارق أكثر ارتقاء؛ فمن

يغفل عن ذلك؛ فكأنّه قد غفل عمّا بنته الحواس وما ستبنيه من حضارات؛ فالتذكّر يربط العقل بما أنجزته أيدي النّاس، وبما غفلت عنه، ليتدبّر حاضره، ويفكّر في مستقبل يستوجب رسم الخطط الممكّنة من الخوارق في دائرة الممكن.

وعليه:

فالإنسان مؤهّل للارتقاء عقلا وحسّا؛ فهو يتذكّر؛ ليتّعظ ويُصلح، ويتدبّر؛ ليبني وينتج، ويفكّر؛ لإيجاد خارقة بها يصنع مستقبلا راقيا، يَرتق الأرض بالسّماء.

ومن أراد أن يكون له شأن؛ فليعمل على تحقيق المكانة قيما وفضائلا، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيما وفضائلا؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ بإصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه ارتقاء.

فالارتقاء حركة دؤوبة، يتحقّق عبر التّاريخ بالجهد الرّصين والعمل المتّصل، الذي منه تؤخذ العبر، وتستمدّ المواعظ، وتنقل التجارب النّاجحة شواهد؛ فالارتقاء لا يحدث فجأة؛ فهو مثل الوليد، يولد وهو في حاجة للرّعاية والعناية، ثمّ يكسب قوّة تدفعه إلى تحقيق ما هو أعظم، وهو كالبناء بدايته وضع حجرة على الأرض، ثمّ يصبح صرحا شامخا وكأنّه يريد أن يفتق الأرض بالسّماء ثانية؛ فهكذا هو الارتقاء تطلّعا يجسّد الطّموح،

ويمكّن من بناء حضارات أهلها يسودون ثمّ يفنون، وتبقى الحضارة تاريخا متكئا على الارتقاء علما وفكرا وقيما وفنّا وثّقافة وإعمارا وبناء.

ولأنّ التاريخ البشري مليء بالتّجارب النّاجعة، وكذلك الفاشلة، فهو قد مرّ بنشوء حضارات سادت ثمّ بادت وحلّت محلّها حضارات أخرى؛ ففي تلك الأحقاب سادت حضارة عاد وثمود، ومن بعدها حضارات الغرب، وحضارة الفرس، وحضارة الإسلام والعرب، واليوم حضارات الشّعوب تتداخل لتسود القرية الصّغيرة؛ فهي بالرّغم من تنوّعها، ولكن، وكأنّها حضارة أمّة واحدة، إنّها تقدّر الخصوصيّة، وتُمكّن من الاندماج علما ومعرفة، وتقنية وإعمارا، وتؤكّد قيمة الإنسان في ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسؤولياته وبكلّ شفافية.

ومع ذلك؛ فالإنسان دائما في حاجة للارتقاء؛ فهو يسعى من أجل حياة أكثر أمنا، وأكثر نعيما، وأكثر عدلا، وأكثر رفاهية ورقيّا؛ فقيمة الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، تستوجب تقديرا عاليا، ورعاية صحية متقدّمة، وتعليما يخلّص من أيّ تأزّمات تحدث، ونُظم تُمكّن من التمدّد بكلّ حرّية دون أن يحدث أيّ تماسّ مع تمدّد الآخرين بكلّ حرّية.

ولكن هذه لن تتحقّق ما لم يرتقِ الإنسان عن مثيرات الشّهوة، وإغواءات النّفس، ومغريات الحياة الدّنيا (السُفلية)، وتفضيلات الأنا على حساب الغير، وأن لا يتردّد، والخوف ضرورة من أجل مستقبل ناهض وسلامة وأمن يمكّنا من بلوغ الخوارق تحدٍّ للحاضر بما هو أكثر جودة.

ولذلك؛ فالاختلاف لن ينقطع بين النّاس بما أنّ هناك من يرى القيم والفضائل أساس العمل والتقدّم والارتقاء، وبين من يراها لا تزيد عن كونها قيودا ينبغي أن تزال متى ما تعارضت مع المصلحة الخاصّة، ومع وجود الاختلاف، فلا وجود لما يعيق ولادة الخوارق، بل الاختلاف هو المحفّز تحدٍ ومنافسة على ولادة المزيد من الخوارق تحدّ لكلّ الصّعاب.

ومن ثمّ؛ فالرّغبة في بعض الأحيان تتمركز على (الأنا) أنا ومن بعدي الطّوفان، وهنا تكمن العلّة، وحتى لا تكون الأنانية القاتلة؛ فعلينا بتضافر الجهود والنّهوض سويّا حتى نقضي على عوامل الشّد والتخلّف ونرتقي تقدّما ونهضة من بعدها نهوض مع أملٍ ناهض.

وحتى لا تكون العلّة نهاية المطاف؛ فينبغي بلوغ الحلّ الذي يحتوي في مضمونه قبول الآخر (هو كما هو)، والعمل معه (من حيث هو)، من أجل الارتقاء سويّا إلى مستقبل مأمول؛ فالفرد وإن خُلق فردا؛ فهو لم يُخلق وحيدا، ولهذا، لا ينبغي أن يفكّر وحيدا، ولا ينبغي أن يعيش وحيدا، بل ينبغي أن يفكّر حتى يعرف كيف يفكّر جماعيا، وأن يعمل مع الآخرين ارتقاء بغاية ما يجب.

ولكي يتمكّن الإنسان من اتخاذ قراره عن وعي؛ فعليه بمعرفة العلاقة التي تربط قوّة قراره بقوّة اتخاذه؛ فقوّة القرار تكمن فيما يحقّقه من فوائد، وما يترتّب عليه من ارتقاء مأمول، وما يحدثه من مفاجآت موجبة، ومن ثم؛ فاتخاذ القرار ارتقاء يُمكّن من إحداث النقلة.

ولأن صُنع الخوارق لم يكن مستحيلا فَلِمَ لا تُصنع باستمرار تحدٍّ للعقل بملكاته العقلية؟ فالعقل دائما هو مَكمن الخوارق؛ فمن بلغ عقله عقلا عن غير توقّع بلغ المعجز إعجازا، ومن بقي في دائرة المتوقّع؛ فلا إمكانية لبلوغ الخوارق التي في النّهاية لا تكون إلّا في دائرة الممكن.

ولكن لكي تصنع الخوارق فهي في حاجة لمناخ مناسب حيث لا قيود على التفكير الإنساني ولا موانع ولا تخويف من أحدٍ، بل المكتبات مليئة بالمصادر والمراجع والدّوريات العلمية، وأنّ المقرّرات المدرسية والجامعية معدّة على قاعدة كلّ شيء ممكن ولا استغراب، ثمّ أنّها تحرّض المتعلّمين على التحدّي وقهر الصّعاب. وإلى جانب ذلك فالتحفيز يسرّع من إدارة العجلة تجاه التقدّم وإحداث النُقلة وإيجاد ما لم يكن متوقعا.

وعليه:

. بلوغ الخوارق مُمكن فلا تستغرب.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى تبلغ خارقة.

. لا تستسلم للمتوقّع فقط وتغفل عن غير المتوقّع الذي يخرجك من زمن المفاجئات.

. لا تُوقِف تفكيرك عند حدود المألوف؛ فالتوقّف عند حدوده لا يمكّنك من بلوغ الخوارق إضافة معرفيّة.

. لا خارقة إلّا بمقدرة عقلية، فانتبه لنفسك ولما حولك ولما يجب حتى ولو تجاوزت المألوف بما هو موجب.

. الخوارق يتمّ اكتشافها بين الفجأة والانتباه، فانتبه واعلم أنَّ السّرحان مضيعة للوقت فلا تعوّد نفسك وعقلك الخوض فيه ضياعا.

. اكتشاف الخوارق أو بلوغها يُمكّن من معرفة قوانينها تاليا، أي أنّ الخوارق تكتشف أوّلا ثمّ بعد الاكتشاف يتمّ التعرّف على القوانين التي هي عليها.

. معرفة الخوارق تمكّن العقل من التحدّي والبحث عن المزيد.

. معرفة الخوارق تحدٍّ للصّعب وقهره.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المعجز تسليما.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المستحيل والوقوف دونه مستحيلا.

. صُنع الخوارق لا يكون إلّا تجاوزا للقولبة والتمنهج وأساليب الرّتابة المملّة.

. صُنع الخوارق يظهر أو يوجد ما لم يكن ظاهرا أو موجودا معرفيا.

. صُنع الخوارق صور تُنتج على غير هيئة مسبقة.

. يعدّ استخراج الشيء من الشيء على غير مألوف خارقة عقلية.

ولهذا ينبغي أن يعوّد الإنسان نفسه على الأخذ بالمنهج العلمي ويفضّل أن يتجاوزه معرفة بما هو أكثر تيسيرا حتى وإن كان نتاج وقته، وعليه بقبول الصّعاب والعمل على تحدّيها حتى تُهزم.

مبدأ

العمل ارتقاء

الارتقاء رفعة عن كلّ ما يؤدّي بأصحابه إلى السُفلية والدّونية، وهو الأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيرة مع وافر التقدير والاحترام للأفراد والجماعات والمجتمعات والحضارات والثقافات، والأديان، كما أنّه الممكّن من التوافق والاندماج الذي فيه الإنسان قيمة في ذاته؛ فلا يهان ولا يقلل من شأنه ولا يحرم من ممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمْل مسؤولياته. والارتقاء قد يكون بأسباب العلم والثقافة وحسن المعرفة وقد يكون نتاج التربية وتهذيب السلوك ومخافة الله.

والعمل ارتقاء هو الذي فيه تُتبع أساليب الاحترام والتقدير والاعتبار والتّفهم، وهو الذي به يتمّ الإنجاز أو الإنتاج دون أن يسود استغلالا للجهد الذي به أنجز العمل أو أنتج.

ولأنّ العمل ارتقاء هو المبدأ الذي ينبغي أن يُتّبع أو المنهج الذي يجب أن يؤخذ به، لذا فهو مكمن القيم الحميدة التي تحوّل العاملين من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين والمبدعين ومتحدّي الصّعاب.

فالعمل ارتقاء يستوجب كيفية وكميّة: كيفية من حيث الجودّة، وكمية من حيث ما يشبع دون أن يكون هناك نقص.

إذن العمل ارتقاء يستوجب جهدا يبذل مع خالص النيّة، أي لا عمل ولا إنتاج إلّا والجهد يبذل، والجهد هنا قد يكون فكريا وقد يكون عضليا وقد يكون فنيّا (خبرة ومهارة) وهذه من مجوِّدات العمل ارتقاء؛ فلا ينبغي الإغفال عنها وعن أهميّتها وعن أدوار أصحابها. أي يجب أن تقدّر تقديرا عاليا من حيث الحوافز والدّوافع وكلّ ما من شأنه يشجّع على المزيد أو يشجّع آخرين ليلتحقوا بخانة المبدعين المهرة.

العمل ارتقاء مسؤولية لا يحملها إلّا من هو على دراية ومعرفة بما له وما عليه، أي معرفة بما يجب ويتّبع، وما لا يجب ويجنّب أو يبتعد عنه، مع معرفة وافية بقوانين وتشريعات العمل والمهنة والوظيفة وحمْل المسؤولية حتى وإن كانت عبئا جسيما.

وعليه:

- العمل ارتقاء لا يكون إلّا عن وعي ومعرفة ومسؤولية.
- العمل ارتقاء لا يكون إلّا والأمل لا يفارق عقول المنتجين.
- العمل ارتقاء يحقّق الرّفعة الذّوقية.
- العمل ارتقاء يُحدث النُقلة إلى الأجود والأنفع والأفيد.

. العمل ارتقاء احترام للمهنة.

. العمل ارتقاء حقّ ينبغي أن يمارس.

. العمل ارتقاء واجب ينبغي أن يؤدّى.

. العمل ارتقاء مسؤولية يجب أن تُحمْل.

. العمل ارتقاء حُسن تدبّر ينبغي أن يقدّر.

. العمل ارتقاء نتاج تفكّر فيما يجب وأداؤه مهنيّا.

. العمل ارتقاء تجاوز للكسل والاتكالية والطمع.

. العمل ارتقاء حسن أداء وجودة إنتاج.

إذن الارتقاء رفعة وتقدّم تجاه ما هو أفضل وأجود وأنفع، ولا يكون الارتقاء إلّا ببذل الجهد وعن دراية مع سابق تخطيط وفقا للإمكانات الممكنة، ومن ثمّ فلا إمكانية للتقدّم ما لم تتوافر معطياته من بحث علمي وأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيّرة مع طموح وغايات من ورائها نيل المأمولات العظيمة.

ولذلك فالكلمةُ مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل ارتقاء (بناء وإصلاحا وإعمارا مع ا رتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيءٍ، كما أنشأ نوح عليه

السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذا.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يَقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم وبين المتقدِّمين الذين ارتقوا علما وتقنية وحُسن إدارة؟

ولأنّ الارتقاء لا يكون إلّا عملا؛ فينبغي على من يرغب ارتقاء أن يَقدِم على العمل النّافع، وينبغي أن يجوِّد منتجاته لتكون منافسة لمنتجات الغير ذلك لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إن لم تَقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع النّادمين ندما.

فالعمل ارتقاء يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة، ولذا؛ فمن رغب مكانة ويأمل تبوئها فعليه بالعمل المنتج ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل لتكون المكانة فردية وجماعية، {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}125. فالأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام جميعهم يعملون ويحرّضون النّاس على العمل، ويحبّون من يعمل من أجله وأجل من

[125] الأنعام 135.

تربطه بهم علاقات، {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}[126].

وهكذا جميع الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام أرسلوا للنّاس من أجل الهداية والعمل ارتقاء؛ فكانت القيم الحميدة والفضائل الخيّرة جنبا إلى جنب مع الإصلاح والبناء والإعمار ارتقاء عبر التّاريخ؛ فالإنسان الأوّل الذي خُلق في الجنّة رأى الارتقاء بأمّ عينه، بل عاش الارتقاء حياة نعيم، ولكن بأسباب المخالفة والمعصية ارتكب خطأ فأخرج به هبوطا من الجنّة إلى الحياة الدّنيا، والتي من بعدها أصبح واضعا نصب عينيه أمل العودة إلى تلك الجنّة، التي ضاعت من بين يديه وهو يتحسّر، بما أقدم عليه إرادة، حتى وإن كان بأسباب الإغواء، ولكن بعد أن استغفر ربّه، ظل يعمل من أجل العودة إلى ذلك العيش الرّغد الذي حُرم منه بما ارتكبه من فعل منهي عنه، ومع ذلك ساد الصّراع بين النّاس إلى يومنا هذا (بين من صدّق الرّسل ومن كذّبهم)؛ فمن صدّق الرّسل يأمل كما أَمِلَ الإنسان الأوّل الارتقاء إلى الجنّة التي عاشها حياة فردوس، ومن لم يصدّق؛ فلا يرى جنّة، وهنا تكمن العلّة.

وهكذا؛ فالإنسان لم يقف عند ما يأمله، بل تجاوزه بالعمل حتى صعد إلى القمر الذي كان يعتقد أنّه الجنّة، ثم تجاوز القمر كونه لم يكن كذلك، فغزى الفضاء اكتشافا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما

---

[126] التوبة 105.

هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا بلوغ الجنّة، إنّها رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاء، أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها؛ فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة المزيد.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقا، لكنّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل ودفعه إليه ارتقاء.

إنَّ الإنسان لو لم يكن مؤهلا للارتقاء، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء، ولأنّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل المتطوّر تصبح ضاغطة عليه ألما شديدا؛ فعليه بالعمل وتحدّي الصّعاب، ولا يخشي شيء سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة قمّة.

ومن هنا؛ فما بلغه الإنسان من ارتقاء علمي وثقافي وحضاري يؤسّس قاعدة عريضة للمزيد المعرفي الممكّن من الإصلاح والبناء وقبول التحدّي من أجل الأفضل والأفيد والأنفع والأرقى.

وعليه: فمن أراد أن يرتقي إلى المأمولات العظام فلا إمكانية له إلّا بذل الجهد والعمل الذي له من الأهداف ما له وله من الأغراض ما له

ومن وراء كلّ ذلك غايات تُبلغ ومأمولات يتمّ نيلها أو الفوز بها، ولهذا فالارتقاء عملا يحقّق:

. الرّفعة.

. تبوء المكانة.

. القدوة الحسنة.

. الاعتماد على الذّات.

. بلوغ الغايات.

. نيل المأمولات.

وعليه:

. تعلّم حتى تجعل الجهل خلفك ولا فرصة له أن يلاحقك.

. اعمل حتى ترتقي وتتبوأ المراكز المتقدّمة.

. تحدّ حتى تخلق لك مستقبل أفضل.

. اجعل المهنة وكأنّها الهواية وعن رغبة واشتياق.

. أتقن عملك حتى يصبح لك هويّة.

. تطلّع إلى الأجود حتى وإن تمكّنت من أداء عملك ارتقاء.

ـ اعمل فلا قيمة لك إلّا بالعمل ارتقاء.

ـ الارتقاء لا سقف له؛ فلا تجعل من مستوى الجودة الذي بلغته مظلة لتجلس تحت ظلّها وكأنّها الغاية، بل عليك أن تعرف أنّ الجودة درجات سُلم يتمّ الصّعود عليها، ولا يتمّ الصعود إليها. ذلك لأنّ الوسيلة ليست الغاية ولا المأمول، ولأنّ السّلم وسيلة فلا تقف عنده وكأنّه المهم الذي لا شيء مهم من بعده.

ولهذا فعليك بالعمل، فالعمل الصالح كما يرضي القائمين به جهدا مبذولا فهو يرضي الله، ولكلّ جزاؤه، {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}127. أي لكلٍّ حسابه؛ فللعمل الراقي حسابه، وللعمل السيئ حسابة، ولا يظلم أحدا. {نَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}128.

مبدأ
تصحيح المعلومة

المعلومة في دائرة الممكن متأرجحة بين ثباتٍ واهتزازٍ وبين متوقّعٍ وغير متوقّع، ولهذا فهي دائما تحتاج قبل أن يؤخذ بها أو يسلّم إليها إلى

---

[127] الزلزلة 7 ، 8.

[128] النساء 40.

الاختبار والقياس وفقا لمعايير يحتكم بها، وعندما تثبت مصداقيتها تصبح حجّة تساهم في تصحيح ما يقع من أخطاء علمية أو معرفية.

فالمعلومة متنوّعة المعاني والمفاهيم، ولها من الدّلائل ما لها، وهي التي تؤسّس للمعرفة، وهي دائما في حاجة للتقصي والاختبار، ولا تعدّ مسلّمة إلّا بعد التبيّن، ولهذا فكثير من المعلومات تحتاج إلى معلومات تصحّحها.

وتصحيح المعلومة الخاطئة يستوجب توفّر معلومة صائبة، والمعلومة الصّائبة تتطلّب لسان حقّ لقولها، ومستمعا منصتا لها بكلّ اهتمام، وحَكما بها يفصل بين النّاس.

ولأنّ الانحراف نتاج معلومات خاطئة.

إذن، الإصلاح في حاجة لمعلومات صائبة.

ولهذا، وجب العلاج بتصحيح المعلومات التي جعلت من المنحرف منحرفا؛ وإذا لم تُصّحح المعلومات الخاطئة، يصبح المجتمع مهدّدا بتفشي الانحرافات فيه.

فالإصلاح دائما في حاجة لمعلومات صائبة، ولذلك، ينبغي أن تَحِلّ المعلومات الصّائبة محلّ المعلومات الخاطئة، ثم تُدعم المعلومات الصّائبة بأخرى أكثر صوابا حتى يتمّ تثبيت القول الصّائب، والفعل الصّائب والسّلوك السّليم الذي ينال التقبّل والتقدير من الغير، كونه لم يكن مخالفا للفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي تُرضي الناس وتُمجّد من قِبلهم.

وعليه؛ فالمعلومة الصّائبة بنائية: حيث احتوائها للقيم والفضائل التي يرتضيها المجتمع الإنساني. ولذلك؛ فالذّات الإنسانية تُبنى بقيم وفضائل المجتمع التي تترسَّخ في العقول والقلوب، وتتجسّد في السّلوك والفعل وعلى ضوئها تُبنى الشّخصية المتطلّعة لِما هو أفضل وأجود وأحسن، حيث الاستيعاب لكلِّ مفيد ونافع.

ولأنّ المعلومة الصّائبة تحمل في مضمونها قيما إنسانية؛ فهي التي تُمكِّن الإنسان من بلوغ المستوى القيمي الموضوعي، الذي ببلوغه تصبح شخصية الأفراد خالية من قيم التعصُّب والانحياز بغير حقّ.

وفي المقابل المعلومة الخاطئة، لا تنشئ الشخصية البنائية، بل تؤدّي إلى ظهور الشّخصية الانسحابية التي لا تصمد؛ فالشخصية الانسحابية هي التي تتخلّى عن بعض القيم التي يريد لها المجتمع أن تسود بين أفراده وجماعاته، وباستمرار الشخصية الانسحابية في الانسحاب من قيم المجتمع وفضائله التي يرتضيها، تصل إلى المستوى الأناني، الذي فيه لا يفكّر الفرد إلا في نفسه.

وعليه؛ فالفرق كبير بين من تشرَّب معلومات صائبة، وبين من تشرَّب معلومات خاطئة، ولأنّ المعلومة الصّائبة ذات حُجّة (مصادق)؛ فهي الأقوى، ولأنّ المعلومة الخاطئة تفتقد للحجّة فهي الأضعف، ولذا؛ فهي لا تصمد أثناء المواجهة مع المعلومة الأصوب (الأقوى)، ولأنّ المعلومة

الصّائبة بنائية؛ فهي التي تصمد بقوّة حجّتها حتى تهزم المعلومة الخاطئة وتحلَّ محلّها.

وعليه؛ فالقاعدة العلمية تقول:

. الانحراف عن الانحراف السّالب يُعدّ عودة إلى القاعدة، ولذا؛ فهو الموجب.

– الانحراف عن الانحراف الموجب يُعدُّ خروجا عن القاعدة، ولذا؛ فهو السّالب.

. الانحراف السّالب يُعد موجبا بالنّسبة للمنحرفين (الخارجين عن قيم المجتمع وفضائله).

. الانحراف السّالب يُعد سالبا بالنّسبة للمتمسّكين بقيم المجتمع وفضائله الخيّرة.

. الانحراف الموجب يعد سالبا من وجهة نظر المنحرفين عن الفضائل الخيرة والقيم الحميدة.

ولهذا فالانحراف عن الانحراف دائما هو في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع.

ومن هنا؛ فالقاعدة المنطقية والعلمية تعدّ تأسيسية لكلِّ بناء، ومنطلقا لكلّ هدف، ومرجعية قيمية لكلّ مجتمع، ولهذا، تعدّ التربية على

قيمها واجبة، ويعدّ إصلاح حال الأفراد وعلاجهم على قيمها الحميدة، ضرورة اجتماعية وإنسانية، ولهذا؛ فالإصلاح والعلاج واجب على المسؤولين والأخصائيين الاجتماعين والنّفسيين وعلى التربويين وعلى الأطباء، وضرورة للمريض والمنحرف عن القيم والفضائل الاجتماعية والإنسانية، وكما هو ضرورة لهم؛ فهو ضرورة لذويهم وللمجتمع الإنساني عامّة.

ووفقا لدائرة الممكن؛ فإنَّ الخروج عن القيم التي يرتضيها المجتمع هو متوقّع، ولا ينبغي الاستغراب بما أنّنا نتوقّعه قبل حدوثه في أيّ مجتمع من المجتمعات البشرية.

المعلومة تؤثّر في المعتقد والفعل:

ولأنّ المعلومة تؤثّر في المعتقد والفعل، إذن؛ فالتأثير السّالب نتاج المعلومات الخاطئة، والتأثير الموجب نتاج المعلومات الصّائبة.

فنحن بني الإنسان نتعلّم بالمعلومة التي تشغل المساحة بين مُرسل ومستقبل، وبين منتج لها وبين مستخدميها، وبها يبلغ المختلفون الاتفاق، أو الخلاف؛ وهي العابرة للعقول والعابرة للحدود، ومن ثمّ؛ فهي لا تسجن، وإن سُجن أصحابها المصدِّرون أو الموردون لها أو المهرّبون.

ولأنّ المعلومات هي التي تشكّل آراءنا وقناعاتنا بما تحمله من حُجج وبراهين؛ فهي التي تشكّل معتقداتنا أيضا، ولذلك ستظل المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع سواء أكانت سالبة أم موجبة.

ولأنَّ كلّ شيء ممكن ولا استغراب ولا يأس. إذن، وجب على النّاس التبيّن قبل إصدار الأحكام، وعليهم بعدم المكابرة عن التصويب إن اكتشفوا أنّهم كانوا من المخطئين، أو أنّ خصمهم كان من المخطئين وقد تبيّن. وعليهم دائما بالمعرفة الواعية حتى لا تجرّهم العاطفة وينقادوا وراءها إلى حيث ما لا يجب. وعليهم أن يميّزوا بين المعلومات الصّائبة والمعلومة الخاطئة وذلك لأنّ:

– المعلومة الصّائبة في دائرة المتوقّع، تُظهر القوّة البنائية والأخلاقية والإنسانية والإصلاحية والوقائية والعلاجية والاستثمارية، وتُقدّم الحقائق هي كما هي، ويترتّب عليها الفعل المرضي الممكّن من الوفاق والعمل والتصالح.

. المعلومة الخاطئة في دائرة المتوقّع، تُظهر القوّة الهدّامة، والمؤذية، والمؤلمة، ولا تُقدّم الحقائق هي كما هي عليه، فيترتّب عليها فعل النّدم. ولهذا، ينبغي على الإنسان:

– أن يُميِّز بين ما هو ظاهر، وما هو كامن.

– ألاَّ يغفل عن الكبيرة ولا الصّغيرة في دائرة الممكن.

– ألا يستغرب الأقوال والأفعال والسلوكيات حيث كلّ شيء ممكن.

– أن يُدحض الحُجَّة بالحُجَّة.

– أن يحافظ على اتزانه وتوازنه أمام المعلومة الخاطئة وأمام الأفراد.

. ألا يستعجل بأيّة تصريحات في حالتي الفرح والألم؛ ففي حالة الفرحة قد يلتزم بأشياء وهو لا يستطيع الوفاء بها، وفي حالة الألم قد يصرّح بما لا يجب؛ ممّا يرتّب على تصريحه ألم لاحقّ.

ولهذا ينبغي أن يكون العلاج للفكر المعوج الذي تشرّبه من تشرّبه من النّاس وأثّر في سلوكهم، فإذا تمت معالجة المعلومات والأفكار الخاطئة أو المنحرفة بمعلومات وأفكار سوية صائبة، يتغيّر أصحاب الاتجاهات السلبية إلى الاتجاهات الموجبة، ومع أنّ أساس المعلومة الصّواب، ولكن النّاس هم الذين حادوا بها عن مقاصدها ومراميها، ومن ثمّ، أصبحت المعلومة المشوّهة من بعدهم هي السّبب في المظالم والمكائد بين النّاس، ممّا يجعل المعلومات الخاطئة التي تشرّبوها هي المسبب في ذلك، فلو تعلمنا فكرا معوجا ونحن لم نتبيّن نقاط اعوجاجه؛ فإنّنا سنسلك سلوكا معوجا، وإذا تعلمنا معلومات صائبة بقوّة الحُجّة التي تحملها، تصبح معارفنا

وسلوكياتنا صائبة. ولذا؛ فمن أراد الإصلاح بين النّاس؛ فعليه بإصلاح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة[129].

المعلومة هي حاملة الأخبار وحافظة الأسرار تنقلها الكلمات من مرسل لمستقبل، وهي في حالة امتداد بين قبول ورفض وإضافة وتعديل وغموض ووضوح، ولأنها بين هذا وذاك، فهي في حاجة لأن تُصحح، حتى لا تزوّر الحقائق، ويحيد الكلم عن مواضعه.

ولذا فإن تصحيح المعلومة يتطلب مصدرا صادقا وباحثا غير متحيز وقادر على أن يتبيّن وأن يميّز بين ما هو كائن وبين ما ينبغي أن يكون، وقادر على أن يستقرأ ويستنبط من النّصوص دلالات ومعانٍ.

وعليه:

. المعلومة متأرجحة بين صائبة وخاطئة.

. المعلومة تصحح بالمعلومة.

. الانحراف بين موجب وسالب.

. المعلومة السّالبة انحرافيه.

. المعلومة الموجبة إصلاحية.

. التصحيح وجوبي.

---

[129] عقيل حسين عقيل، العفو العام والمصالحة الوطنية، ص 162 . 176.

ولأنَّ الانحراف نتاج معلومات خاطئة، إذن ينبغي على إخصائي التنمية البشرية والخدمة الاجتماعية الآتي.

. تبيّن الخطأ وأدركه قبل فوات الأوان.

. الإقدام على تصحيح المعلومة الخاطئة.

. التمعّن في الحالات الفردية والجماعية والمجتمعية بموضوعية مع التمييز بين المتوقّع وغير المتوقّع.

. التجادل حجّة بحجّة.

. التطلّع إلى ما هو ممكن دون الأخذ به على حساب الفضائل الخيرة والقيم الحميدة.

. التقييم للحالة هي كما هي.

. التقويم للجهد بموضوعية.

. تصحيح الأخطاء بمعلومات صائبة.

. تمكين العملاء من المشاركة في اختيار الحلول دون إكراه.

ولهذا فالمعلومة الصّائبة بنائية: حيث احتوائها للقيم والفضائل التي يرتضيها المجتمع الإنساني؛ فمن يتشربها بمعلومات صائبة يكون سلوكه على صواب، ولذا تُبنى الذات بقيم وفضائل المجتمع التي تترسخ في الذهن والنّفس وتتجسّد في السّلوك والفعل. وعلى ضوئها تُبنى الشخصية المتطلّعة

لِما هو أفضل وأجود وأحسن، حيث الاستيعاب لكل مفيد ونافع مع الاعتزاز في ذات الوقت بالقيم التي تبني الذات. ولأنها المعلومة الصائبة فهي التي تحمل في مضمونها القيم الإنسانية، وهي التي تُمكّن الإنسان من بلوغ المستوى القيمي الموضوعي الذي ببلوغه تصبح شخصية الأفراد خالية من قيم التعصب والانحياز للباطل والظلم، حيث التمسك بالحق والعدل مع فائق التقدير والاعتبار.

وفي مقابل ما سبق تأتي المعلومة الخاطئة، التي تنشئ الشخصية الانسحابية، حيث تشربها لقيم لا يرتضيها المجتمع، فهذه الشخصية ذات مستوى قيمي هدمي وليس بنائي كما هو حال الشخصية التي تشربت قيم وفضائل اجتماعية وإنسانية. فالشخصية الانسحابية هي التي تتخلّى عن بعض من القيم التي يريد لها المجتمع أن تسود بين أفراده وجماعاته في الفعل والسّلوك. ولهذا كلّما استمرت الشخصية الانسحابية في الانسحاب من قيم المجتمع وفضائله التي يرتضيها، وصلت إلى مستوى الأنانية، الذي فيه لا يفكر الفرد إلا في نفسه، حيث تخليه عن القيم التي تربطه بالآخرين، حتى يوصف بأنّه شخصاني (أناني).

ولذا فإن المعلومة تستوجب الآتي:

. حامل لها (مرسل).

. مستمع إليها (مستقبل).

. لغة ومنطق للتحكيم.

. هدف تسعى إليه.

. خطة تُرسم لها مثلما تُرسم بها.

. مقدرة تمييزية.

. تفهّم لظرفها الزماني والمكاني وظرفها الموضوعي (الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والنفسي، والذوقي، والثقافي).

وعليه:

. فكّر بمعلومة.

. فكّر في معلومة.

. استمع لمرسلها جيدا.

. ميز بها بين ما يجب وما لا يجب.

. خطط بها وفقا لدائرة الممكن.

. حاجج بها حجّة بحجّة.

. قيم بها الحالة قيد البحث والدراسة.

. قوّم بها سلوك المنحرفين.

ـ صحح بها أخطأ معرفية.

ـ تطلّع بها إلى المستقبل المأمول.

ـ أنتج بها خارقة كلّما سنحت الفرص وتوافرت المعطيات لذلك.

ولهذا لا يمكن أن يتمّ إصلاح أو تقويم القول أو السّلوك أو الفعل ما لم يتمّ تغيير المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة.

ولأنّ الإنسان قوّة، فبإمكانه أن يعمل ما هو متوقّع وما هو غير متوقّع ولذا لا استغراب عندما يَقدِم أو يَفعل الإنسان سلوكيات غير متوقّعة. وما يقدم عليه أو يفعله قد يكون موجبا ويستوجب التقدير والاحترام والاعتبار ليُثبّت مع القواعد القيمية التي يرتضيها المجتمع. وقد يكون ما يقدم عليه أو يفعله الإنسان سالبا فيستوجب القيام بدراسته حتى معرفة العلل والأسباب التي تدفعه إلى القيام أو الإقدام على الأفعال والسلوكيات السّالبة، وتصحيحها بمعلومات صائبة.

وعليه لا داعي للتأخير وعدم الاهتمام بدراسة مثل هذه الحالات فالتأخير والإهمال يؤدّيان بالضّرورة إلى نتائج أكثر سلبية (انحرافات مركّبة). ولذا فإن الإقدام بكلّ قوّة وسرعة على الدّراسة الموضوعية يخفّف من عمليات التوتر وييسّر عملية العلاج والإصلاح.

وعليه:

ـ عجّل بالدراسة.

. جمّع معلومات وافرة عن الحالة.

. حلّل المعلومات بموضوعية.

. شخّص الحالة عن كثب.

. حدّد العلاج المناسب.

. قوّم جهودك بشفافية.

. قدّم المساعدة الهادفة.

. ثق أنّ العلاج والإصلاح ممكنين فلا تيأس.

– ثق أنَّ المعلومة الصائبة قوية، والمعلومة الخاطئة ضعيفة.

– ثق أنّ دائرة المتوقّع في المعلومة الصّائبة، تُظهر القوّة البنائية والإنسانية والإصلاحية والوقائية والعلاجية والاستثمارية والمفرحة والتطّلعية والموضوعية، وتُقدّم الحقائق كما هي، ويترتب عليها الفعل المرضي.

. ثق أنَّ دائرة المتوقع في المعلومة الخاطئة، تُظهر القوة الهدامة، والمؤذية، والمؤلمة والأنانية، والانسحابية، ولا تُقدّم الحقائق كما هي، فيترتّب عليها فعل النّدم.

وعليه:

فإنّ الانحراف لا يكون إلّا نتاج معلومات، ممّا يؤدّي إلى تغيير اتجاه أو مسار من نقطة إلى أخرى، ومن الانحراف ما هو موجب ومنه ما هو سالب، ولا يُقصد بالانحراف هنا الخروج على القانون كما عرفه أساتذة القانون، بل نعني به كمفهوم متعلّق بالفعل والسّلوك خروجا عن القيم المفضّلة للمجتمع أو الشّعب بأسره.

ولتوضيح ذلك أقول:

- إذا كان انحراف العميل عن انحراف سالب وذلك بالتخلي عنه، والعودة إلى الأصل (الطريق المستقيم) المتكوِّن من قيم المجتمع ودينه وثقافته، وأصوله الخيرة التي تكوّن ناموسا اجتماعيا له، فإنّ هذا الانحراف يعدّ موجبا ويعد صوابا، وينبغي التشجيع عليه.

- إذا كان انحراف العميل عن انحراف سالب، وتوجه إلى انحراف هو الآخر سالب، يؤثر سلبا على قيم المجتمع وفضائله الخيّرة، كأن يتخلى الفرد أو الجماعة عن تناول المخدرات، ثمّ يرتكب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فالسلوك الانحرافي لا زال في ذات الاتجاه (من سالب إلى سالب). ولذلك فإنّ المنحرف لازال منحرف سلبيا، وهو لازال في حاجة للعلاج أو الإصلاح.

وبناء على قاعدة الممكن فإنّ الانحراف: متوقّع موجب، ومتوقّع سالب. وغير متوقّع موجب، وغير متوقّع سالب. ما يجعل الخروج ممكنا مثلما العودة ممكنة.

مبدأ

الاستيعابُ احتواء

الاستيعاب: فتح آفاق التقبّل والتفهّم أمام الجميع هم كما هم عليه، وليس كما يجب أن يكونوا عليه، ولهذا يعد الاستيعاب احتوائي لا استثناءات فيه ولا حرمان. ومن هنا يعد الاستيعاب حيّز نفسي يسمح بقبول الآخر بما هو عليه من علل واختلاف مع تقدير ما يختلف به واحترامه، وهو منبع من منابع الأمل التي يأملها النّاس؛ فالاستيعاب كونه قيمة حميدة لا يكون إلّا بقرار مسبق، به يتمّ قبول الغير وتفهّم ظروفهم وتقدير أحوالهم وتقبّل ما يختلفون به أو بما هم به يتميّزون؛ فالاختلاف والخلاف توأمان في دائرة الاستيعاب، لا يقبلان بالرّأي الواحد، ولا الحزب الواحد، ولا الفكر الواحد، كما أنّهما لا يقبلان بأيّ إكراه، أو إقصاء، أو ظلم، أو قهر، أو عدوان بغير حقّ، وبذلك فقيمة الاختلاف والخلاف تزداد أهمية وضرورة، كلّما ظهر ظلما، أو إكراها، أو حرمانا ومع ذلك فأبواب الاستيعاب مفتوحة؛ أي لو لم يكن الاختلاف والخلاف، ما كان للاستيعاب وجود، ولا ضرورة ولا أهمية، ولأنّ الاختلاف والخلاف سابقان من سابقٍ على كلّ سابق؛ فهما لا يكونان مستقلّان عن سابق معهما، وبذلك؛ فهما الرّفيقان للعاقل الذي كان متميّزا بهما، وبالاستيعاب معا.

فالاستيعاب قيمة احتوائية، تعتمد تقبّل المختلف والمخالف، وتعترف بوجودهما، دون أن تتخذ أحدهما غاية في ذاته، بل دائما الغاية

من ورائهما هي نيل المأمول، الذي لا يُفرّق فيه بين أحد وآخر إلّا بحقّ يختلف به كلّ منهما عن الآخر.

فالاستيعاب يُمكِّن أصحابه من الإلمام بالموضوع، كما يمكّنهم من تشخيص الحالة، وبلوغ النتائج القابلة للتطبيق، والتفسير، دون أن يغفل عن الآتي:

. استيعاب الإيجابيات، والتأكيد عليها، ونقلها للآخرين بوسائل مبسّطة تمكّنهم من التعرّف عليها، وتحفِّزهم على العمل بها.

. استيعاب السّلبيات، وتحديدها، وإبراز عللها، وأسبابها، والعمل على إزالتها، وتنقية الموضوع منها، وتبيان الأضرار التي قد تنجم عنها.

– استيعاب المختلف والمخالف، واحتواؤهما دون انحياز، ولا عصبيّة، انطلاقا من أنّ الفروق الفردية بين النّاس، هي مكمّلة لبعضها البعض.

. استيعاب المختلف والمخالف، يمكّن من التفاهم، والتفهّم، ومن ثمّ يمكّن من تقويم الأحوال من أجل ما يجب.

. استيعاب المختلف والمخالف، ينهي التأزّمات، والآلام، والأحقاد والمظالم، ويمكّن من تصحيح المعلومات الخاطئة، بمعلومات صائبة.

. استيعاب المختلف والمخالف يجعلهم في دائرة (نحن سويّا).

ـ استيعاب المختلف والمخالف، يمكّن من توليد القوّة، وجمعها وتسخيرها لما يفيد، وتوجيهها إليه.

ولهذا، يجب أن يكون الاستيعاب بلا تردّد، والتقبُّل حتى النّهاية التي بها تُدرك الأمور، وتتحسّن الأحوال، وتُبلغ الحلول. ولكن عندما تُفقد أو تنعدم هذه القيم ومثيلاتها، يحدث التفرُّق والصّدام والصّراع، وتتجذّر العداوات بين النّاس، بأسباب التدافع عن غير حقّ.

فالاستيعاب قيمة حميدة يجمع الشّمل، ويُمكّن من إنجاز الصّعب في دائرة الممكن، وهو المِمكِّن من الوقوف على نقاط التمركز والتشتُّت التي تجعل المختلفين على الفرقة والضّعف، ممّا يستوجب الأخذ بنقاط الالتقاء واعتمادها جزءً من الحلّ، ونقاط الاختلاف واعتماد تجنّبها جزءً من الحلّ، فالإلمام بالمشكلة، وظروفها المتنوِّعة، والمتغيِّرة، والمتباينة، والمتصادمة، يُمكّن الجميع من معرفة العلل، والأسباب مكامن الإصلاح والحلول، حيث لا حلّ إلّا ونابع من عِلةٍ، أو سببٍ.

وعليه؛ فالاستيعاب، هو المحفّز والدّافع إلى الحلّ، الذي لا يتمّ بلوغه إلّا بعد خوفٍ يُمكّن منه.

ولسائل أن يسأل:

كيف يمكن أن يكون الاستيعاب، لو اتخذنا العرب مثالا للتطبيق؟

أقول:

العرب مع أنّهم بنو قوم واحدٍ، إلّا أنّهم متفرّقون بين تقي وشقي، وظالم وعادل، وحاكم ومحكوم، وسيدٍ ومسود، وغني وفقير، وقاصٍ ومُقصٍ، ومستقرٍ ومهجّر، ومسلمين ومسيحيين، وسنّة وشيعة، وكرد وتركمانستان، ودروز وأمازيغ، وطوارق وتبو وغيرهم من التنوّع الذي يرسم خريطة الوطن العرب جمالا. ولذا، إنْ أرادت العرب حلّا لمشاكلهم السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والنفسية، والذوقيّة؛ فعليهم بالاستيعاب الذي لا يستوجب اشتراطات، سوى الجلوس سويّا تحت مظلّة الوطن الواحد للشّعب الواحد، من الحدود إلى الحدود، وطن فيه الحقوق تمارس، والواجبات تؤدّى، والمسؤوليات تُحمْل، والتداول السّلمي على السلطة هو العنوان الذي يضمنه الدستور.

أمَّا الاشتراطات؛ فهي عبارة عن مجموعة من الموانع والعَقبات التي توضع من قِبل أحد الأطراف ضدّ الأطراف الأخرى؛ فتحول دون التّمركز على قاعدة الاعتبار (نحن سويا)، فيتولّد الإقصاء والتغييب والتهميش، والعزل السياسي، وهذه جميعها تدفع الإنسان إلى الرّفض والتمرّد والتطرّف والثورة التي ليس من بعدها إلّا بلوغ الحلّ.

ولذا؛ فالاشتراطات في كثير من الأحيان مصدرها فوقي، تصدر من أعلى درجة طبقية إلى أسفل درجة على درجات السُلَّم القيمي، وهي إملاءات مانعة للاستيعاب، وتتطلّب تنازلات، ثمّ المزيد من التنازلات كلّما تمَّ قبول لاشتراطٍ من اشتراطاتها، ممّا يخلق حالة من الجفاء لا يكون من بعدها إلّا ما يقطع خيوط الاتصال التي يمكن أن تربط مع الآخر.

فالسّلطان، أيّ سلطان، إنْ أراد له ربيعا مزهرا؛ فعليه بالاستيعاب، الذي يجمع المواطنين تحت مظلّة الوطن ملك للجميع، ولكن إنْ أراد مشاهدة أوراقه تتساقط؛ فعليه بالإقصاء، والتغييب، والتعذيب، والتحقير، والتسفيه، وارتكاب المظالم، ما ظهر منها وما بطن.

وفي المقابل، ستظل قمّةُ السّلطان في الدّولة قمّة، إذا تمّ اختياره برغبة، ووفق عقد اجتماعي، وعن إرادة حرّة، وكان عادلا مقتدرا، يتقبَّل الجميع ويستوعبهم تحت مظلة الوطن الدّافئة، أمّا من يقدمُ على أفعال الإبعاد، والحرمان، للمواطنين بغير حقّ؛ فلا يستغرب إنً واجهه برد قارس، يجعل أوراق سلطانه تتساقط، كما تتساقط أوراق الخريف.

ولأنّ الاستيعاب قيمة احتوائية، فهو القيمة التي تعترف بالآخر، وتتقبُّله مشاركا وطنيا، يمارس حقوقه، ويؤدّي واجباته، ويحمْل مسؤولياته، ومن ثمّ؛ لن تُحلّ المشاكل بين النَّاس، إلّا بالاستيعاب الذي يُحفّز على التقارب، ويؤدّي إلى التفاهم؛ أمّا الإقصاء والتغييب والعزل السياسي فلا تؤدّي إلّا للفرقة واتّساع الهوة بين المواطنين.

ولذا، لا تُحلّ المشاكل بين النَّاس إلّا بالاستيعاب، ولا يُصنع المستقبل المشترك إلّا بالاستيعاب الذي يُحفّز على التقارب، ويؤدّي إلى التفاهم، ويمكّن من الاندماج والوحدة، ويحقّق الأمن والعدالة والإعمار والبناء، كما أنّه يؤدّي إلى التسامح والتصالح، ومن هنا؛ فهو منبع أمل.

والاستيعاب كونه قيمة حميدة؛ فهو المستمدّ من قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}130،

تبيّن هذه الآية أنّ الاستيعاب قيمة جمعيّة على ثلاث مراحل:

المرحلة الجمعية الأولى: جاءت المخاطبة للأمّة الوسط جميعها لا لفرد، ولا لجماعة بعينها، ولا لطائفة من طوائفها، ولكن كيف يمكن للأمّة الوسط أن تكون مجموعة (وحدة واحدة)؟

بالتأكيد الأمر ليس هيّنا مع أنّ معطية الجمع بيّنة لا غبار عليها؛ فالأمّة الوسط بدون شكّ لا يجمعها إلّا الحقّ البيّن، والحقّ بالنّسبة للأمّة الوسط منزّل تنزيلا، ولأنّه الحقّ من عند الله؛ فهو الثّابت الذي لا يتغيّر، ولهذا ستكون الأمّة الوسط شاهدة على النّاس يوم القيامة بالحقِّ الذي لا يتغيَّر.

المرحلة الجمعيّة الثانية: جاءت المخاطبة للنّاس (الجمع المطلق) مصداقا لقوله تعالى: (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)؛ فهي لم تستثن أحدا من النَّاس، أفرادا وجماعات، وطوائف وشعوبا، وقبائل وأقواما وأمما، وذلك لأنّ الدّين الذي ستكون الأمّة به شاهدة على النّاس، هو دين النّاس

---

[130] البقرة 143.

كافّة، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[131].

المرحلة الثالثة: إنّ الأمّة التي ستكون شهيدة على النَّاس يكون الرَّسول الكريم محمَّد عليه الصَّلاة والسّلام هو الشّهيد عليها، ولأنَّ الأمّة كلّ الأمّة هي شاهدة على النَّاس؛ فبطبيعة الحال سيكون الشّهيد على الشّاهدين على النَّاس، شهيدا على الكافّة، ولأنّ الرَّسول محمَّدا عليه الصَّلاة والسّلام مُرسل للكافَّة؛ فكيف لا يكون هو الشّهيد على الكافّة؟ {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ}[132].

وعليه؛ فالاستيعاب قيمة امتدادية ترسي قاعدة القبول بين الأنا والآخر وفقا لقاعدة النسبية حيث لا مطلق إلّا من عند الله تعالى، ولذا تترتب قيم الأفراد والجماعات اجتماعيا على السّلم القيمي من المستوى الأناني إلى الانسحابي إلى الذاتي ثمّ إلى التطلعي والموضوعي.

وبناءً على هذه المستويات القيمية الخمس تمتدّ قيمة الاستيعاب أو تنكمش.

---

[131] الحجرات 13.

[132] سبأ 28. 30.

ولأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، لذا فإنّ استيعاب البعض للبعض هو الذي يؤدّي إلى توسيع دائرة القبول والرّفض التي تؤسّس قاعدة للتعامل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وبما أنّ الاستيعاب قيمة احتوائية تطوى الهوة بين الأنا والآخر.

إذن:

القاعدة هي:

الاستيعاب يطوي الهوة.

والاستثناء هو:

الإقصاء يزيد الهوة اتساعا.

ولهذا فالاستثناء هو الاستثناء.

ولتوضيح ذلك، علينا أن نجيب على السؤال: كيف يصبح الاستثناء هو الاستثناء؟

عندما تستثني جماعة ما عضوا من أعضائها من المشاركة، أو يستثني مجتمعا ما جماعة من جماعاته من المشاركة، فإنّ هذا الاستثناء يخالف القاعدة التي تستوجب مشاركة كلّ أعضاء الجماعة دون استثناء.

ولهذا فالمشاركة استيعابية، وهذه قاعدة.

والاستثناء لا استيعابي وهذا استثناء. أي: إذا اعتمد البعض الاستثناء قاعدة؛ فسيجدون أنفسهم يوما ما مستثنون، ولهذا يجب أن يستثنى الاستثناء ليكون الاستيعاب هو القاعدة، وهنا تكمن الحلول والمعالجات والخروج من التأزّمات.

ووفقا لقاعدة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، يمكن أن يكون الضّعف قوّة استيعابية، ويمكن أن تكون القوّة ضعفا استثنائي.

على سبيل المثال: طاعة الوالدين.

هل هي ضعف أم قوة؟

الإجابة الموضوعية أنّها تقع في دائرة الممكن.

كيف؟

من زاوية أنّها قوّة إيمانية (طاعة الوالدين في غير معصية الله واجبة).

ومن ناحية عقلية منطقية مجرّدة؛ فهي القبول بالخضوع، بتنازلات قد لا تكون مرضية للأنا (على عكس من رغباته أو طموحاته) ولهذا قد ترغب الأنا الإقدام على فعل الشيء، وفي الوقت ذاته تواجهها قوّة ممانعة أو رفض من الوالدين أو أحدهما.

وهكذا الحبّ هو الآخر ذو أثر قوّة، وأثر ضعف في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

ولذا فالحب قوّة موجبة، وقوّة سالبة.

قوّة موجبة: حيث يُمكّنك من استيعاب الآخر بلا تردّد، وغزوه أو غزوك بلا حدود.

وهنا نلاحظ شيئين متناقضين هما:

الاستيعاب الموجب: الذي فيه فُسحة للنفس وللذّوق الرّفيع ولقوّة الحواس، حيث ينقلك من مواقع الغفلة إلى قمم الفطنة، التي تمدّك بالصّحوة في كلّ حين، وتفتح أمامك آفاق تُمكّنك من نيل الاعتراف والتقدير، وتجعل مشاعرك في حالة فيض كلّما تُبادل بمثلها. وهنا يكون الحبّ قوّة تمركز التعادل بين المحبّين؛ فكلما تمتد مسافة لتملأ الآخر مودّة تقدّم نحوك بالتماثل ليملأك ودّا، وحينها يصبح الحبّ بين (الأنا والآخر) قوّة استيعابية، تُمكّن من الإبداع والعمل المنتج والتحدّي لمواقع الضّعف والتردّد.

الاستيعاب السّالب: هو الذي يجعلك في حالة تنازلات كلّما فكّرت في الابتعاد، أو الانفصال، حيث لن تطيق الفراغ من بعده (بعد غزوته) التي جعلتك أسيرا بلا قوّة.

والذي يسيطر عليك هنا ليس القوّة كما تعتقد، بل الضّعف (القوّة السّالبة للإرادة) ولذا وفقا لقاعدة المتوقّع ستكون أسيرا خائفا متردّدا.

أمّا بالنّسبة لغير المتوقّع فمن الممكن أن تقبل بدفع الثّمن وتنفض الغبار من على ظهرك. ما يجعلك في حالة استرداد للقوّة. وتأكد أنّك تستطيع أن تفعل إذا كانت الغزوة استعمارية استعبادية أو استعلائية. أما إذا كان ودّا متبادلا إراديا فيكون الحبّ قوّة تستوجب الاحترام والتقدير دون أن تكون هناك مغالبة.

وعليه، فالمحبّة قوّة غازية متحديّة تداهم كلّ قوّة، ممّا يجعل المحبّ ليس له بدّ إلّا رفع راية الاستسلام وهنا يكمن الضعف قوّة.

وفي كلتا الحالتين الحبّ قوّة بضعفه وبقوّته. ولهذا لو لم يكن الضّعف قوّة ما كان له الأثر السّالب، ولو لم يكن الحبّ قوّة ما كان له الأثر الموجب.

وعليه:

فإنّ الاستيعاب ضرورة لا يكون إلّا بقبول تقديم شيء من التنازلات من أجل الحلّ أو بلوغ الغايات ونيل المأمول المشترك، ومع ذلك فإنّ التنازلات هنا لم تكن على حساب ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات، بل هي داعمة لها توافقا. فالاستيعاب قيمة ذات اثر على شخصيات الأفراد والجماعات والمجتمعات بدرجات غير متساوية، ونظرا لوجود الفروق الفردية من حيث القدرات والاستعدادات والثقافات والتعليم، فانّ شيئا من التنازل يجعل من قيمة الاستيعاب ضرورة ذات أهمية تستوجب الاحترام والاعتبار والتقدير كما تستوجب التفهّم الذي يجعل

لكلّ خصوصية أهمية على السُلَّم القيمي وفقا لخماسي عقيل لتحليل القيم الذي يأخذ المستويات الآتية:

أوّلا ـ المستوى القيمي الموضوعي و يتمركز على:

ـ تقبّل الآخر كما هو بغضّ النّظر عن لونه أو جنسه أو دينه أو انتمائه أو خصوصيّته الاجتماعية، مع تقديره واحترام آرائه بما يُمكّن الأفراد من التواصل والتفاعل الاجتماعي والإنساني.

ـ التفهُّم المتبادل بين الأنا والآخر يعدّ أساسا لبناء مجتمع الفكرة الذي يؤسّس على تبادل القيم الفاضلة.

ـ التعامل بكل شفافية مع الآخر بما يحقّق الاستيعاب والتفاعل والتماسك والترابط بين ذوي الخصوصيّات .

ـ الوعي بالحقوق والواجبات والمسؤوليات.

ـ تقدير الآخر والاعتراف به.

ـ إبداء الاستعداد لغرس الثّقة في الغير.

ـ التملك وفقا للحاجة، والعمل وفقًا للتخصص والخبرة، والإنتاج وفقا للمواصفات والمعايير النوعيّ.

ـ المساواة في اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته.

ـ التجرّد من الانحياز غير العادل.

. ادراك الحقائق كما هي لا كما يجب أن تكون عليه من وجهة النظر الخاصّة.

. الأخذ بالمصادر الطبيعية كالعرف والدّين في تقييم وتقويم السّلوك والفعل.

ثانيا . المستوى التطلعي ويتمركز على:

. الانفتاح على الآخر من أجل ما يفيد مع عدم التفريط في الذّات التي ينتمي إليها الأفراد أو الجماعات.

. أدراك ما يجري ومحاولة تكوين علائق على أكثر من مستوى موجب.

. التهيؤ للتغيير النافع.

. الاعتماد على المنطق في المحاجّة.

. المقدرة على الاستنباط المجرد للحقائق.

. الطموح بما لا يطمس الهويّة.

. الاعتدال والاتزان الانفعالي مع القيم الذاتية والقيم المتطلّع إليها.

ثالثا . المستوى الذّاتي ويتمركز على:

. حبّ الذّات الاجتماعية.

. التعصُّب إلى مقومات الخصوصية حتى ولو كانت على غير صواب.

. التمسّك بالموروث حتى وإن كان في حالة عدم اتزان مع واقع العصر.

. التباهي بالذّات الاجتماعية حتى وإن لم تكن مواكبة لحركة التغيّر المفضّل.

رابعا . المستوى الانسحابي ويتمركز على:

. الانسحاب من القيام بالأفعال الموجبة أو المشاركة فيها.

. الميل إلى الأنانية.

. عدم تحمَّل المسؤولية.

. عدم الإسهام في بناء الشخصية الوطنية.

. التمسّك بمطالبة الحقوق والانسحاب من أداء الواجبات.

. لا تُعد السّلبية من الأعمال المعيبة.

. التمثيل لا يعدّ عيبا وبالتّالي من يستطيع أن يقوم بالواجبات نيابة عن المنسحب فليقم بها.

خامسا . المستوى الأناني ويتمركز على:

ـ الأخذ بالأنانية وعدم تقبّل الآخر.

ـ تغليب مصلحة الأنا على مصلحة الذات.

ـ تجاوز الحدود على حساب الآخرين.

ـ المعيار: (أنا كلّ شيء).

ـ المقياس: (الأخذ بدون عطاء).

وعليه:

ـ لا تكن أنانيا فالأنانية نقيصة.

ـ لا تكن انسحابيّا من اتخاذ المواقف الموجبة؛ فالانسحاب معيبة لا تليق بمن خلق في أحسن تقويم.

ـ احترم ذاتك يحترمك مجتمعك ويُقدّرك الآخرون.

ـ تطلّع إلى ما هو أفضل وأجود تحدث لك النقلة وتصنع لك مستقبلا.

ـ كن موضوعيا تنل الاحترام والتقدير وتكسب الهيبة.

وبناء على ذلك يكون دور الأخصائيين المهنيين العمل وفقا لما يُمكّن من تصحيح الأخطاء وتجاوزها لما يحدث النقلة باتباع الآتي.

ـ تحدد المستوى القيمي الذي عليه حالات الأفراد و الجماعات.

2. البدء مع الحالات من حيث هي، ومع الأفراد من حيث هم.

3. العمل على نقلهم إلى ما يجب أو تحفيزهم ودفعهم إليه.

ولهذا يعدّ الاستيعاب فُسحة امتداد المسموح به إلى النهاية، ولهذا إعطاء الفُسحة قاعدة، وعدم إعطائها استثناء، ولذا، فالفُسحة فرصة يجب ان تُغتنم بموضوعية

وعليه:

- أعط الفرصة.
- أعط الفُسحة.
- اسمح بالاغتنام.
- قيّم مجهود من أعطيت له الفرصة.
- قارن المجهود بالعائد من ورائه.
- قيّم حتى تكتشف نقاط القوّة والضّعف.
- قوّم وصحّح الانحراف.

وبناء على هذه المبادئ والقيم المتضمنة في النّظرية الاجتماعية (الإنسان اجتماعي بطبعه) فانّ تقدير الحالة وظروفها الاجتماعية

والاقتصادية والسياسية والنفسية والذوقية والثقافية هو الممكن من تأكيد وتحقيق قيمة الاستيعاب.

ولهذا :-

. تفهَّم ظروف الآخر.

. تفهَّم واقع الحالة كما هي.

. تفهَّم الصّعوبات التي تواجه العملاء.

. قدِّر حالاتهم وظروفهم.

. لا تصدر عليهم أحكاما مسبقة.

. أعط الفرص وافترض خيرا.

. اعرف أنّ كلّ شيء ممكن.

ولأنّه لا استيعاب بدون رغبة. إذن عليك بتهيئة العملاء للاستيعاب، إذا أردت العمل معهم من حيث هم إلى حيث ما يجب، لأجل إحداث النقلة التي لها يُصنع المستقبل، ثمّ:

- تقدّم برغبة.

- اعمل بوعي.

- انطلق بقوّة الإرادة.

- استوعب عن عمد.

- حلّل بمنطق.

- شخّص على واقع.

- قوِّم بموضوعية.

. قرّر عن معرفة ودراية حيث لا وجود لما يعيق، واعتبر تُعتبر، وقدّر تقدَّر، واسمح بالامتداد يسمح لك بالامتداد، وتطلّع للغير يتطلّع إليك، وفي المقابل إذا استثنيت تستثنى، وإذا غيبت تُغيّب.

وبما أن نيل التقدير حاجة ماسّة للفرد والجماعة والمجتمع. ولا يتمّ نيله إلّا بالاستيعاب. فلماذا لا يسعى الجميع إلى نيله بالاستيعاب وبكل شفافية؟

مبدأ

المتوقّع وغير المتوقّع

الممكن هو الذي ينجز ويتحقّق فعل وعمل وقول، ومنه المتوقّع حيث لا استغراب في حدوثه أو قوله أو فعله متى ما وقع أو أنجز أو تحقّق، ومنه غير المتوقّع وهو الذي متى ما وقع أو حدث حدثت معه المفاجئات والاستغرابات ووضع علامات الاستفهام من قبل البعض الذين لا يتوقّعون

حدوثه أو عمله أو فعله حيث فيه من الصّعوبة ما فيه، وفيه من الكمون والاختفاء ما فيه.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع؛ فهو مؤهّل لأن يرتقي إلى ما هو أفضل قيمة، ولأنّه كذلك؛ فالأمل لا يفارقه، ولهذا؛ فهو يبحث من أجل بلوغ القمّة التي لا تُبلغ إلّا بالمزيد العلمي والمعرفي، والعمل المنتج، وإصلاح ذات البين، وتحدي الصّعاب بكلّ ما يمكّن من قهرها.

ولذلك؛ فالإنسان في دائرة الممكن ارتقاء يتذكّر ما يؤلم وما يفرح، ويؤهّل حاله عن تدبّر بما يمكّنه من العمل المنتج، وفي ذات الوقت يفكّر في كيفيّة تمكّنه من بلوغ ما يجب أن يكون أفضل وأجود وأكثر ارتقاء.

ومع أنَّ الإنسان ارتقاء خُلق في أحسن تقويم، لكنّه بعلّة المعصية والشّهوة والرّغبة قد انحدر هبوطا منذ خلقه الأوّل، ومع ذلك منذ تلك اللحظة التي قُبلت فيها توبته، ظلّ أدم ومن بعده بنوه على الأمل في حاضرهم، ومع أنّه الأمل في الزّمن الحاضر، لكنّه يتعلّق ارتقاء بما هو ماضٍ (تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم)، وهو ما لم يتحقّق بعد، وهنا يكمن غير المتوقّع لدى البعض الذين لا يعتقدون أنّ الأمل كما يتعلّق بالمستقبل هو يتعلّق بالماضي.

ولذلك؛ فالتطوّر في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع خاضعا للمشاهدة مثل الإعمار وبناء الحضارات، وهذه من خاصيّة الإنسان التي

لا يشاركه فيها غيره، ومن هنا، يُصبح الارتقاء في دائرة الممكن يستوجب بحثا علميّا مضنيا، وجهدا ينجز وفقا للأهداف المحدّدة والأغراض التي من ورائها والغايات المأمول بلوغها قمّة. وفي المقابل يمكن أن يكون التطوّر خاضعا للملاحظة مثل السّلوك وما يطرأ عليه من تغييرات مقصودة، وهذه تشترك فيها كلّ المخلوقات بما فيها من خُلق في أحسن تقويم،

فالإنسان في دائرة الممكن، ارتقاؤه القيمي يُرسّخه قيمة في ذاته، قيمة تستوجب مزيدا من الاحترام والتقدير والاعتبار، وذلك بما يفسح له مجال العدل الممكّن من العلم، والعمل، والتملّك، والتمدّد إلى النّهاية دون أن يكون له تمدّد على حساب الغير.

وهنا؛ فالممكن ارتقاء هو المتاح تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا، وهو ما يمكن بلوغه قدرة واستطاعة، وهو ما لم يكن مستحيلا حتى وإن كان صعب التحقّق، وهو الذي ليس له وجود لو لم يسبقه وجود خَلق ونشوء، ومع ذلك وجوده لا يعدّ إن لم يلاحق الخَلق والنشوء ارتقاء.

ولأنّه الممكِن ارتقاء؛ فهو بين متوقّع وغير متوقّع؛ فالمتوقّع منه هو الذي بحدوثه، لا تحدث المفاجأة، ولا الاستغراب، ولا توضع علامات التعجّب. أمّا غير المتوقّع؛ فهو الذي لا تتوافر معطيات حدوثه بين أيدي النَّاس، ومع ذلك يقع، ممّا يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقّع في دائرة الممكن، ولهذا، إذا ما حدث غير المتوقّع حدثت المفاجأة أو التعجّب والاستغراب.

فغير المتوقّع، يقع أو يحدث دون قراءات أو حسابات مسبقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السّابقة على وقوعه، ممّا يجعله يقع (هو كما هو) إثباتا. ومن هنا، ينبغي أن يتمَّ التعرُّف على غير المتوقّع وعلى علله ومسبّباته لاحقا ليتمَّ التعرُّف على نقاط الغفلة، أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المتوقّع.

فالمتوقّع وغير المتوقّع متغيران رئيسان في دائرة الممكن، التي فيها تتساوى فرص ظهور كلّ منهما بنسبة ثابتة قدرها (50%) والمتوقّع يمكن أن يكون سالبا، ويمكن أن يكون موجبا؛ فالموجب منه لا يكون إلّا وفقا لما هو مأمول، والذين لا يأخذون حذرهم يرسمون خططهم وسياساتهم وفقا لِما هو موجب متوقّع، وكأنَّ الحياة لا تُحفُّ بالمخاطر، وكأنَّ العلائق بين النَّاس لا تُبنى إلّا على الصّدق فقط، ولذلك؛ فهم دائما يفاجئون كونهم لم يحدّدوا لغير المتوقّع موضعا.

وعليه:

ينبغي أن تُرسم الخطط والسّياسات والاستراتيجيات وفقا لدائرة الممكن التي تحتوي ما هو متوقّع موجبا وما هو متوقّع سالبا، وما هو غير متوقّع موجبا، وما هو غير متوقّع سالبا.

وبما أنَّ الممكن ليس مستحيلا؛ فعلى الإنسان أنْ:

- يفكّر فيما يفكّر فيه قبل أن يقرّر ويعمل.

. أنْ يخطّط لما هو غير متوقّع مثلما يخطط للمتوقّع.

. أنْ يعمل ارتقاء بلا تردّد ولا يأس، حتى يُرتَقَ الممكن بالمستحيل قمّة.

. أنْ يقبل تحدّي الصّعاب؛ فالصّعاب تُقهر، ولا مستحيل في دائرة الممكن، ولا استغراب، بل الاستغراب أن لا يتمّ تحدّى الصّعاب التي تحول بين الإنسان وبين ارتقائه قمّة.

وبالتّالي فمن يرسم الخطط والاستراتيجيات ويعدّ البرامج وفقا لِما هو متوقّع، عليه أن يعرف أنَّ ما يفكّر فيه معرّض لمواجهة غير المتوقّع، ممّا يلفت انتباهه إلى التفكير في غير المتوقّع بخطط بديلة تواجه ما يمكن مواجهته من مواقف أو أضرار أو مخاطر قد تحدث، ولذلك؛ فالزّمن الحاضر هو زمن التخطيط والتدبّر والتذكّر والتفكّر، وهذا يعني: أنّ دائرة الممكن هي التي فيها ينصهر الزّمن حاضرا، أي: إنّ التذكّر الذي يرتبط بما هو ماضٍ، لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وكذلك التفكّر الذي يتعلّق أمره بما لم يتحقّق بعد لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وفي ذات الوقت يتدبّر الإنسان أمره وكأنّه لا يعيش الزّمن إلّا حاضرا. أي: إنّ الذي يتذكّر في دائرة الممكن لا يجب أن ينظر لما يتمّ تذكّره من الماضي وكأنّه لن يتكرّر، بل ينبغي أن يراه وكأنّه الآن يواجهه تحدٍّ، ممّا يجعله في وقته الحاضر متحدّيا له بحلولٍ حاسمة، وهكذا، ينبغي أن يفكّر فيما يمكن أن يواجهه مغالبة،

حتى لا يحدث وتحدث المفاجئات المؤلمة التي تؤدّي إلى الانتكاسة أو الانحدار، بدلا من أن تؤدّي إلى بلوغ القمّة ارتقاء.

فالممكن احتمالا يسبق ما يمكن أن يكون محتملا أو غير محتملٍ، ولهذا؛ فلا يتحقّق الممكن إلّا في دائرة الحاضر، حتى وإن أصبح ذلك المتحقّق في دائرة الزّمان مسجّلا؛ فالممكن المتوقّع وغير المتوقّع في زمنه الحاضر يسبق حدوث الفعل، ومن ثمّ، يظل الممكن تحت الانتظار إلى أن يتحقّق أو لا يتحقّق، ومن هنا، يصبح للممكن مصادق تثبت حدوثه أو تبطل حدوثه.

فالممكن في زمنه الحاضر يُلاحق العبر والمواعظ، ويتزامن مع التدبّر، ويسبق المأمول حتى يتمّ بلوغه ارتقاء؛ ففي الزّمن الحاضر لا انتظار لشيء يعود إلّا استدعاء ذاكرة، ولا انتظار لشيء يأتي وهو لم يكن شيئا، ولا شيء يحدث إلّا في الزّمن الحاضر.

وبما أنَّ في دائرة الممكن لا وجود للمستحيل، إذن؛ فمن الممكن التفكير في المستحيل حتى معرفته مستحيلا، وعندها يدرك الإنسان أنّه في حاجة لمزيد من المعرفة والارتقاء، ومع أنَّ الإنسان يتوقّع ما هو ممكن، ولكنَّه قد لا يستطيع تحقيقه بأسباب قصور قدراته ومحدودية إمكاناته، وبالرّغم من ذلك؛ فعليه أن يعمل مع من يمكّنه من الارتقاء تحدٍّ؛ فالصّعاب لا تصمد أمام التحدّي والمتحدّين.

ولهذا؛ فالإنسان يتذكّر ويتدبّر ويفكّر في كلّ ما من شأنه أن يُظهر له ممكنا، ويمكّنه من إنجازه، أو تحقيقه بغرض الارتقاء إلى ما هو غاية وأمل مرغوب.

وبما أنَّ كلّ شيء ممكنا؛ فلِمَ لا نفكّر فيه بلا قيود؟ حتى وان وضعت عليه القيود علّة بأيّة علّة؛ فيجب أن تفكّ العلل مع القيود، ولكن أن لم تفكّ العلل والقيود؛ فعلامات الاستفهام والاستغراب وأفعال المواجهة ستكون ارتقاء في الميادين والشّمس في كبد السّماء. ولذلك؛ فالاستغراب يَحدث عندما يَحدث غير المتوقّع في الزّمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقّع، وهنا تكمن المفاجأة، التي لا تظهر إلّا بغفلة عمّا هو غير متوقّع.

ومع أنَّ في دائرة الممكن يتساوى حجم المتوقّع مع غير متوقّع، ولكن تظل دائرة الممكن واسعة؛ فمهما فكّرنا؛ فلن نبلغ كلّ ما نفكّر فيه؛ فعلى سبيل المثال: البحث عن العمل، لو لم يكن ممكنا، ما كان البحث عنه، ولهذا؛ فالبحث عن العمل ممكن، والحصول عليه ممكن، وعدم الحصول عليه ممكن أيضا. ولكن إذا قُدِّمت لك الإهانات التي لم تكن في الحسبان، وأنت تبحث عن فرصة عمل كما قُدِّمت إلى محمَّد أبو عزيزي بمدينة سيدي أبو زيد بتونس؛ الذي كان الأمر بالنّسبة له غير متوقّع، وذلك في مقابل ما اتخذه من فعل (الاحتراق) الذي لم يكن هو الآخر متوقّعا من قبل الذين قدّموا له الإهانات، ممّا ترتّب على الفعلين غير المتوقّعين فعل ثالث غير متوقّع، ألّا وهو الثورة، التي لم تطفئ نارها إلّا

بسقوط نظام الرّئيس التونسي زين العابدين بن على من قمّة السُلّم السّلطاني.

إنَّ العلاقة بين المتوقّع وغير المتوقّع هي علاقة قاعدة واستثناء؛ فحيثما كانت القاعدة كان الاستثناء متلازما معها وملاحقا لها، ومن هنا، يجب التفكير وفقا للقاعدة دون الغفلة عن الاستثناء، ومن يغفل عنهما؛ فليس له إلّا المزيد من المفاجئات، وحينها لن تنفعه علامات الاستفهام ولا الاستغراب ولا التعجّب والاستفهام.

وبما أنَّ الارتقاء ممكنا؛ فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا، وجب العمل على تذليل الصّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاء؛ فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملا راقيا تنجزه الإرادة.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاء، ولكن لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصّعاب.

إذن؛ فمن تهيّأ واستعدَّ لعمل وأقدم عليه ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيه، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار

الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولأنّ النّشوء في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع ارتقاء يمكّن من بلوغ الغايات؛ فالمزيد من التّأهب إليه يُسرِع بحركة إحداث النُقلة مع تسارع امتداد الكون إلى النّهاية؛ ولهذا، لن تستطيع تلك الأنظمة المعيقة للارتقاء أن تصمد أمام التسارع ارتقاء تجاه إحداث النقلة المأمولة، بل كلّ الأنظمة التي رَكِب أصحابها المصاعد إلى الأسطح، ولم يضعوا في حسبانهم أنّه لا نزول إلّا من خلالها؛ فهم صَعدوها بلا سلالم، وبقوا هناك إلى أن أُسقِطَ بهم أرضا.

ومن هنا، كان الفأر أكثر فطنة وذكاء من تلك القمم التي صعدت وبقيت هناك؛ فالفأر ذات مرّة سُئل:

لماذا أيّها الفأر عندما تشعر بخطر تبدأ اللعب بذيلك؟

فقال:

ألا يكون من الأفضل لي أن ألعب بذيلي بدلا من أنْ ألعب برأسي؛ فأنا عندما العب بذيلي أفكّر، ولكن عندما ألعب برأسي يُلعب بي.

وعليه:

فمن أجل أن لا يتكرّر اللعب بالرّؤوس في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ينبغي أن يحيا النّاس، ويموت الموت، الذي كتب عليهم بعلل الفقر، والمرض، والألم، ثمّ يُقضى عدالة على الهيمنة، والحرمان، والإقصاء، ويفسح المجال للحقوق أن تمارس، والواجبات أن تؤدّى، والمسؤوليات أن تُحمل، دون أن تكون الحاجات في حاجة للإشباع. ودون أن يكون من بعد العلم جهل بذلك الصّفر الذي من بعده أصبح الكون وجودا متمدّدا ومتسارعا133.

وهنا فالممكنُ ارتقاء هو المكانة التي يُمكن أن يكون الإنسان عليها خَلقا، ويمكن أن يكون عليها قيمة لا تُبلغ إلّا بمزيد من الجهد العقلي والخُلقي، وفي المقابل هناك من يرى الارتقاء تطوّرا يطرأ على الكائنات الحيّة؛ فيغيّر حالتها من دُنيا إلى عُليا، من خلال ما يطرأ عليها من تغيّر في الجينات والسّمات؛ ولكنَّ الجينات الخَلقية لم تكن نتاج تكيف بيئي حتى تتبدّل وتتغيّر مع تغيّر البيئات، بل هي خاصّيّة خَلقيّة تحافظ على الأجناس، حتى وإن بلغ الإنسان من العلم ما بلغه؛ فلا إمكانية له أن يغيّر الأجناس، وستظل الكائنات على ما هيّ عليه مختلفة، وإن لُعب بها جينيّا، ولكن تحسين وتجويد أنواعها أصبح في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع ارتقاء حتى النّهاية.

133 المصدر السابق، ص 296 . 299.

وعليه؛ فالممكن له معطيا وله مؤشّرات، ويقع في الزّمان والمكان كلّما تهيأت له الظّروف، ذلك لأنّه لم يكن مستحيلا ولا معجزا، ولهذا يجب العمل بلا تردّد، ويجب معرفة أنَّ كلّ شيء ممكن، ولا يأس حتى وإن حدث الفشل في المحاولة الأولى، والصّعاب لا تصمد أمام الإصرار تحدٍّ.

المراجع

العربية والمترجمة للعربية

1 الموسوعة العربية العالمية. شركة أعمال الموسوعة، الطبعة الثانية، 1999.

2 . الموسوعة الفلسفية. وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيت "ترجمة سمير كرم". بيروت: دار الطليعة.1974.

3 . الموسوعة الفلسفية العربية. معهد الإنماء العربي، بيروت، 1997.

4 . الموسوعة في العلوم الاجتماعية "ترجمة عادل مختار، وسعد عبد العزيز". الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999.

5 . إميل دور كايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع "ترجمة د.محمود قاسم، د.السيد محمد بدوي". الإسكندرية: دار المعارف الجامعية، 1988.

6 . أحمد كمال أحمد، تنظيم المجتمع نظريات وحالات. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، الجزء الثاني، 1975.

7 . إسرائيل 2020 خطتها التفصيلية لمستقبل الدولة والمجتمع. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.

8 . التفكير الإبداعي. مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2005م.

9 . المناهج التدريبية المتكاملة (تحليل المشكلات واتخاذ القرارات). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

10 . المناهج التدريبية المتكاملة (التخطيط والمتابعة). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

11 . بيتر هوني، الأفراد ذوو المشكلات وكيفية التعامل معهم "ترجمة عبد الله بن سحمي". الرياض: معهد الإدارة العامة مركز البحوث، 2003.

12 . بيل جيتس، الطريق المقبل "ترجمة فتحي شتوان".مصراتة: الدار الجماهيرية، 1999.

13 . باسل شيخو، هل فات الأوان لتبدأ من جديد حدد مسارك. دمشق: دار القلم، 2004.

14 . توماس فريدمان، العالم مسطّح تاريخ موجز للقرن الواحد والعشرين"ترجمة عمر الأيوبي". بيروت: دار الكتاب العربي، 2006.

15 . تريسي جروس، كيف تجعل المستحيل ممكنا التحولات السبعة لإعادة هندسة ذاتك ومؤسستك "ترجمة علاء أحمد صلاح". القاهرة: إصدارات بيمك، 2002.

16 . تد جارات، البرمجية اللغوية العصبية للمدرب الفعّال "ترجمة إصدارات بيمك". الجيزة: 2004.

17 . تخفيض الفقر عبر سياسات سوق العمل. بيروت: المعهد الدولي لدراسات العمل، 2000.

18 . تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2004، نحو الحرية في الوطن العربي. عمان: المكتب الإقليمي للدول العربية، 2005.

19 . جورج طرابيشي، نظرية العقل. بيروت: دار الساقي، 1996.

20 . جوان مارك، مارقريت ميد وسن الرشد "ترجمة سعيد محمد" الرياض، مكتبة العبيلك، 1999.

21 . جان جاك روسو، العقد الاجتماعي "ترجمة بولس غانم". بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، المكتبة الشرقية، 1972.

22 . جيرار ليكلرك، العولمة الثقافية الحضارات على المحك "ترجمة جورج كتورة". بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004.

23 . الإدارة الإستراتيجية (المبادئ والأدوات). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

24 . خليفة محمد الزعابي، كُن مُعجِزا حلّق في القمة. دبي: مركز الخليفة للتنمية الاجتماعية والإدارية، 2004.

25 . ديفد لورانس، 365 خطوة لتحقيق الثقة بالنفس "قسم الترجمة بدار الفاروق". القاهرة: دار الفاروق، 2004.

26 . دوروثي ليدز، قوة الكلمة "ترجمة عبد الرحمن توفيق". القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة (بيمك)، الطبعة الثانية، 1999.

27 . دونالد هـ. ويز، إجراءات المقابلة الشخصية بنجاح "ترجمة شوكار زكي". القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2000.

28 . روبرت ك كوبر، كيف تفجر الطاقة الهائلة الكامنة بداخلك وتوظفها في القيادة والحياة "ترجمة مكتبة جرير" الرياض، مكتبة جرير، 2004.

29 . ستيفن ر. كوفي، العادات السبع للناس الأكثر فعالية دروس فعّالة في عملية التغيير الشخصي "ترجمة مكتبة جرير". الرياض: مكتبة جرير، الطبعة الثالثة، 2002م.

30 . سعاد خيري، العولمة، وحدة وصراع النقيضين عمولمة الرأسمال والعولمة الإنسانية. بيروت: دار الكنوز الأدبية، الطبعة الأولى، 2000.

31 . سوسن عثمان عبد اللطيف، تنظيم المجتمع الأسس المهنية. القاهرة: مكتبة عين شمس، 2001.

32 . سو نايت، البرمجة اللغوية العصبية في العمل "ترجمة مكتبة جرير". الرياض: مكتبة جرير، الطبعة الثانية، 2004.

33 . صامويل هنتجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي "ترجمة طلعة الشايب". القاهرة: دار الكتاب المصرية، 1997.

34 . منهج الإدارة العليا (أدوات تقييم الأداء). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

35 . منهج الإدارة العليا (المفاضلة المعيارية). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

36 . منهج المهارات القيادية (أخلاقيات وقيم) مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

37 . منهج الإدارة العليا (كيف تفكر إيجابيا؟). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

38 . منهج الموارد (أساليب إحداث التغيير والتطوير التنظيمي) مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2004م.

39 . منهج المدير الفعّال (الأساليب الإبداعية في تحليل المشكلات واتخاذ القرارات) مركز الخبرات المهنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2005م.

40 . موسوعة مدربون بارعون (التدريب المباشر). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2005م.

41 . موسوعة مدربون بارعون (العوامل السبع للتغيير). مركز الخبرات المنية (بيمك)، القاهرة: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بيمك"، الطبعة الثانية، 2005م.

المراجع الأجنبية

1- Albert, Ethel M, "The Classification of Values, A Method and Illustration", American Anthropologist, Vol. 58, 1965.

2- Abbett, Kants. T. K., Theory of Ethics, London, 1927, In Lancaster, master of Political Though, Hegel to Dewing. George

3- Bush, Chilton R., "A System of categories for General News Content" Journalism Quarterly, Vol.37.no.2,1970.

4- Bolck, J., & Thomas, H., Is Satisfaction with Self a Measure of Adjustment? journal of Abnormal and Social Psychology, 1965-51.

5- Hortshoren, J., & May, M. A., Studies in the Nature of Character: Studies in Desert, New York, Mac. Milan, 1968.

6- Holsti, Ole, R., "Content Analysis for the Social Sciences and Humanities" New York, Addison-Wesley, 1969

7- Gardner, E.F. Value of Norms Based on a New Type of Scale Unit, Proc, 1948.

8- Harold, Folding, "A Proposal of Empirical Study of Values" A.S.R., Vol. 30, No. 2, 1965.

9- Jacob, C.,: Personality and Time Attitude, J. of Abnormal Psychology. Vol. 73, No. 5.

10- Kluckhoon,Florence: variation in Value Orientation, By Florence Kluckhoon and Fred, L. Strode bek-New York, Row peterson,1961.

11- Kelly, E. L., Consistency of the Adult Personality, American Psychologist, 1955.

12- Linton, Ralph: The Culture Background of Personality, New York, Appleton- Century Grafts, 1955.
13- Myrdal, Gunner: value in Social Theory, New York,Harper,1968.
14- Maller, J.B., General and Specific Factor in Character Journal of Social Psychology, 1934-5.
15- Moss. h. A., & Kogen, J., Stability of Achievement of Recognition Seeking Behaviors from Early Childhood Through Adulthood, Journal of Abnormal SOCIAL Psychology,1961-1962.
16- Ohan, Yehodi, A: Social Structure and Personality, New York, Holt Rinebert & Winston,1961.
17- Persons,Talcott: "Toward A General Theory of Social Action", By Parsons&Others,4th printing, Cambridge- Harvad Univ. Press,1961
18- Rogers, C. R., A theory of Personality, In S. Koch (Ed) Psychology, A Study of A Science. Vol. III, New York, Mc Grow-Hill, 1969.
19- Stuit. D.B (Ed) Personnel Research and Test Development in the Bureau of Naval Personnel. Princeton, N.J: Princeton university press, 1967.
20- Throndike. R.L (Ed) Research Problems and Techniques, A.A.F Aviation Psychology Report, No. 3. Washington. D.C: Government Printings Office, 1957.

21- Tiryakian, Edward(ed):Sociological Theory Values and Socio-cultural Change, New York, Glencoe, Free Press, 1973.

22- Wolfe, B.M., & Baron, R.A., Laboratory aggression Related to Aggression in

23- Weir, W. Children's Behavior in a Two-Voice Task as a Function of Patterned Reinforcement Following Forced-Choice Trials, Journal of Experimental Child Psychology,1965-2.

24- Witken, H. A. & Good enough, D. R., Karp., Stability of Cognitive Style from Childhood to Young Adulthood, Journal of Personality, Social Psychology, 1967.

25- Zillmann, D., Excitation Transfer in Communication-Mediated Aggressive Behavior. Journal of Experimental Social Psychology, 1971.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف 68 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

صدر له 83 مؤلّفا منها خمس موسوعات.

أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

مواضيع المؤلّفات

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت . دمشق، 2009م.

22 . موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2009م.

23 . ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

24 . مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

25 . خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

26 . قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

27 . أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

28 . آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

29 . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

30 . إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 . ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 ـ منابع الأمل تحت الطباعة.

86 ـ من الفِكَر إلى الفِكَر، تحت الطباعة.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

ـ دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

ـ أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

ـ شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 ـ 1990).

ـ انتخب مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعية، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

ـ شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 ـ 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له 88 مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية